في ظلال أنوار

حديث النبي صلى الله عليه وسلم

"من استعاذ بالله فأعيذوه"

د. عبدالرحمن سيد عبدالغفار



في ظلال أنوار حديث النبي ﷺ:

" مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ...."

جمع وإعداد د.عبدالرحمن السيد عبدالغفار بلح

الْحَمْدُ للَّه مُحْدث الْأَكْوان وَالْأَعْيان، ومبدع الْأَرْكَان وَالْأَزْمان، ومنشئ الْأَلْبَاب وَالْأَبْدَان، ومنتخب الْأَحْبَاب وَالْخِلَّان، منور أَسْرار الْأَبرار بِمَا أَوْدعها من الْبَرَاهِين وَالْعرْفَان، ومكدّر جنان الْأَشْرار بِمَا حرمهم من الْبَصِيرَة وَالْإِيقَان، الْمعبر عَن مَعْرفَته الْمنطق وَاللّسَان، والمترجم عَن براهينه الْأَكُفُّ وَالْبنان بالموافق للتَّنْزِيل وَالْفرْقَان، والمطابق للدَّلِيل وَالْبَيَان، فألزم الْحجَّة بالقادة من الْمُرْسلين، وأبهج الْمنْهَج بالسَّادة من الْمُحَقِّقين الَّذين جعلهم خلفاء الْأَنْبِيَاء، وعرفاء الْأَصْفِيَاء الْمُقَرّبين إِلَى الرتب الرفيعة، والمنزهين عَن النّسَب الوضيعة، والمؤيَّدين بالمعرفة وَالتَّحْقِيق، والمقوَّمين بالمتابعة وَالتَّصْدِيق، معرفَة تعقب لمعرفتهم مُوَافقَة، وتوجب لحكم نُفُوسهم مُفَارقَة، وتلزم لخدمة مشهودهم معانقة، وتحقق لشريعة رسولهم مرافقة وَالصَّلَاة على من عَنهُ بلّغ وَشرع و بأمره قَامَ وصدع، ولمتبعيه غرس وزرع، مُحَمَّد الْمُصْطَفى المصطنع، وعَلى إخوانه من النَّبِيين وَالْمُرْسلِينَ، وعَلى آله وصحابته المنتخبين وَسلم1، والصلاة والسلام على أهل العَالمينَ منَصبا وأَنفسهم نفَسا وحسا المبعَوث بشيراً ونذيرا ودَاعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا حتى أشرق الوجود برسالته ضياءا وابتهاجا ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ثم على من التزم العمل بقضية هديه العظيم المقدار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم القرار الذين تناقلوا الخبر والأخبار ونوروا مناهج الأقطار بأنوار المآثر والآثار صلاةً وسلاما دائمين ما ظهرت بوازغ شموس الأخبار ساطعة من آفاق عبارات من أوتي جوامع الكلم2 والاختصار3 أَمَّا بعد:

1- مستلة من مقدمة أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله لكتابه:" حلية الأولياء وطبقات الأصفياء "، (3/1)

2- أخرج البخاري في "صحيحه"، (2977)، ومسلم، (523)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: فُضّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاء بستّ: أُعْطِيتُ جَوَامعَ الْكَلم، وَنُصرتُ بالرُّعْب، وَأُحلَّتْ لي الْغَنَائم، وَجُعلَتْ لي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجدًا، وَأُرْسلْتُ إلَى الْخَلْق كَافَّةً، وَخُتمَ بيَ النَّبيُّونَ "، وفي رواية: عن ابن شهاب، أَخبرني سعيد بن الْمسيب: أَنَّ أَبَا هريرة قَالَ: سمعت رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: بعثْت بجوامع الكَلم، ونُصرت بالرُّعْب، وبينا أنَا نائمٌ أُتيت بمفَاتيح خزائن الْأَرْض فوضعت في يدي قَالَ مُحَمَّدٌ: وبلَغني أَنَّ جوامع الْكَلم: أَنَّ الله يجمع الْأُمُور الْكَثيرة، الَّتي كَانَت تُكْتَب في الْكُتُب قبلَه، في الْأَمر الْوَاحد، والأَمرين، أَو نَحْو ذَلك.

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (174/5): قوله ﷺ: (أُعْطيتُ جوامعَ الْكَلم)، وَفي الرّوَايَة الْأُخْرَى: (بُعثْتُ بجَوَامع الْكَلم). قَالَ الْهَرَويُّ: يَعْني به الْقُرْآنَ؛ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى في الْأَلْفَاظ الْيَسيرَة منْهُ الْمَعَاني الْكَثيرَة، وَكَلَامه ﷺ: كَانَ بالْجَوَامع قليل اللَّفْظ كثير الْمَعَاني.

أخرج الإمام أبو داود في "سننه"،(1672)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" من اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "، وفي رواية عند النسائيَ في "الكبري"،(2359)،وعندَ أبي داود في "سننه"، (5109)، عن ابن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"[4]،وفي رواية عند ابن حبان في "صحيحه"،(3408):" مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "،وله شاهد من حديث أبي هريرة، عند البزار في "مسنده"، (9272) عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ دَعَاكُمْ عَلَى طَعَامٍ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ خَيْرًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "، وفي "صحيح ابن حبان"،(3375)، عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنَ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ "، وعند الحاكم في "المستدرك"،(1507)، عن الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَهْدَى إِلَيْكُمْ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْنَ أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ "، وقالَ "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ "، وفي "المعجم الكبير"، للطبراني،(13539)، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ أَهْدَى إِلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهُ"، وأخرجه عبد الرزاق في "مصنفه"(19699) عَنْ مُجَاهِدٍ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ إِلَى خَيْرٍ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ بِكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى يَرَى أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ".

3- مستلة من مقدمة المناوي رحمه الله لكتابه:" فيض القدير شرح الجامع الصغير "، (2/1)

4- قال النووي في "رياض الصالحين"، ت:الفحل، ، (ص:479)، (ح: 1723)، : "حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين".

المعني العام للحديث:

قوله ﷺ: (مَنِ اسْتَعَاذَ): أَيْ مَنْ سَأَلَ مِنْكُمُ الْإِعَاذَةَ مُسْتَغِيثًا (بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ): قَالَ الطِّيبِيُّ: أَيْ مَنِ اسْتَعَاذَ بِكُمْ وَطَلَبَ مِنْكُمْ دَفْعَ شَرِّكُمْ أَوْ شَرِّ غَيْرِكُمْ قَائِلًا: بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَ عَنِّي شَرَّكَ فَأَجِيبُوهُ، وَادْفَعُوا عَنْهُ الشَّرَّ تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالتَّقْدِيرُ مَنِ اسْتَعَاذَ مِنْكُمْ مُتَوَسِّلًا بِاللَّهِ مُسْتَعْطِفًا بِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْبَاءُ صِلَةَ اسْتَعَاذَ، أَيْ: مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ بَلْ أَعِيذُوهُ، وَادْفَعُوا عَنْهُ الشَّرَّ، فَوَضَعَ أَعِيذُوا مَوْضِعَ ادْفَعُوا، وَلَا تَتَعَرَّضُوا مُبَالَغَةً، أي من التجأ اليكم مستعينا بالله تعالى من ضرورة نزلت به فأجيروه وخلصوه، فإن إغاثة الملهوف من واجبات الإيمان، (فَأَعْطُوهُ): أَيْ تَعْظِيمًا لِاسْمِ اللَّهِ وَشَفَقَةً عَلَى حَقِّ اللَّهِ (وَمَنْ دَعَاكُمْ): أَيْ إِلَى دَعْوَةٍ (فَأَجِيبُوهُ): أَيْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَانِعٌ شَرْعِيٌّ (وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا): أَيْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ إِحْسَانًا قَوْلِيًّا أَوْ فِعْلِيًّا (فَكَافِئُوهُ): مِنَ الْمُكَافَأَةِ، أَيْ: أَحْسِنُوا إِلَيْهِ مِثْلَ مَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوا بِهِ): أَيْ بِالْمَالِ، وَالْأَصْلُ تُكَافِئُونَ فَسَقَطَ النُّونُ بِلَا نَاصِبٍ وَجَازِمٍ، إِمَّا تَخْفِيفًا أَوْ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِينَ، كَذَا ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ، وَالْمُعْتَمَدُ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى الْحِفْظِ مُعَوَّلٌ، (فَادْعُوا لَهُ): أَيْ لِلْمُحْسِنِ، يَعْنِي: فَكَافِئُوهُ بِالدُّعَاءِ لَهُ (حَتَّى تَرَوْا): بِضَمِّ التَّاءِ، أَيْ: تَظُنُّوا وَبِفَتْحِهَا أَيْ تَعْلَمُوا أَوْ تَحْسَبُوا (أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ): أَيْ كَرِّرُوا الدُّعَاءَ حَتَّى تَظُنُّوا قَدْ أَدَّيْتُمْ حَقَّهُ. وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ مَرْفُوعًا: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ لِأَحَدٍ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَقَدْ أَدَّى الْعِوَضَ وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ كَثِيرًا، (مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ) أَيْ طَلَبَ الْإِعَاذَةَ مُسْتَعِيذًا بِاللَّهِ مِنْ ضَرُورَةٍ أَوْ جَائِحَةٍ حَلَّتْ بِهِ أَوْ ظُلْمٍ نَالَهُ، أَوْ تَجَاوُزٍ عَنْ جِنَايَةٍ فَأَعِيذُوهُ أَيْ أَعِينُوهُ وَأَجِيبُوهُ فَإِنَّ إِغَاثَةَ الْمَلْهُوفِ فَرْضٌ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ أَيْ وُجُوبًا إِنْ كَانَ لِوَلِيمَةِ عُرْسٍ وَنَدْبًا فِي غَيْرِهَا وَيُحْتَمَلُ مَنْ دَعَاكُمْ لِمَعُونَةٍ أَوْ شَفَاعَةٍ أي منَ طلبكم لحضور وَليمة عرَس أَو غيرهٍ أو لمعونة فأَجيبوا دعوَته وجوبا في وليَمة العَرس الخاليةً من منكر شرعا وكذا المعونة المتعينة وندبا في غيرها،قوله "ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه" أي من فعل معكم خيرا قوليا أو فعليا فجازوه وأحسنوا إليه بمثل ما أحسن به إليكم أو خير منه، وعدى صنع بإلى لتضمنه معنى أحسن، وفي رواية الحاكم "ومن أهدى إليكم فكافئوه"، فَكَافِئُوهُ أَيْ بِمِثْلِهِ أَوْ خَيْرٍ مِنْهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا أَيْ مَا تُكَافِئُونَ بِهِ فَادْعُوا لَهُ إِلَخْ يَعْنِي مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ أَيَّ إِحْسَانٍ فَكَافِئُوهُ بِمِثْلِهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبَالِغُوا فِي الدُّعَاءِ لَهُ جُهْدَكُمْ حَتَّى تَحْصُلَ الْمِثْلِيَّةُ،

ويؤخذ منه أن أصل الدعاء بنحو جزاك الله خيرا يؤدي به حق المحسن مع المبالغة ويخرج به عن عهدة شكره حيث أظهر عجزه عن مجازاته وأحال مكافأته على ربه، ولذا كانت عائشة رضي الله تعالى عنها إذا دعا لها السائل تجيبه بمثل دعائه ثم تعطيه الصدقة، فقيل لها تعطين المال وتدعين؟ فقالت لو لم أدع له لكان حقه بالدعاء لي علي أكثر من حقي عليه بالصدقة، فأدعو له بمثل دعائه لي حتى أكافئ دعاءه وتخلص لي الصدقة، يعْني من احسن اليكم أَي احسان فكافئوه بمثله فان لم تقدروا فبالغوا فِي الدُّعاء لَه جهدكم حتَّى تحصل الْمثلية5

قال النووي في رياضه: حديث صحيح76

جاء في "الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، للكلاباذي، (ص:168-171):

عَنْ أَبِي هريرَةَ، رضِي اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: " إِذَا قَالَ الرَّجلُ لأَخيه: جزَاكَ اللَّهُ خيرًا، فَقَدْ بَلَغَ فِي الثَّنَاء " وقَولُه: «من سأَلَكُم من اللَّه فَأَعْطُوه»، إجلالًا للَّه تعالَى، وتَعْظيما لَه، وإيجابا لحقِّه، فيجوز أَنْ يحْملَ معناه علَى معنى: من سأَلَكُم في اللَّه فَأَعطُوه، فيَكُونُ الْباء بمعْنَى في، أَي من سأَلَكُم في طَاعة اللَّه، وفي إقَامة أَمره، وفي إظْهار منار الدين، وسبلِ الْخير، فأَعْطُوه، ولَيس يجب إعطَاء السَّائل إذا كَانَ في معصية، أَو فضول، فمن سأَلَ باللَّه فيما لَيس عليه ولَا عليك فريضَةٌ، فأَعطَاكَ إيَّاه لإجلالِ حق اللَّه، وتعظيمه، ولَيس علَيك بفرض ولَا حتْمٍ من سأَلَ فيما وجب علَيك، وعلَى السَّائل فَرض، فإعطَاؤُكَ إيَّاه فَرضٌ عليك، ولَازم لَك لَا يجوز منعه، وقولُه: «ومن استعاذَكُم باللَّه» عنْد ضرورة حلَّت به، أَو ظُلْم لحقَه، فَأَعيذُوه، فإنَّ إغاثَةَ الْملْهوف فَرض واجب، والْإعاذَة، وإعطَاء السَّائل من فُروض الْكفَاية الَّتي يسقطُ عنك إذا قام به غيرك، وقولُه: «ومن دعاكُم فأَجيبوه»، يجوز أَنْ يكُونَ معناه: من دعاكُم للاستعانة بكُم يجوز إعانته فَأَجيبوه، كما قَالَ تعالَى: ﴿ وتعاونوا علَى الْبر والتَّقْوى ولَا تعاونوا علَى الْإثْم والْعدوان ﴾ [المائدة: 2] ويَجوز أَنْ يكُونَ معناه: من دعاكُم إلَى طعام، فأَجيبوه كما حدَّثناه حاتم، قَالَ: ح يحيى قَالَ: ح يحيى قَالَ: ح حفْص قَالَ: ح هشام، عن ابن سيرين، عن أَبِي هريرة رضِيَ اللَّه عنه، رفعه قَالَ: «إذا دعي أَحدكُم إلَى طعام فلْيجب، فإنْ كَانَ مفطرا فلْيأْكُل، وإنْ كَانَ

5 -ينظر:" التيسير بشرح الجامع الصغير"، (396/2)

6-ينظر:" فيض القدير شرح الجامع الصغير"، (55/6)

7- يراجع شرح الحديث في: "عون المعبود "، (52/2)، و" التيسير بشرح الجامع الصغير"، (396/2)، و" فيض القدير شرح الجامع الصغير"، (55/6)

صائما، فليدع»، وفي رواية: «فليصل»، فهذا يتجه إلى وجهين: أحدهما: أنّ من دعي إلى طعام تكلّف الدّاعي له، وكان المقصود فيه المدعوّ، فعليه إجابته، ولا يسعه التّخلّف عنه، لأنّ فيه إضرارا بالدّاعي، وربّما أحزنه، ولا يجوز إضرار المؤمن، ولا تحزينه. وإن كان المقصود غيره، والتّكلّف سواه، وسع التّخلّف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر النّاس»، ونعم الله على عباده لا تحصى، قال تعالى: ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [النحل: 18]، ولكلّ حقّ واجب، وفرض لازم، فكذلك إذا أنعم الله تعالى عليك بواسطة عبد من عباده في نفع لك أو دفع عنك، أوجب عليك شكره، والمنعم في الحقيقة هو الله تعالى، قال الله تعالى ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ [النحل: 53] فوجب عليه الشّكر لله تعالى فيما أنعم به عليك، ووجب عليك شكر من جعله سببا لنعمة النّفع والدّفع، كالشّكر لله تعالى، أوّله رؤية النعمة بالقلب من الله تعالى. قال محمّد بن علي الترمذيّ رحمه الله: الشّكر انكشاف الغطاء عن القلب لشهود النعمة، والكثير انكشاف الشّفتين عن الأسنان لوجود الفرج، فالشّكر رؤية القلب النعمة من الله تعالى، والثّناء عليه باللّسان، والطّاعة له بالأركان، ثمّ الاعتراف برؤية التّقصير عن بلوغ شكره؛ لأنّ الشّكر نعمة منه يجب الشّكر عليها، وحقيقة ذلك الحيرة منك، وشهود حاصل الشّكر عليك، فغاية الشّكر رؤية العجز عن القيام بالشّكر بعد بذل المجهود في أسباب الشّهود، والقيام بالوفاء، والاستهتار بالثّناء، وشكر من جرت النعمة على يديه بالمكافأة له، والثّناء عليه، ومعنى الثّناء نشر الجميل عنه، وحسن الدّعاء له، فمن قدر كافأ، ومن عجز دعا، والمكافأة مع القدرة، والدّعاء عند العجز أيسر الشّكرين: شكر الله تعالى، وشكر العباد، ومن ضيّع شكر العباد الّذي هو أيسر الشّكرين، كان بشكر الله تعالى الّذي هو أعظمهما قدرا، وأعسرهما مراما أضيع، فكأنّه قال: لا يكون قائما بشكر الله مع عظم شأنه من لم يقم بشكر النّاس مع حقّه مجمله. ويجوز أن يكون معناه على التّنبيه على رؤية العجز عن القيام بشكر الله سبحانه وتعالى فيما أنعم لمعان، أحدها: أنّ المعروف الّذي يصطنعه النّاس، وإن كثر فمعدود متناه، ونعم الله تعالى لا تحصى عدًّا، ولا تتناهى حدًّا، والإنسان وإن كافأ المصطنع إليه، فللمصطنع فضيلة السّبق، ولم يدركه المكافئ أبدا، فكأنّه قال: لا يشكر الله تعالى، أي: لا يقدر على شكر الله تعالى في نعمه الّتي لا تحصى من لا يقدر على شكر النّاس في المعروف المحدود، المعدود، المحصى، عن أسامة بن زيد، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشكر النّاس لله تعالى أشكرهم للنّاس»، فمعناه أنّ من القيام بشكر الله تعالى على قدر الوسع، والطّاقة بذل المجهود

فيه، والحَدَّ بمُطَالَبَته الشُّكْر لله منْ نَفْسه في طَلَب مرضَاته والْوفَاء بمَا أَمر، ونَهَى، حتَّى يعفَى به الْأَمر إلَى بذْل الْمَجهود في شُكْر النَّاس لإيجَاب الله ذَلكَ لَه، فمن كَانَ للنَّاس أَشْكَر كَانَ في إيفَاء حق الشُّكْر للَّه تَعالَى منْ نفسه أَسْعى".أ.هـ

ففي هذا الحديث الدلالة علي الترغيب في التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب8، وجملة من الأخلاق والقيم الإسلامية:

أولاها: الاعتراف بالفضل لأهل الفضل والاعتراف بالجميل، والعمل على رد الجميل، وهو خلق إسلامي أصيل9، وغير ذلك من المعروف من إغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج10، قال بعضهم: أفضل المعروف إغاثة الملهوف 11، وحب الخير للآخرين، وفضيلة الدعاء للغير، والتعاون علي البر والتقوي، وكل هذا من المعروف والخير.

وفي الحديث بيان وجوب إفراد الله بالعبادة من الاستعاذة وسؤال الله وحده 12

والاستعاذة هي: الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً، وملجأ ووزرا، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيل وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والإطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة.

---

8 -ينظر:" المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود"، (324/9)

9-ينظر:"فتح المنعم شرح صحيح مسلم"، (51/2)

10 -ينظر:"أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، (59/4)

11- ينظر:" المستطرف في كل فن مستطرف "، (ص:33)

12- يقول الصنعاني في " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"، (ص:14):"قوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} فيه إثباتُ أنواع التوحيد الثلاثة؛ فإنَّ الاستعاذةَ بالله فيه توحيد الألوهيَّة، و {بِرَبِّ النَّاسِ} فيه إثبات توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات، وهو مثل قول الله عزَّ وجلَّ في أول الفاتحة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وقوله: {مَلِكِ النَّاسِ} فيه إثباتُ الربوبيَّة والأسماء والصفات، و {إِلَهِ النَّاسِ} فيه إثبات الألوهية والأسماء والصفات، والنسبةُ بين أنواع التوحيد الثلاثةَ هذه أن يقال: إنَّ توحيدَ الربوبيَّة وتوحيدَ الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهيَّة متضمِّنٌ لهما، والمعنى أنَّ من أقرَّ بالألوهيَّة فإنَّه يكونُ مقرًّا بتوحيد الربوبيَّة وبتوحيد الأسماء والصفات، لأنَّ من أقرَّ بأنَّ الله هو المعبودَ وحده فخصَّه بالعبادة ولم يجعل له شريكًا فيها، لا يكون منكرا أنَّ الله هو الخالق الرازقُ المحيي المميت، وأنَّ له الأسماء الحسنى والصفات العلَى، وأمَّا من أقرَّ بتوحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات، فإنَّه يلزمه أن يقرَّ بتوحيد الألوهيَّة".

قال ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم"،(114/1)[13]: " والاستعاذة هي الالْتِجاء إِلَى اللَّه والالْتِصَاقُ بجنابه من شر كُلِّ ذي شرٍّ، والْعِياذَة تَكُونُ لدفْعِ الشَّرِّ، واللِّيَاذُ يَكُونُ لطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ "؛ فتبيَنَ بهذا أنَ الاَستعاذةَ باللهَ عَبادة للّه، ولهَذا أمر الله بَالاستعاذةَ به في غير آيةَ، وتواترت السنن عن النبي ﷺ بذلك، قال الله تعالى: ﴿ وإِمَّا ينزغَنَّك من الشَّيْطَان نَزْغٌ فَاسْتَعذْ باللَّه إِنَّه هو السَّميع الْعليم ﴾، وقال: ﴿ وقُل رب أَعوذُ بك من همزَات الشَّياطين وأَعوذُ بك رب أَنْ يحضرون ﴾، وَقال: ﴿ فَاسْتَعذْ باللَّه إِنَّه هو السَّميع الْبصير ﴾، وقالَ: ﴿ قُلْ أَعوذُ برب الْفلَق ﴾ [14]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعوذُ برب النَّاس ملك النَّاس إِلَه النَّاس ﴾، فإذا كان تعالى هو ربنا وملكنا وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا مَلجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب غيره، ولا يذل ولا يخضع لغيره، ولا يتوكل إلا عليه، لأن من تخافه وترجوه وتدعوه وتتوكل عليه، إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك، ومتولي شأنك، فهو ربك، ولا رب لك سواه، أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقًّا، وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك، فهو الإله الحق إله الناس، فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجئوا إلى غير حماه فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته

13- يقول ابن كثير: فَصل معْنَى الاسْتعَاذَة: ومعنى أَعُوذُ باللَّه منَ الشَّيْطَان الرَّجيم، أَيْ: أَسْتَجيرُ بجَنَاب اللَّه منَ الشَّيْطَان الرَّجيم أَنْ يَضُرَّني في ديني أَوْ دُنْيَاي، أَوْ يصدَّني عَنْ فعْلِ مَا أُمرْت به، أَوْ يَحُثَّني عَلَى فعْلِ ما نُهيت عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكُفُّه عَنِ الْإِنْسَان إِلَّا اللَّهُ؛ ولهَذَا أَمَرَ اللَّه تعالَى بمصَانعة شيطان الْإِنْس ومداراته بإِسداء الْجَميل إِلَيه، ليردَّه طَبْعه عمَّا هو فيه من الْأَذَى، وأَمَر بالاستعَاذَة به من شيطَان الْجن لأَنَّه لَا يقبل رشوة ولَا يؤَثِّر فيه جميل؛ لأَنَّه شرير بالطَّبْع ولَا يكُفُّه عَنْكَ إِلَّا الَّذي خلقَه، وهذَا الْمعنَى في ثَلَاث آيات من الْقرآن لَا أَعْلَم لَهُنَّ رابعةً، قَولُه في الْأَعرَاف: {خذ الْعفْو وأْمر بالْعرف وأَعرضْ عن الْجَاهلين} [الْأَعْرَاف: 199]، فَهذَا فيما يتعلَّق بمعاملة الْأَعْدَاء من الْبشَر، ثُمَّ قَالَ: {وإِمَّا ينزغَنَّك من الشَّيْطَان نزغٌ فَاستعذْ باللَّه إِنَّه سميعٌ عليمٌ} [الْأَعْراف: 200]، وقَالَ تَعَالَى في سورة " قَدْ أَفْلَح الْمؤْمنُون ": {ادفَعْ بالَّتي هي أَحْسن السَّيِّئة نَحْن أَعلَم بما يصفُونَ * وقل رب أَعوذُ بك من همزَات الشَّيَاطين * وأَعُوذُ بك رب أَنْ يحضُرون} [الْمُؤْمنُونَ: 96 -98]، وقَالَ تعَالَى في سورة " حم السَّجْدَة ": {ولَا تستوي الْحسنة ولا السَّيِّئة ادفَعْ بالَّتي هي أَحسن فإِذا الَّذي بينَك وبينه عداوةٌ كَأَنَّه وليٌّ حميم * وما يلَقَّاها إلا الَّذين صبروا وما يلَقَّاها إِلا ذُو حظٍّ عظيمٍ * وإِمَّا ينزغَنَّك من الشَّيْطَان نزغٌ فَاستعذْ باللَّه إِنَّه هُو السَّميعُ الْعَليم} [فُصِّلَت: 34 -36].

14 -"ومنْ شرِّ غَاسق إذا وقَبَ": في الآية السَابقة كانت الاستعاذة بالله، استعاذة عامة من جميع الشرور التي ترد على الإنسان من المخلوقات كلها، وفي قوله تعالى: "ومنْ شرِّ غاسق إذا وقَبَ"، وما بعدها من الآيات إلى آخر السورة، استعاذة من شرور بعض المخلوقات، البادي شرها..... ينظر:" التفسير القرآني للقرآن"، بتصرف، (1721/16)

لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه وملكه وإلهه، وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على توحيد الإلهية، فإذا تحقق العبد بهذه الصفات: الرب والملك والإله، وامتثل أمر الله واستعاذ به، فلا ريب أن هذه عبادة من أجل العبادات، بل هو من حقائق توحيد الإلهية، فإن استعاذ بغيره فهو عابد لذلك الغير، كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابدا لغير الله كذلك في الاستعاذة، ولا فرق إلا أن المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يستعاذ فيه إلا بالله، كالدعاء، فإن الاستعاذة من أنواعه15، قال رسول الله ﷺ "من استعاذ بالله فأعيذوه "، "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"، فدل على أن الاستعاذة بالله عبادة من أجل العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر، وكذا نزلت سورتا المعوذتين لتعليم الاستعاذة بالله وحده والتبرؤ من الاستعاذة بغيره، وكذلك أذكار الاستعاذات المأثورة لأنها للإرشاد، لذلك أخرج مسلم في "صحيحه"،(2708)، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: " إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ"، الاستعَاذة بالله والالتجاءَ إليهِ عندَ المحن والنَوازل: من سير الصَالحين وسنن الأنبياء والمرَسلينَ16،يقول تعالي في سورة غافر:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) ﴾، أخبر تعالى عن أولئكَ الكفارَ الذَين يجادلون في آيَاتَ الله بَغير حجَة ولا برهانَ وهم يَريدون بذلك طمسها والرد في وجهها أنهم ليسوا على شيء، بل في صدورهم وضمائرهم كبر وأنفة عليك حسدا منهم على الفضل الذي آتاك الله، ثم نفى أن يكونوا يبلغون آمالهم بحسب ذلك الكبر فقال: ما هم ببالغيه وهنا حذف مضاف تقديره: ببالغي إرادتهم فيه، وفي هذا النفي الذي تضمن أنهم لا يبلغون أملا تأنيس لمحمد عليه السلام، ثم أمره تعالى الاستعاذة بالله في كل أمره من كل مستعاذ منه، لأن الله يسمع أقواله وأقوال مخالفيه، وهو بصير بمقاصدهم ونياتهم، ويجازي كلّا بما يستوجبه17، وقال تعالي:﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) ﴾، فلم تُظهر له إعجابا، ولا مالت إليه بكلمة واحدة، وهذا دَليل علَى عفّتها وطهارتهاَ واستقامتها والتزامها، وقولها: ﴿ أَعُوذُ ﴾ أي: ألجأ وأعتصم بالله منك؛ لأنني أخاف أنْ تَفتك

15–ينظر: "تيسير العزيز الحميد"، (ص:172)

16– ينظر:" الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، للزمخشري، (573/4)، و"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، للنسفي، (508/3)

17 –ينظر:"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، لابن عطية، (565/4)

بي، أو تعتدي عليَّ وأنا ضعيفة لا حولَ لي ولا قوة إلا بالله، فأستعيذ به منك، والمؤمن هو الذي يحترم الاستعاذة بالله ويقدّرها، فإنْ استعذتَ بالله أعاذك، وإن استجرت بالله أجارك، وكَانَ النبي يعظم أَمر الاسْتعاذَة، فقد خطَب النبي ﷺ امرأة، كانت على شيء من الحسن أثار غَيرة نسائه، فخشين أنْ تَغلبهَن على قلب رسول الله، فدبَّرنَ لها أمرا يبعدها من أمامهن، فقُلْنَ لها وكانت غرَّة ساذجة أن رسول الله ﷺ يحب إذا اقترب منه إنسان أن يقول له: أعوذ بالله منك، فما كان مَن المرأة إلا أنْ قالت هكذا لرسول الله عندما دخلت عليه، فقال لها:"لقد استعذت بمعيذ، الحقي بأهلك"18، فقول مريم: ﴿ إني أَعُوذُ بالرحمن منكَ إن كُنتَ تَقيًّا ﴾، لأن المؤمن التقي هو الذي يخاف الله، ويحترم الاستعاذة به، وكأنها قالت: إنْ كنتَ تقيا فابتعَد عني، واختارت الاستعاذة بالرحمن لما عندها من الأمل إنْ لم يكُن تقيا مؤمنا أن يبتعد عنها رحمةً بها وبضعفها، ولجأت إلى الرحمن الرحيم الذي يحميها ويحرسها منه19، وجاء في "اللباب في علوم الكتاب"،(110/1):"اعلَم أَن قَوله: " أعوذ باللَّه " أَمر منْه لعبَاده أَن يَقُولُوا ذَلك، وهو غير مُخْتَص بشخص معين، فَهُو أَمر على سَبيل الْعُمُوم، لأَنَّهُ –تعالى– حَكَىَ ذَلَك عَن الْأَنْبيَاء، والأولياء، وذَلكَ يدل على أَن كل مَخْلُوق يجب أَن يكون مَستعيذا باللَّه تعالَى؛ كَمَا حكي عنَ نوح – عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام – أَنه قَالَ: ﴿ أعوذ بك أَن أسئلك ما لَيْس لي به علم ﴾ [هود: 47]؛ فَأعطَاه اللهَ نعمتين: السَّلَام والبركات؛ ﴿ اهبط بسلام منا وبركات عَلَيك ﴾ [هود: 48]، وقَالَ يوسف – عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام –: ﴿ معاذ الله إنَّه ربي ﴾ [يوسف: 23]، فَأعطَاه الله نعمتين صرف السوء عنَه والفحشاء، وقَالَ أَيضا: ﴿ معاذ الله أَن نَأْخذ إلَّا من وجدنَا متاعنا عنْده ﴾ [يوسف: 79] فَأكْرمه الله تَعالَى بنعمتين: رفع أَبَوَيه على الْعَرْش وخروا لَه سجدا، وحكي عَن موسى – عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام – قَالَ: ﴿ أعوذ باللَّه أَنَ أكون من الْجَاهلين ﴾[الْبقَرة: 67]؛ فَأعطَاه الله نعمتين: إزالَة التُّهْمة، وإحياء الْقَتيل، وحكي عَن موسى – عَلَيْه الصَّلَاة والسَّلَام – أَيضا: ﴿ وإني عذت بربكم وربكم أَن ترجمون ﴾ [الدُّخان: 20]، وفي آية أُخرى: ﴿ إنِّي عذت بربي وربكم من كل متكبر لَا يؤمن بيوم الْحساب ﴾ [غَافر: 27]؛ فَأعطَاه الله خلتين: أفنى عدوه، وأورثهم

18- أخرج البخاري في "صحيحه"، (5254)، حَدَّثَنا الحُمَيْديُّ، حَدَّثَنَا الوَليدُ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ الزُّهْريَّ، أَيُّ أَزْواج النَّبي ﷺ اسْتعَاذَتْ منْهُ؟ قَالَ: أَخْبَرَني عُرْوَةُ، عَنْ عَائشَةَ، رضي اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ ابْنَةَ الجَوْن، لَمَّا أُدْخلَتْ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ وَدَنَا منْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ باللَّه منْكَ، فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُذْت بعَظيم، الحَقي بأَهْلك».

19 –ينظر:"تفسير الشعراوي – الخواطر"، (9056/15)

أَرضهم وديارهم، وحكي أَن أم مريَم قَالَت: ﴿ وإِنِّي أُعيذهَا بك وذريتها من الشَّيطَان الرَّجيم ﴾ [آل عمران: 36]؛ فَأَعطَاها الله -تعالى- خلتين: ﴿ فتقبلَها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسَنا ﴾ [آل عمران: 37]، ومريَم - عليها السَّلَام - لما رأَتْ جبريل - علَيه الصَّلَاة والسَّلَام - في صورة بشر يقصدها: ﴿ قالَت أعوذ بالرحمن منْك إن كنت تقيا ﴾ [مريم: 18]؛ فوجدت نعمتين: ولدا من غير أَب، [وتبرئة] الله إيَّاها بلسان ذَلك الْولَد عن السوء؛ وهو قوله تعالَى: ﴿ إِنِّي عبد الله ﴾ [مريم: 30]، وأمر نبيه - محمَّداً - علَيه الصَّلَاة والسَّلَام - بالاستعاذة مرة أُخرى: فقَالَ: ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشَّيطَان وأَعوذ بك رب أَن يحضرون ﴾ [الْمؤْمنونَ: 97، 98]، وقَالَ تعالَى: ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ﴾ [الفلق: 1 و 2]، وقَالَ تعالَى: ﴿ قل أعوذ برب النَّاس ﴾ [النَّاس: 1]، وقَالَ تعالَى: ﴿ وإمَّا ينزغنك من الشَّيطَان نزغ فاستعذ باللَّه إنَّه سميع عليم ﴾ [الْأَعراف: 200]، فَهذه الْآيات دالَّة على أَن الْأَنْبياء - علَيهم الصَّلَاة والسَّلَام - كَانوا أبدا في الاستعاذَة باللَّه - عز وجل من شر شياطين الْجن والْإنْس، ففي "سنن أبي داود"، (4780)، عن معاذ بن جبل، قَالَ: استبَّ رجلان عند النَّبي ﷺ، فغضب أَحدهما غضبا شديدا حتَّى خيل إلَيَّ أَنَّ أَنفه يتمزَّع من شدَّة غضبه، فقال النَّبيُّ ﷺ: "إنِّي لَأَعلم كلمة لَو قالَها لَذَهب عنه ما يجده من الْغضب؟" فقَالَ: ما هي يا رسولَ اللَّه؟ قَالَ: " يقولُ: اللَّهمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من الشَّيطَان الرَّجيم " قَالَ: "فجعل معاذٌ يأْمره، فأَبى ومحك، وجعل يزداد غضبا"، وعن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يعوذُ الحسن والحسين، ويقولُ: " إنَّ أَباكُما كَانَ يعوذُ بها إسماعيل وإسحاق: أَعوذُ بكلمات اللَّه التَّامَّة، من كل شيطَان وهامَّة، ومن كُل عين لامَّة "، أخرجه البخاري في "صحيحه"، (3371)، وعن أَبي هريرة، قَالَ: أُتي النَّبيُّ ﷺ: بلَديغ لَدَغته عقرب، قَالَ: فقَالَ: "لَو قَالَ أَعوذُ بكَلمات اللَّه التَّامَّة من شر ما خلق لَم يلْدَغْ" أَو "لَم يضَرَّه"، أخرجه أبو داود في "سننه"، (3899)، وعن الْوليد بن الْوليد أَنَّه قَالَ: يا رسولَ اللَّه، إنِّي أَجدُ وحشَةً، قَالَ: " إذَا أَخذْتَ مضْجعك فقُلْ: أَعوذُ بكَلمات اللَّه التَّامَّة من غضبه وعقَابه، وشر عباده، ومن همزات الشَّياطين وأَنْ يحضرون، فإنَّه لَا يضرُّك، وبالْحري أَنْ لَا يقْربك " أخرجَه أحمد في "المسند"، (16573)، وعن عمرو بن شعيب، عن أَبيه، عن جده، أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، قَالَ: " إذَا فزع أَحدُكُم في النَّومِ فلْيقلْ: أَعوذُ بكَلمات اللَّه التَّامَّات من غَضَبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشَّياطين وأَنْ يحضرون فإنها لَن تضرَّه ". فكَانَ عبد اللَّه بن عمرو، يلقنها من بلغ من ولَده، ومن لَم يبلُغ منهم كتبها في صك ثُمَّ علَّقها في عنقه، أخرجه الترمذي في

"جامعه"،(3528)، وعَنْ أَبِي هريرَةَ، عنْ عائشة، قالَتْ: فقَدْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً من الْفراش فالْتمسته فوقعت يدي علَى بطْنِ قدميه وهو في الْمسجد وهُما منصوبتان وهو يقولُ: "اللهمَّ أَعوذُ برضاكَ من سخطكَ، وبمعافاتك من عقوبتك، وأَعوذُ بك منْكَ لَا أُحصي ثناءً عليكَ أَنْت كما أَثْنيت علَى نفْسكَ"، أخرجه مسلمٌ (486)،وعَنْ علي بن أَبِي طالب، قالَ: أَكْثر ما دعا به رسولُ اللَّهِ ﷺ عشيَّةَ عرفة في الموقف: "اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ كالَّذي نقولُ وخيرًا ممَّا نقولُ، اللَّهُمَّ لكَ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليكَ مآبي، ولكَ رب تراثي، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من عذاب القبر ووسوسة الصَّدْر وشتات الأَمر، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بك من شر ما يجيء به الريح"، أخرجه الترمذي في "جامعه"،(3520)،وعن عائشة، أنَّها قالت: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل، وربَّ إسرافيل، أَعوذُ بك من حر النَّار، ومن عذاب الْقبر"،أخرجه النسائي،(5519)،وعَن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من الكسلِ والهرم، والمغرمِ والمأْثم، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من عذاب النَّار وفتنة النَّار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيحِ الدَّجَّال، اللَّهُمَّ اغْسل خطَاياي بماءِ الثَّلْجِ والبرد، ونق قلْبي من الخطَايا كما ينقَّى الثَّوب الأَبيض من الدَّنس، وباعد بيني وبين خطَاياي كما باعدْت بين المشْرِق والمغْرب»،أخرجه البخاري في "صحيحه"،(6375)، وعن عائشة، زوجِ النَّبِي ﷺ، أَخبرته: " أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يدْعو في الصَّلاة: اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من عذاب القبر، وأَعوذُ بكَ من فتنة المسيحِ الدَّجَّال، وأَعوذُ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكِ من المأْثم والمغرمِ " فقالَ له قائل: ما أَكْثر ما تستعيذُ من المغرم، فقالَ: «إنَّ الرَّجل إذا غرم، حدَّثَ فكَذب، ووعد فأَخلف"، أخرجه البخاري في "صحيحه"، (832)، وعن أَنس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يقُولُ: "اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من الْجنون، والْجُذَام، والْبرص، وسيئِ الْأَسقَام"، أخرجه النسائي،(5493)،وعن عبد اللَّه بن عمرو، قالَ: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ: "اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ من قَلْب لَا يخْشع، ومن دعاء لَا يسمع، ومن نفس لَا تشبع، ومن علْم لَا ينفع، أَعوذُ بك من هؤلَاءِ الأَربع"،أخرجه الترمذي،(3482)، والأحاديث في ذلك متوافره.

وفي الحديث خلق إسلامي رفيع إنه الاعتراف بالجميل:

الاعتراف بالجميل خلق من الأخلاق الفاضلة، وسجية من السجايا الكريمة، تدل على سلامة القلب، وطهارة النفس، ونقاء السريرة، كما أنها تدل على قيمة من أعظم القيم الإسلامية وهي الوفاء، أما عدم الاعتراف بالجميل والتنكر لصاحبه، فإنه يدل على لؤم الطبع، فالأول من الأخلاق العالية،

والثاني من الأخلاق السيئة، وشتان ما بين الخلقين، لذلك حرص الإسلام على ترسيخ هذا الخلق في نفوس أتباعه، وغرسه في قلوبهم؛ لأنه يترتَّب عليه صلاح المجتمع، والمساعدة في تقوية روابط الألفة والمحبة بين أفراده؛ حتى يصيروا كالجسد الواحد، والبنيان الواحد الذي يشد بعضه بعضا، وقد قصد الشرع الإشادة بالمحاسن، فأشاد رسول الله ﷺ بالصوت في الحرب والسلم، فالأول جاء في "المستدرك"، للحاكم،(5549)، عَنْ جابر، وأَنس قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَصوتُ أَبِي طَلْحةَ فِي الْجَيْش خيرٌ من أَلْف رجلٍ"، وفي "مسند أحمد"،(12278)، عن أَنسَ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: لَصوت أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خير من فئة، والثاني نحو ماجاء في "صحيح البخاري"،(5048)، عَنْ أَبِي موسى رضي اللَّه عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يا أَبا موسى لَقَدْ أُوتيت مزمارا من مزامير آل داود»، وعند مسلم،(793)،قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَبِي موسى: "لَوْ رأَيْتَني وأَنَا أَستَمِع لقراءتكَ الْبارِحةَ، لَقَدْ أُوتيت مِزمارا من مزامير آل داود"،وفي "جامع الترمذي"،(3701)، عَنْ عبد الرَّحْمنِ بنِ سمرة، قَالَ: جَاء عثْمانُ إِلَى النَّبِي ﷺ بأَلْف دينار – قَالَ الحسن بن واقع: وكَانَ فِي موضعٍ آخر من كتابِي، في كُمه – حين جهَّز جيش الْعسرة فنثرها فِي حجره، قَالَ عبد الرَّحْمنِ: فرأَيت النَّبِيَّ ﷺ يقلِّبها في حجره ويقُولُ: "ما ضرَّ عثْمانَ ما عمل بعد اليوم مرَّتين"، مشيدا بجهده الحربي، وَفي "صَحيح البخاري"،(466)، وفي "صحيح مَسلم"،(2382)،عنْ أَبِي سعيد، أَنَّ رسولَ الله ﷺ، جلس على الْمنبر فَقَالَ: "عبدٌ خيَّره الله بين أَنْ يؤتيه زهرة الدُّنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده" فَبكَى أَبو بكْر وبكَى، فَقَالَ: فديناك بآبائنا وأُمَّهاتنا، قَالَ فكَانَ رسولُ الله ﷺ هُو الْمخيَّر، وكَانَ أَبو بكْر أَعلَمنا به، وقَالَ رسولُ الله ﷺ: "إنَّ أَمنَّ النَّاسَ علَيَّ في ماله وصحبته أَبو بكْر، ولَو كنْتُ متَّخذًا خليلا لاتَّخذْتُ أَبا بكْرٍ خليلاً، ولَكن أُخوَّةُ الْإِسلَامِ، لَا تبقَينَّ فِي الْمسجدِ خوخةٌ إِلَّا خوخةَ أَبِي بكْرٍ" 20، شاكرا له

20- يقول القرطبي في "المفهم"، (240/6):" إن أَمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا "، فقد تضمن هذا الكلام: أن لأبي بكر من الفضائل، والحقوق ما لا يشاركه فيها مخلوق. ووزن أمنَّ: أفعل، من المنَّة بمعنى الامتنان، أي: أكثر منَّة، ومعناه: أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ له من الحقوق ما لو كانت لغيره لامتن بها، وذلك: أنه ـ رضي الله عنه ـ بادر النبي ﷺ بالتَّصديق، والناس كلهم مكذبون، وبنفقة الأموال العظيمة، والناس يبخلون، وبالملازمة والمصاحبة، والناس ينفرون، وهو مع ذلك بانشراح صدره، ورسوخ علمه يعلم: أن لله ولرسوله الفضل والإحسان، والمنة والامتنان، لكن النبي ـ ﷺ ـ بكرم خلقه، وجميل معاشرته اعترف بالفضل لمن صدر عنه، وشكر الصنيعة لمن وجدت منه، عملًا بشكر المنعم، ليسن، وليعلم، وهذا مثل ما جرى له يوم حنين مع الأنصار، حيث جمعهم فذكَّرهم بما له عليهم من المنن، ثم اعترف لهم بما لهم من الفضل الجميل الحسن، وقد تقدم في الزكاة. وقد ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يدًا يكافئه الله تعالى

صنيعه وما قدم للرسول والرسالة، وفي "مسند أحمد"،(12902)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا"، وفي رواية: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وبيد أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"21،وهذا أمرَ بمواصلَة الجهد وإِحَسانه وَلو عنَد شدةَ،22 فالإسلام دين متكامل في كلَ شيء وليس للتواكل فيه مكان، فهو يحث

بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد كما نفعني مال أبي بكر.. "، وذكر الحديث، وقال: هو حسن غريب "، ويقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (530/15):"قَوله ﷺ: (إِنَّ أَمَنَّ النَّاس عَلَيَّ فِي مَاله وَصُحْبَته أَبُو بَكْر) قَالَ الْعلَماء: معنَاه أَكْثَرهم جودا وَسَماحَة لَنا بنَفْسه وماله، وَلَيْس هُوَ من الْمَنّ الَّذي هُوَ الاعْتدَاد بالصَّنيعة؛ لأَنَّهُ أَذًى مُبْطل للثَّواب، وَلأَنَّ الْمنَّةَ لله ولرَسُوله ﷺ فِي قَبول ذَلكَ، وَفي غَيْره ".

21- يرغب الرسول ﷺ في الغرس والزرع، فيبين ثواب الغارس والزارع فيقول: من غرس أو زرع زرعا لم يأكل منه آدمي أو طير أو خلق من خلق الله إلا كان له به أجر قصد إطعام هذه المخلوقات أو لم يقصد، رضي بذلك الأكل أو كره، فقد يثاب المرء رغم أنفه. ومثل ذلك الترغيب يقول ﷺ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة" أي نخلة صغيرة "فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فيغرسها" فله بذلك أجر. انتهى من " المنهل الحديث في شرح الحديث "، (276/2)

22- لقد وضعت الإدارة النبوية حوافز كبيرة لاستغلال الأراضي وإصلاحها، ووضعت قواعد شرعية سارت عليها الأمة، فقال: «من أحيا أرضا مواتا فهي له»، وروى البخاري (ت 256 هـ) عن عائشة (ت 56 هـ) قالت: قال النبي ﷺ: «من أعمر أرضا ليست لأحد فهي له»، ويلاحظ من خلال تفحص كتب الحديث المعتمدة اهتمام النبي ﷺ بالزراعة حتى إن البخاري، أفرد بابا في صحيحه سماه: «باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه» وقد أورد قوله: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، وروى الإمام أحمد قوله عليه السلام: «لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل"،كانت هناك مجموعات من الناس تعمل في الزراعة، ففي المدينة كان الأوس والخزرج يعملون بالزراعة بأنفسهم وبالاستعانة بغيرهم، ويبدو أن قبائل المدينة لم تكن تأنف الزراعة، كما كانت تأنفها القبائل العربية الاخرى، أما اليهود فكانوا أصحاب مزارع ونخيل، وكان لديهم من الخبرة ما يجعلهم يتفوقون على غيرهم في الزراعة، حتى إن النبي ﷺ ترك في أيديهم خيبر ووادي القرى وفدك يزرعونها على الشطر فيما يخرج منها، وكان هناك من الموالي من يعمل بالزراعة، ولهذا فإن النبي ﷺ لما حاصر الطائف (سنة 9 هـ)، وأعلن عتق من ينزل إليه من الموالي، نزل إليه ثلاثة وعشرون عبدا من موالي الطائف، وكانت هناك مجموعات من الأحباش تعمل في حقول المدينة، وقد خرج هؤلاء ولعبوا بحرابهم فرحا بقدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة، لقد نظمت الزراعة في عهد الرسول ﷺ تنظيما كبيرا، فقد زرع النخيل في بساتين سميت بالحوائط، وأوردت المصادر عددا من أسماء هذه الحوائط، منها حوائط مخيريق (ت 3 هـ) السبعة، وحائط أبي الدحداح الذي تصدق به على المسلمين»، وكانت هذه الحوائط تحوي نظاما دقيقا للري، إذ تحفر في وسطها الابار الخاصة، وتوضع عليها السواقي، فتقوم السواقي بإخراج الماء فتصبه في القنوات التي تتخلل النخيل أو الأشجار فتسقيها، وكانت هذه البساتين محاطة بأسوار تمنع دخول الناس أو البهائم، ولهذا أطلق عليها اسم «الحوائط»، قام الأنصار بإدارة هذه البساتين بالتعاون مع بعض الأرقاء والأجراء والأجزاء، فكانوا يقومون بحراثتها وزراعتها واستغلالها، وكان البعض الاخر يؤجر هذه البساتين بطريق المزارعة؛ وذلك لعدم قدرتهم على زراعتها.

انتهي من " الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "، (ص:167)

على العمل في كل وقت إلى يوم القيامة23 فالإسلام يحثّ المسلم على الاستفادة القصوى من الوقت حتى في أشد الظروف صعوبة 24،ففي "صحيح البخاري"،(2320)، وفي "صحيح مسلم"،(1553)،عَنْ أَنَس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسا، أَو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أَو إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"،25وقدْ نَهَى عنَ المثلة والإساءة للحياة عموما بريها وبحريها، والباب في هذا كثير26، ولذا قد تكررت وصية القرآن للأبناء ببر الآباء، لأنّ الوالدين قدّما كل شيء، ومن الواجب رد الجميل والعرفان بالفضل لأهله، وأن يحسن الإنسان الى أصله وأن يدعو لهما، وهو نوع من تكافل الأجيال قال تعالى:﴿ ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرها ووضعته كُرها وَحَمْلُهُ وفصالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) ﴾، ومقْصدُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ يَنْحَلُّ إِلَى مَقْصِدَيْنِ: أَحَدُهُمَا: نَفْسَانِيٌّ وَهُوَ تَرْبِيَةُ نُفُوسِ الْأُمَّةِ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِالْجَمِيلِ لِصَانِعِهِ، وَهُوَ الشُّكْرُ، تَخَلُّقًا

23–ينظر:" أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين"، (ص:39)

24– وهذه الأمثلة من نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة، تتعاضد لترسي خلقا مثاليًا وسلوكًا نموذجًا، يُقرُّ بأن ما في الأرض وعليها هو من فيض نعم الله على الإنسان، وأن واجب الشكر يفرض عليه أن لا يضيع هذه النعم، وأن لا يسيء استعمالها بالإسراف والإفساد؛ فالإفساد هو جزء من هذا الكون المترامي الأطراف، من عناصره يتكون جسم الإنسان، ومن خيراته يعيش، وإليه يعود عند الموت، قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: 55].

انتهي من:" الإسلام وحقوق الإنسان في ضوء المتغيرات العالمية"، محمد كمال الدين جعيط، (ص:30)

25– خلق الله الأرض، وقدر فيها أقواتها، وطلب منا أن نثير الأرض، ونضع البذر، ونرعاه بالسقي وغيره لمصلحتنا نحن. ومع ذلك وعدنا على ذلك بالأجر والثواب "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة" حتى ما يسرق منه، له به أجر، ما ينزل عليه من آفة له به أجر، ما يقع له في زرعه من ابتلاء ومصيبة له به أجر، أجر مستمر متكرر متجدد كلما انتفع بهذا الزرع حي من الأحياء، حتى لو مات الزارع بقي زرعه وغرسه صدقة جارية يصله ثواب نفعه، وهو في قبره، طيلة انتفاع الناس به. ففي بعض الروايات "من غرس غرسا في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار، ما انتفع من خلق الرحمن تبارك وتعالى أحد" وفي رواية "من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر، كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل" ولقد بلغ من حث الشريعة على الزرع، والحرص عليه حتى آخر لحظة من الحياة أن قال رسول الله ﷺ "إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة – أي نبته شجر صغيرة أو نخلة صغيرة "شتلة زرع" فاستطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها".

انتهي من " فتح المنعم شرح صحيح مسلم "، (265/6)

26–ينظر:" المقدمة في فقه العصر"، (242/1)

بأخلاق الْباري تعالَى في اسْمه الشَّكُور، فكَما أَمر بشُكْر اللَّه علَى نعْمة الخَلْق والرّزق أَمر بشُكْر الْوالدين علي نعمة الْإيجاد الصُّوري ونعمة التَّربية والرَّحْمة، وفي الْأَمر بشُكْر الْفضائل تنويهٌ بها وتنبيه على الْمنافسة في إسْدائها، والْمقْصد الثَّاني عمرانيٌّ، وهو أَنْ تكُون أَواصر الْعائلة قويَّة الْعرى مشْدودة الْوثُوق فأَمر بما يحقق ذلك الْوثُوق بين أَفْراد الْعائلة، وهو حسن الْمعاشرة ليربي في نفوسهم من التَّحاب والتَّواد ما يقوم مقام عاطفة الْأُمومة الْغريزيَّة في الْأُم، ثُمَّ عاطفة الْأُبوَّة الْمنبعثة عن إحساس بعضه غريزيٌّ ضعيف وبعضه عقْليٌّ قويٌّ حتَّى أَنَّ أَثَر ذلك الْإحساس ليساوي بمجموعه أَثَر عاطفة الْأُم الْغريزيَّة أَو يفوقها في حالَة كبر الابن. ثُمَّ وزَّع الْإسلَام ما دعا إليه من ذلك بين بقيَّة مراتب الْقرابة علي حسب الدُّنو في الْقرب النسبي بما شرعه من صلَة الرَّحم، وقد عزَّز اللَّهُ قابليَّة الانْسياق إلَى تلْك الشّرعة في النُّفُوس، جاء في الْحديث: «أَنَّ اللَّه لَمَّا خلَق الرَّحم أَخذَتْ بقائمة من قوائم الْعرش وقالَت: هذَا مقَام الْعائذ بك من الْقطيعة. فَقَالَ اللَّهُ: أَمَّا ترضين أَنْ أَصل من وصلَك وأَقْطع من قطعك»27، وفي الْحديث: «إنَّ اللَّه جعل الرَّحم من اسْمه الرَّحيم»، وفي هذَا التَّكْوين لأَواصر الْقرابة صلَاحٌ عظيم للْأُمَّة تظْهر آثاره في مواساة بعضهم بعضا، وفي اتّحاد بعضهم مع بعض، قَالَ تعالَى: ﴿ يا أَيُّها النَّاس إنَّا خلَقْناكُم من ذكَر وأُنْثى وجعلْناكُم شعوبا وقبائل لتعارفُوا ﴾[الحجرات: 13]، وزاده الْإسلَامُ توثيقا بما في تضاعيف الشَّريعة من تأْكيد شدّ أَواصر الْقرابة أَكْثر ممَّا حاوله كُلُّ دين سلف28، والتَالي لَكتاب الله يَعلمَ كيفَ علَّمنَا الله، أنَ نتعامَل معَ أصحابَ الفضلَ الرَّفيع..، إنه توجيه ربَّانيٌّ، لمن أنجبني وربَّاني:﴿ وقضى ربُّك أَلَّا تعبدُوا إلَّا إيَّاه وبالْوالدين إحْسانًا ﴾، إحسانٌ ﴿ إمَّا يبلُغنَّ عنْدك الْكبر أَحدُهما أَو كلَاهُما فلَا تقُل لَهُما أُفّ ولَا تنْهرْهُما ﴾، احترام ﴿ وقُل لَهما قَولًا كَريما ﴾، قولٌ جميل ﴿ واخفضْ لَهُمَا جناح الذُّل من الرَّحْمة ﴾، تواضع ﴿ وقُل رَّب ارحَمهما كَما ربَّياني صغيرا ﴾[الإسراء:

27-الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه"، (4830)، عنْ أَبي هُريرة رضي اللَّهُ عنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: " خلق اللَّه الخلْق، فلَمَّا فرغَ منْهُ قَامت الرَّحمُ، فأَخذتْ بحقْو الرَّحْمن، فَقَالَ لَه: مه، قالَتْ: هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة، قَالَ: أَلاَ ترْضيْنَ أَنْ أَصل منْ وصلَك، وأَقْطع من قَطعك، قالَت: بلَى يا رب، قَالَ: فذَاك " قَالَ أَبو هريرة: " اقْرءوا إنْ شئتمْ: {فهلْ عسيتم إنْ تولَّيتم أَنْ تفسدُوا في الأَرض وتقطّعُوا أَرحامكُم} [محمد: 22] "، وعند مسلم، (2554)، " إنَّ الله خلق الخلْق حتَّى إذا فرغ منْهم قامت الرَّحم، فَقالَت: هذا مقامُ العائذ من الْقطيعة، قَالَ: نعم، أَما ترضينْ أَنْ أَصل منْ وصلَك، وأَقْطع منْ قطعك؟ قَالَتْ: بلَى، قَالَ: فذَاك لَك " ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: اقْرءوا إنْ شئتمْ: {فهل عسيتم إنْ توليْتم أَنْ تُفسدُوا في الْأَرض وتقطّعُوا أَرحامَكُم، أُولَئكَ الّذين لعنهم الله فأَصمَّهم وأَعمى أَبْصارهم، أَفلا يتدبَّرون الْقُرآن أَمْ على قُلُوب أَقْفالُها} [محمد: 23].

28 - ينظر:"التحرير والتنوير"، لابن عاشور، (15-73-74)

23- 25] 29،وهذا النموذج، الذي نشاهده في الآية، نموذج للفطرة المستقيمة التي ترعى أصلها وتتعهد ذريتها، وهذا النموذج يقبل الله عمله ويحشره في أصحاب الجنة30، والناظر في سيرة النبي ﷺ، يجد أنه كان أكثر الناس اعترافًا بالجميل وإقرارا بالفضل، وحفظًا للود، ووفاء بالعهد حتى مع غير المسلم، ولِمَ لا؟ وقد كان أحسن الناس خلقًا31، وأكمل الناس أدبا، وها كم بعضا من مواقفه في حفظ الجَميل؛ لتكون دافعا لنا إلى التخلق بهذا الخلق الجميل، فمن ذلك حفظه ورعايته لمعروف نسائه، فقد حفظ لهن المعروف بعد وفاتهن؛ فمن ذلك حفظ المعروف لزوجته الأولى خديجة بعد وفاتها؛ ففي "صحيح البخاري"،(3818)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»،وفي "صحيح مسلم"،(2435)،عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: "أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ" قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا"32، فهنا أمرنا الإسلام بردّ الجميل لزوجتك الوفيَّة التي

29- رد الجميل، هلال الهاجري، ملتقي الخطباء، https://khutabaa.com/ar، اطلع عليه بتاريخ:2021/5/26م

30-ينظر:" الموسوعة القرآنية، خصائص السور"، (146/8-147)

31- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا". أخرجه البخاري في "صحيحه" (6129)، ومسلم في "صحيحه" (2150)

32- يقول الْقُرْطُبِيُّ كَانَ حبُّه ﷺ لَهَا لما تَقَدَّم ذِكْرُه من الْأَسْبَاب وَهِي كَثِيرَةٌ كُلٌّ مِنْهَا كَانَ سببا فِي إِيجَاد الْمَحَبَّة وممَّا كَافَأَ النَّبِيُّ ﷺ به خَدِيجَةَ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ فِي حَيَاتِهَا غَيْرَهَا فروى مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ وَهَذَا مِمَّا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ وَعَلَى مَزِيدِ فَضْلِهَا لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرِهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ غَيْرُهَا مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ ﷺ عَاشَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا انْفَرَدَتْ خَدِيجَةُ مِنْهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْوُ الثُّلُثَيْنِ مِنَ الْمَجْمُوعِ وَمَعَ طُولِ الْمُدَّةِ فَصَانَ قَلْبَهَا فِيهَا مِنَ الْغَيْرَةِ وَمِنْ نَكَدِ الضَّرَائِرِ الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَمْ يُشَارِكْهَا فِيهَا غَيْرُهَا وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ سَبْقُهَا نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الْإِيمَانِ فَسَنَّتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدَهَا فَيَكُونُ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِنَّ لِمَا ثَبَتَ أَنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الثَّوَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْمُعَاشِرِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِكْرَامِ مَعَارِفِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ. انتهى من "فتح البَارِي"، لابن حجر، (137/7)

أفنت شبابها وجمالها لك، ونثرت بطنها لك؟، الوفاء للزوجة وأهل العشرة والمعروف، كلنا يلقى الخير من والديه وزوجه وأساتذته وبعض جيرانه وأحبابه، ثم تدور الأيام، فينسى المرء حق هؤلاء أو بعضهم عليه، ولربما لقي في الشارع أستاذه فأعرض عن السلام عليه، ولربما نسي الواحد فضل زوجه عليه وتعبها في تربية أبنائه ورعاية بيته، فطلقها بعد طول خدمتها له ولأولاده لسبب تافه أو لغير سبب، وأعظم منه جرما أن ينسى بعضنا حق والديه عليه وما قدماه له حال صغره، فيعرض عنهما في كبرهما، ولربما أهمل رعايتهما، وأسلمهما إلى دور الرعاية لتقوم بالواجب نيابة عنه، لذا فنحن أحوج ما نكون للتأمل في خلة جميلة تزين بها المصطفى ﷺ، وهي الوفاء الذي هو حسن العهد، وهو الذي عده النبي ﷺ من خصال الإيمان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: " جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسولُ الله ﷺ: من أنت؟ قالت: أنا جثَّامةَ المزنيَّة فقال: بل أنت حسَّانةُ المزنيَّة كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت بخير بأبي أنت وأمّي يا رسولَ الله فلَما خرجتُ قلتُ: يا رسولَ الله تُقبلْ على هذه العجوز هذا الإقبالَ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإنَّ حسن العهد من الإيمان"، أخرجه الحاكم في مستدركه (1/ 62)، والبيهقي في الشعب (6/ 517)، وقال البخاري في صحيحه: (باب: حسن العهد من الإيمان)33،(ح:6004)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

ويقول النووي: "في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب"، وقال ابن بطال: "حسن العهد في هذا الحديث هو إهداء النبي عليه السلام اللحم لأجوار [أي جيران] خديجة ومعارفها؛ رعيا منه لذمامها، وحفظاً لعهدها، قال أبو عبيد: العهد فى هذا الحديث الحفاظ ورعاية الحرمة والحق، فجعل ذلك البخارى من الإيمان؛ لأنه فعل بر وجميع أفعال البر من الإيمان

انتهي من:"شرح صحيح مسلم "، للنووي، (15/ 202)، و شرح صحيح البخاري"، لابن بطال (9/ 216).

33- قَولُه: (باب حُسنِ الْعهْد من الْإِيمَان) قَالَ أَبُو عُبيد: الْعهْدُ هنا رعَايَة الْحُرْمَة. وقَالَ عياضٌ: هو الاحْتفَاظُ بالشَّيْء والْمُلَازمَة لَهُ. وقَالَ الرَّاغب: حفْظُ الشَّيْء ومراعَاته حالًا بعد حال. وعهدُ اللَّه تارة يكُونُ بما ركَزه في الْعقْل وتارةً بما جاءت به الرُّسلُ، وتارةً بما يلْتزمه الْمكَلَّفُ ابتداء كالنَّذْر، ومنه قولُه - تعالَى -: { ومنْهم من عاهد اللَّهَ } وأَمَّا لَفْظُ " الْعهْد " فيُطْلَق بالاشْتراك بإزاء معان أُخْرى، منْها الزَّمانُ والْمكَانُ والْيمين والذّمَّةُ والصحَّةُ والْميثَاق والْإِيمَانُ والنَّصيحة والْوصيَّةُ والْمطَرُ، ويقَالُ لَه الْعهاد أَيضا قولُها: (فَارتَاح لذَلكَ) أَي هشَّ لمجيئها، وسرَّ بها لتذَكُّره بها خديجة وأَيَّامها. وفي هذَا كُلُّه دليل لحسن الْعهْد، وحفْظ الْودّ، ورعاية حرمة الصَّاحب والْعشير في حياته ووفاته، وإكْرام أَهْل ذَلك الصَّاحب، قولُها: (عجوز من عجائز قُريش حمْراء الشّدْقين) معناه عجوز كبيرة جدًّا حتَّى قد سقطت أَسنانُها من الْكبر، ولَمْ يبق لشدْقها بياض شيء من الْأَسْنَان، إنَّما بقي فيه حمْرة لثَاتها، قَالَ الْقَاضي: قَالَ الْمصريُّ وغيره من الْعلَماء بالْغيرة مسامح للنّساء فيها، لَا عقُوبة عليْهنَّ فيها؛ لما جبلْن عليه من ذَلك، ولهذَا لَمْ تزجر عائشة عنها قالَ الْقَاضي: وعنْدي أَنَّ ذَلك جرى من عائشة لصغر سنّها، وأَوَّل شبيبتها، ولعلَّها لَمْ تكُن بلغت حينئذ.





مَا غرتُ عَلَى امْرَأَة مَا غرتُ عَلَى خَدِيجَة، وَلَقَدْ هلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاث سنين لمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يذْكُرهَا، وَلَقَدْ أَمرهُ رَبُّهُ أَنْ يبشّرهَا ببيت في الْجَنَّة من قَصب، وإنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺلَيَذْبح الشَّاة، ثُمَّ يهدي في خلَّتها منْهَا "، وفيَ "صَحِيحً البَخاري"،(3816)، وَمسلم،(2434)،عَنْ عَائشَة قَالَت: اسْتَأْذَنت هَالَةُ بنْتُ خُويلد أُختُ خَديجَة عَلَى رَسول الله ﷺفعرفَ استئْذَانَ خَديجَة، فَارْتَاح لذَلكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةُ بنْتُ خُوَيْلد! فَغرتُ، فَقُلْتُ: وما تَذْكُرُ من عجوز من عجَائز قُرَيْش حَمْرَاء الشّدْقَيْنِ هلَكَتْ في الدَّهْر فَأَبدلَكَ اللهُ خيرًا منْهَا.!"، فما أجمل الوفاءَ! (ولا تَنسوا الْفَضلَ بَينَكُم) (البقرة:237) فحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيًّا وميتًا من الإيمان؛ فلا تنسى في يوم ما من أسدى إليك معروفا، ﴿ وما كَانَ ربُّكَ نَسيًّا ﴾، [مريم:64]، حَسن العهد ورعاية الحرمة،فإنَّ هذا من شعب الإيمان،ومن خصاله وصفاته.

إن حسن العهد يكون بحسن العشرة،ورعاية الحرمة،وزيادة المحبة والألفة،ولا يمكن أن يُحسن الإنسان عهده بإنسان، وهو لم يحبه أو يألفه،أو يعاشره مدة من الزمان،إن حسن العهد من الإيمان،بين زوج وزوجته،وابن وأبيه،وأب وولد،وصديق وصديقه،وجار وجاره،وتلميذ ومعلمه، ولقد حقق النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه هذا المعنى أتم تحقيق،وكذلك صحابته الكرام رضوان الله عليهم،حققوا هذا المعنى تحقيقا كبيرا، وقد شرح الشوكاني الحديث بقوله: "إن حسن العهد" أي الوفاء والخفارة ورعاية الحرمة «من الإيمان» أي من أخلاق أهل الإيمان ومن خصائلهم أو من شعب الإيمان34،وأخرج البخاري في "الأدب المفرد"،(1295)، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ ثَوْبَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ ثَوْبَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقْسِمُ لَحْمًا بِالْجِعْرَانَةِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ أَحْمِلُ عُضْوَ الْبَعِيرِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ "، ولقد كَانَ النَّاس في أيَام الخير، يُجازون على الجَميل بالكَثير، وأخرجَ ابن أبي الدَنيا في "مكارم الأخلاق"،(374) بسنده: أَخْبرني أَبُو زيد النُّميريُّ، قَالَ: أَبو سلَمَة الْغفَاريُّ قَالَ: أَخْبرني عبدُ الرَّحْمن بن عبد اللَّه، أَحَدُ بني عدي بن كَعب قَالَ: أَقْبلَ سعيدُ بنِ الْعَاص يومًا يمشي وحدَه في الْمسجد، فقام إِلَيه رجل من قُرَيش، فمشى عن يمينه، فلَمَّا بلَغَا دار سعيد الْتفت إِلَيه سعيدٌ فقَالَ: «مَا حَاجتُكَ؟» قَالَ: لَا حاجة لي رَأَيتكَ تَمْشي وحَدَكَ فوصَلْتُكَ، فَقَالَ سَعيدٌ لقهرمانه أَبي كَعب: «ماذَا لَنا عنْدَكَ؟» قَالَ: ثَلَاثُونَ أَلْفًا،

34- ينظر:"الدين المعاملة"، منقذ بن محمود السقار، (ص:122)





قَالَ: «ادْفَعْهَا إِلَيْه»[35]، فقد حفظ النبي ﷺ للعهد السلف بالخير فانظر إليه، كيف حفظ ﷺ العهد مع الأنصار بعد فتحه لمكة، ففي "مسند أحمد"،(11909)، عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ مَا أَعْطَى منْ تلْكَ الْعَطَايَا في قُرَيْشٍ وقَبائلِ الْعَرب، ولَمْ يَكُنْ في الْأَنْصار منْهَا شيء، وجد هَذَا الْحَيُّ منَ الْأَنْصار في أَنْفُسهم حَتَّى كَثُرَتْ فيهم الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائلُهمْ: لَقيَ رَسُولُ الله ﷺقومه، فَدخل عليه سعد بن عبادة فقَالَ: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الْحَيَّ قَدْ وَجدوا عليك في أَنْفُسهم لما صنعت في هَذَا الْفَيْء الَّذي أَصبتَ، قَسمت في قَومك وأَعطيت عطَايا عظَاما في قَبائلِ الْعَرَب، ولَمْ يكُ في هَذا الْحَي من الْأَنْصَار شَيء، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ منْ ذَلكَ يا سعدُ؟ قَالَ: يَا رسولَ الله، ما أَنَا إلَّا امرؤٌ من قَومي، وما أَنَا؟ قَالَ: فاجْمع لي قومكَ في هَذه الْحَظيرة، قَالَ: فَخرج سعدٌ فَجمع الْأَنْصَار في تلْكَ الْحَظيرة، قَالَ: فَجاء رجالٌ من الْمهاجرين فَتركَهم، فَدَخلُوا وجاء آخرون فَرَدَّهم، فلَمَّا اجتَمعوا لَه أَتَاه سَعدٌ فقَالَ: قَد اجتَمع لَكَ هَذَا الْحَيُّ من الْأَنْصار، قَالَ: فَأَتَاهم رسولُ الله ﷺ فَحمدَ الله وأَثْنَى عَلَيه بالَّذي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: يا معْشَر الْأَنْصار ما قَالَةٌ بلَغَتْني عَنْكُمْ وجدَةٌ وجدْتمُوهَا فِي أَنْفُسكُمْ، أَلَمْ آتكُمْ ضُلَّالًا فَهدَاكُم الله، وعالَةً فَأَغْنَاكُم الله، وأَعداء فأَلَّف الله بين قُلُوبكُمْ؟ قَالُوا: بلِ الله ورسولُه أَمَنُّ وأَفْضل، قَالَ: أَلَا تُجيبونَنِي يا معْشَر الْأَنْصار؟ قَالُوا: وبِماذَا نُجيبُكَ يا رَسولَ الله؟ وللَّه ولرسوله الْمنُّ والْفَضْلُ، قَالَ: أَما والله لَوْ شئتم لَقُلْتم فَلصدقْتم ولَصدّقتم، أَتيتنَا مكَذَّبا فصدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولًا فَنَصرناكَ، وطَريدا فآويناكَ، وعَائلًا فَآسيناكَ، أَوجَدْتمْ في أَنْفُسكُمْ يا معشر الْأَنْصار في لُعاعَة من الدُّنْيا تَأَلَّفْتُ بها قَوما ليسلموا ووكَلْتُكُم إِلَى إِسْلَامكُمْ، أَفَلَا تَرْضَون يا معشر الْأَنْصار أَنْ يَذْهَبَ النَّاس بالشَّاة والْبَعير، وتَرجعونَ برسول الله في رحالكُمْ، فوالَّذي نفْسُ مُحَمَّد بيده لَوْلَا الْهجرةُ لَكُنْتُ امرءًا من الْأَنْصار، ولَو سلَكَ النَّاس شعبا وسلَكَت الْأَنْصار شعبا لَسلَكْتُ شعبَ الْأَنْصَار، اللَّهمَّ ارْحم الْأَنْصَار وأَبناء الْأَنْصَار وأَبناء أَبْنَاءَ الْأَنْصار، قَالَ: فَبكَى الْقَوم حتَّى أَخْضَلُوا لحاهم، وقَالُوا: رضينا برسول الله قسما وحظًّا، ثُمَّ انْصرفَ رسولُ الله ﷺ وتفرَّقُوا،ومن ذلك حفظه المعروف لأصحابه الكرَام، وَمجازاتَهمَ على ما بذلوه في نصرة الإسلام، وَالدفاع عن نبيه، ذلك لجهادهم

35- ومن صور الوفاء للزوجة ولغيرها من أصحاب الحقوق الدعاء لهم بعد وفاتهم، فقد كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها والاستغفار لها، فالاستغفار للميت من خير ما يهدى إليه، وهو دليل وفاء، وحجة صدق في العهد، لا يفرط في فعله كل من يحب النبي ﷺ ويتأسى به، الوفاء للأصحاب وغيرهم حال الخطأ والزلل، والوفاء ليس خاصا بالزوجة، بل هو خلق كريم يرعاه المرء مع جاره وصاحبه ومع كل ذي مودة وفضل وسابق عشرة.انتهى من: " الدين المعاملة"، منقذ بن محمود السقار"، (ص:127)

الطويل معه في سبيل دعوته، وكفاحهم المتواصل في سبيل نصرة دينه، هذا الدين الذي ما قام إلا على أكتافهم، وما توطدت أركانه إلا بسبب تضحياتهم وتحمُّلهم العناء الكبير والتعب المتواصل في سبيل رفع رايته، ونشر لوائه، لذلك نهانا عن سبهم حفظًا لجميلهم، وإقرارا بفضلهم، ففي "صحيح مسلم"،(2540)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»، وفي "مسند أحمد"،(11079)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ "، قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ: مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَنْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ وَمَنْ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ يُبْغِضُهُ لِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالْخَوْفُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُرْفَعَ لَهُ عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يُحِبَّهُمْ جَمِيعًا وَيَكُونَ قَلْبُهُ لَهُمْ سَلِيمًا36،ويقول الذهبي في كتابه:"الكبائر"،(ص:237)،:"قَوله (فَمن أحبهم فبحبي أحبهم وَمن أبغضهم فببغضي أبغضهم) فَهَذَا من أجل الْفَضَائِل والمناقب لِأَن محبَّة الصَّحَابَة لكَوْنهم صحبوا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ونصروه وآمنوا بِهِ وعزروه وواسوه بالأنفس وَالْأَمْوَال فَمن أحبهم فَإِنَّمَا أحب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فحب أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الصَّحِيح حب الْأَنْصَار من الْإِيمَان وبغضهم من النِّفَاق وَمَا ذَاك إِلَّا لسابقتهم ومجاهدتهم أَعدَاء الله بَين يَدي رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَكَذَلِكَ حب عَليّ رَضِي الله عَنهُ من الْإِيمَان وبغضه من النِّفَاق وَإِنَّمَا يعرف فَضَائِل الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فِي حَيَاة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَبعد مَوته من الْمُسَابقَة إِلَى الْإِيمَان وَالْمُجَاهدَة للْكفَّار وَنشر الدّين وَإِظْهَار شَعَائِر الْإِسْلَام وإعلاء كلمة الله وَرَسُوله وَتَعْلِيم فَرَائِضه وسننه ولولاهم مَا وصل

36- ينظر:" أصول السنة"، لابن أبي زَمَنِين، (ص:268)

يقول المقدسي في "لمعة الاعتقاد"، (ص:39):" ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم. واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر: 10] وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29].

إِلَيْنَا من الدين أصل وَلَا فرع وَلَا علمنَا من الْفَرَائِض والسنَن سنة وَلَا فرضا وَلَا علمنَا من الْأَحَادِيث وَالْأَخْبَار شَيْئا فَمن طعن فيهم أَو سبهم فقد خرَج من الدين ومرق من ملَّة الْمُسلمين لِأَن الطعنَ لَا يكون إِلَّا عن اعْتِقَاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تَعالَى فِي كِتَابه من ثنائه عَلَيْهِم وما لرسول الله صَلى الله عَلَيْهِ وسلم من ثنائه عَلَيْهِم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم وَلِأَنَّهُم أرضى الْوَسَائِل من الْمَأْثُور والوسائط من الْمَنْقُول والطعن فِي الوسَائِط طعن فِي الأَصل والازدراء بالَناقل ازدراء بالمنقوَل هذَا ظَاهر لمن تدبره وسلم من النِّفَاق ومن الزندقة والإلحاد فِي عقيدته"

ومن ذلك مجازاته ﷺ لربيعة بن كَعب، ففي "مسند أحمد"،(16846)، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَاجَةٌ، فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي، فَأَرْقُدَ، قَالَ: فَقَالَ لِي يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي، فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي، فَإِنَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ: سَلْنِي أُعْطِكَ، وَكُنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ، نَظَرْتُ فِي أَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِآخِرَتِي، قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي فَاعِلٌ، فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"، وأصله في "صحيح مسلم"،(489)،عن رَبِيعَة بن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ. فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ! قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ"37، وفي "صحيح ابن

37- يقول القرطبي في "المفهم"، (93/2):"أو: سل غير ذلك؛ كأنه حضَّه على سؤال شيء آخر غير مرافقته؛ لأنه فهم منه أن يطلب المساواة معه في درجته، وذلك مما لا ينبغي لغيره، فلما قال الرجل: هو ذاك؛ قال له: أعنِّي على نفسك بكثرة السجود؛ أي: الصلاة؛ ليزداد من القرب ورفعة الدرجات، حتى يقرب من منزلته، وإن لم يساوه فيها. ولا يعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب: ألا رجل يأتيني بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة؛ لأن هذا مثل قوله تعالى: { فَأُولَئِكَ مع الذين أَنْعم اللَّه عَلَيْهِم } الآية؛ لأن هذه الْمعيَّة هي

حبان"،(ص:984)، عن جابر، قال: أتيت النبي ﷺأستعينه في دين كان على أبي، فقال: آتيكم، فقلت للمرأة: إن رسول الله ﷺيأتينا، فإياك أن تكلميه أو تؤذيه، قال: فأتى ﷺ، فذبحت له داجنا كان لنا، قال: يا جابر كأنك علمت حبنا اللحم؟ فلما خرج، قالت له المرأة: يا رسول الله: صل علي وعلى زوجي، قال: ففعل، فقال لها: ألم أقل لك؟ فقالت: رسول الله ﷺكان يدخل بيتي ويخرج ولا يصلي علينا؟!،وفي "صحيح البخاري"،(6208)، و"صحيح مسلم"،(209)، عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"، وفي "صحيح ابن حبان"،(7055)، عن ابن عباس، قال: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعت لرسول الله ﷺطهورا، فقال: من وضع هذا؟ قالت ميمونة: عبد الله، فقال ﷺ:" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، وأخرج البخاري في "صحيحه"،(77)، وفي "صحيح مسلم"،(33)،عن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري: أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺممن شهد بدرا من الأنصار: أنه أتى رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار، سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأفعل إن شاء الله"، قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺوأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺفأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟. قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺفكبر، فقمنا فصفنا، فصلى ركعتين ثم سلم، قال: وحبسناه على خزيرة صنعناها له، قال: فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد، فاجتمعوا، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن، أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله؟". قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"، وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يترك جميلا إلا رده بما هو أحسن منه انطلاقا من قوله تعالى:﴿ هل جزاء الإحسان

النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة على مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم، وقد دلّ على هذا أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: المرء مع من أحب، وله ما اكتسب".




إِلا الإِحْسَانُ ﴾[الرحمن: 60]، ومن ذلك مجازاته ﷺ المطْعِم بن عدي، وهو الذي أجار النبي ﷺ عندما أتى من الطائف مهموما حزينا لما رفضوا دعوته، وسلطوا عليه سفهاءهم يقذفونه بالحجارة، فخشي أن يمنعه أهل مكة من دخول مكة، فدخل النبي ﷺ في جوار المطعم؛ حتى يحميه من أذى المشركين، ويمكنه من دخول مكة بلا عنت أو أذى، مع أن المطعم هذا كان مشركًا، وقد حفظ النبي ﷺ هذا الجميل للمطعم، فقال يوم غزوة بدر عندما أسر سبعين من المشركين:"لَوْ كَانَ المطْعِمُ بن عدي حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ"، أخرج البخاري في "صحيحه"، (765)، ومسلم (463)، عن مُحَمَّدِ بن جُبَيْرٍ، عن أَبِيهِ رضي الله عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بن عدي حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهم له"38، مُكَافَأَةً لَهُ لقيامه في شأْن نَقْض الصَّحِيفَة 39، والمراد بالنتنى (الأَسرى من المشركين) والمطعم بن عدي هو الذي أجارَ النبي ﷺ حين رجع منَ الطائف وهو الذي قام بنقض الصحيفة، فقال ذلك النبي ﷺ مكافأة له على جميلة وإحسانه40، ففي هذا دليل على رد الجميل والمعروف حتى وإن كان الفاعل لو كافرا وهذا يؤيده عموم قوله ﷺ: "من صنع إليكم معروفًا فكافئوه"41،وفي السَّنة التَّاسعة للهجرة مات عَبدُ الله بن أُبَيٍّ ابن سلُولَ رأس المنافقين، بعدَ سنوات مِن عداوة الإسلام، والكيد للنَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، والطَّعن في عِرضه الطَّاهر من الآثام، فيحضرُ قبرَه، ويستغفر لهُ، ويلبسه قَميصه، أتعلمونَ لماذا؟، لأنَّ العباس رضي اللَّه عنه عمَّ رسول الله ﷺ لمَّا جيء به أسيرا يوم بدر، لم يكن له ثوبٌ، وكانَ رجلًا طويلًا، فلم يجدوا قميصا يناسبه إلاَّ قَميص ابنِ سلول، فأعطاه العباس. فلم ينس له رسولُ الله ﷺ هذا الجميل في عمّه، فقد أخرج البخاري في "صحيحه"،(3008)، عن عمرو سمع جابر بنَ عَبد الله رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا كَانَ يوم بدر أُتِي بأُسَارى وأُتِيَ بالْعَبَّاسِ ولَم يكُنْ عليه ثوب فنظر النَّبِيُّ ﷺله قَميصًا فَوجدوا قَميص عَبْد الله بن أُبَيٍّ يقْدَر عليه فكَسَاه النَّبِيُّ ﷺإِيَّاه فَلذَلكَ نزع النَّبِيُّ ﷺقَميصَهُ الَّذي

38– وذلك لأن المطعم بن عدي، كان من أشراف قريش، وكان له عند رسول الله ﷺ يد، فقد كان أجاره حين رجع من الطائف، على إثر ذهابه لدعوة ثقيف، وكان أيضا أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وكانت وفاته قبل بدر بنحو سبعة أشهر، فقول الرسول ﷺ هذا، نوع من المكافأة لمطعم والشكر لإحسانه، خصوصا وأنه قد قاله لابنه قبل إسلامه أيضا، ، وقد كان حضر للشفاعة في أسارى بدر، وقد رثى حسان بن ثابت المطعم بن عدي لما توفي. انتهي من " الولاء والبراء في الإسلام"، (ص:65)

39– ينظر:" الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، (13/8)

40– ينظر:" روائع البيان تفسير آيات الأحكام"، للصابوني، (606/1)

41–ينظر:"فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام"، (489/5)





أَلْبسه42، قَالَ ابن عيينة: كَانَتْ لَه عنْدَ النَّبِي ﷺيدٌ فَأَحبَّ أَنْ يُكَافئه،وفي رواية عند الحاكم في "مستدركه"،(5467)، عن جابر قَالَ: كَانَ الْعبَّاس بِالْمدينَة، فَطَلَبت الْأَنْصار ثَوبا يلْبسونَه، فلَم يَجدُوا قَميصا يصلح علَيْه إِلَّا قَميص عبد الله بن أُبي فَكَسَوه إِيَّاه، قَالَ جَابر: وكَانَ الْعبَّاس أَسير رسول الله ﷺ يوم بدر، وإنَّما أُخرِج كَرها، فحُمل إلَى الْمدينة فكَسَاه عبدَ الله بن أُبيٍّ قَميصه، فلذَلك كفَّنَه رسولُ الله ﷺ في قَميصه مكَافأَةً لما فعلَ بِالْعبَّاس".

ومن ذلك حفظه لجميل أبي بكر الصديق:

لقد كان أبو بكر هو أول من أسلم من الرجال، وسارع في تصديق النبي ﷺ بلا تلكؤ أو تردد، كما كان أكثر الناس مساعدة للنبي في دعوته، سواء ببدنه أو ماله؛ لذلك حفظ له النبي جميله، فقال مثنيا عليه ومظهرا فضله،عن أَبي سعيد الْخُدْري قَالَ: خطَب النَّبيُّ ﷺ فقَالَ: إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكَى أَبو بكْر رضي الله عنه، فقلْتُ في نفْسي: ما يبكي هذا الشَّيخ؟ إنْ يكُن الله خيَّر عبدًا بين الدُّنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكَانَ رسولُ الله ﷺ هو الْعبد، وكَانَ أَبو بكْر أَعلَمنا، قَالَ: يا أَبا بكْر، لَا تبك، إنَّ أَمنَّ النَّاس علَيَّ في صحبته وماله أَبو بكْر، ولَو كُنت متَّخذًا خليلا منْ أُمَّتي، لَاتَّخَذْت أَبا بكْرٍ، ولَكن أُخوَّةُ الْإِسلَام ومودَّتُه، لَا يبقَينَّ في الْمسجد باب إِلَّا سدَّ، إلَّا باب أَبِي بكْر"4443

42- يقول العيني في "عمدة القاري"، (257/14)، قوله: " فلذلك " أي فلأجل ذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه من بدنه فألبسه عبد الله بعد وفاته مكافأة على صنيعه، وهو معنى قوله: قال ابن عيينة، أي سفيان بن عيينة، كانت له، أي لعبد الله، عند النبي صلى الله عليه وسلم يد، أي نعمة، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكافئه، وفيه أن المكافأة تكون في الحياة وبعد الممات، وفيه كسوة الأسارى والإحسان إليهم ولا يتركون عراة فتبدو عوراتهم، ولا يجوز النظر إلى عورات المشركين.

43- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (466)، ومسلم في "صحيحه"، (2382)

44- يقول النووي في شرح الحديث في "شرح صحيح مسلم"، (532/15)، :"قَولُه ﷺ: إنَّ أَمنَّ النَّاس علَيَّ في مَاله وصُحْبته أَبو بَكْر، قَالَ الْعلَماء: معنَاه أَكْثَرهم جودا وسَماحة لَنَا بنَفْسه ومَاله، ولَيس هو من الْمن الَّذي هو الاعْتدَاد بالصَّنيعة؛ لأَنَّه أَذًى مبطل للثَّواب، ولأَنَّ الْمنَّة للَّه ولرسوله ﷺ في قَبول ذَلكَ، وفي غَيره، قَولُه ﷺ: (ولَو كُنت متَّخذًا خليلًا لَاتَّخَذْت أَبَا بَكْر خليلًا، ولَكنْ أُخوَّة الْإِسلَام) وفي رواية: (لَكنْ أَخي وصَاحبِي، وقَد اتَّخَذَ اللَّه صاحبكُم خَليلًا) قَالَ الْقَاضي: قيلَ: أَصل الْخُلَّة الافْتقَار والانْقطَاع، فَخَليل اللَّه الْمنْقَطع إليه. وقيلَ: لقَصْره حاجته علَى اللَّه تعَالَى، وقيلَ: الْخُلَّة الاخْتصَاص، وقيلَ: الاصطفَاء، وسُمي إبراهيم خَليلًا لأَنَّه والَى في اللَّه تعالَى، وعادَى فيه. وقيلَ: سُمي به لأَنَّه تَخَلَّق بخلَال حسنَة، وأَخْلَاق كَريمَة، وخلَّة اللَّه تعالَى لَه نَصره وجعلَه إِمَاما لمنْ بعدَه. وقَالَ ابن فُورك: الْخُلَّة صفَاء الْمودَّة بتخَلُّل الْأَسرار، وقيلَ: أَصلُها الْمحبَّة، ومعنَاه الْإِسْعَاف والْإِلْطَاف، وقيلَ: الْخَليل من لَا يتَّسع قَلْبه لغَير خَليله، ومعنى الْحَديث أَنَّ

ومن ذلك حفظه لجميل الأنصار: فالأنصار هم الذين آووا رسول الله ﷺ، ونصروه وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل دعوته، وتوطيد أركانها في الأرض، وفتحوا ديارهم وأراضيهم للرسول وصحابته من المهاجرين، وواسوهم بأموالهم، ووقفوا معهم في شدتهم، وآثروهم على أنفسهم، لذلك حفظ لهم النبي ﷺ جميلهم، فجعل حبَّهم من الإيمان، وبغضهم من النفاق، أخرج البخاري في "صحيحه" (17)، ومسلم في "صحيحه" (74)، عَنْ أَنس بْن مالك رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصارِ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصارِ"45، كما بيَّن فضلهم، ومحبته الشديدة لهم، عن عبَّاد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قَالَ: لَمَّا أَفَاء الله عَلَى رسُوله ﷺ يوم حنين، قسم في النَّاس في الْمؤلَّفة قلوبهم، ولم يعط الْأَنْصار شيئا، فَكَأَنَّهُمْ وجدوا إذْ لم يصبهم ما أصاب النَّاس، فخطبهم فقال: يَا معشر الْأَنْصارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فأَلَّفَكُم الله بي، وعالة فأَغْناكم الله بي، كلَّما قال شيئا قَالُوا: الله ورسوله أَمنُّ، قَالَ: ما يمنعكُم أَنْ تُجِيبوا رسولَ الله ﷺ. قَالَ: كلَّما قالَ شيئا، قالُوا: الله ورسولُه أَمنُّ، قَالَ: لَوْ شئتم قُلتم: جئتنا كَذَا وكَذَا، أَترضون أَنْ يَذْهب النَّاسُ بالشَّاة

حبَّ اللَّه تَعالَى لَم يبق في قَلْبه موضعًا لغَيْره، قَالَ الْقَاضي: وجاء في أَحاديثَ أَنَّه ﷺ قَالَ: " أَلَا وأَنَا حَبيب اللَّه " فَاختَلَف الْمتكَلِّمونَ هل الْمحبَّةَ أَرفَع منَ الخُلَّة، أَم الْخُلَّةُ أَرفَع؟ أَم هُما سواء؟ فَقَالَت طَائفَة: هُما بمعنًى، فَلَا يكُونُ الْحَبيب إلَّا خَليلًا، ولَا يكُونُ الْخَليل إلَّا حبيبا، وقيلَ: الْحَبيب أَرفَع، لأَنَّهَا صفَةُ نَبينا ﷺ، وقيلَ: الْخَليل أَرفَع، وقَدْ ثَبتَت خلَّة نَبينا ﷺ للَّه تَعالَى بهَذَا الْحَديث، ونَفَى أَنْ يكُونَ لَه خَليل غَيْره، وأَثْبت محبَّتَه لخَديجة، وعائشة وأَبيها، وأُسامة وأَبيه، وفاطمة وابنيها، وغَيْرهم، ومحبَّة اللَّه تَعالَى لعَبْده تَمكينه منْ طَاعَته، وعصمته، وتوفيقه، وتيسير أَلْطَافه، وهدايته، وإفاضة رحْمته علَيه. هذه مباديها، وأَمَّا غَايَتها فَكَشْف الْحُجب عن قَلْبه حتَّى يراه ببصيرته، فَيكُون كَما قَالَ في الْحَديث الصَّحيح: " فَإِذَا أَحببته كُنْت سمعه الَّذي يسمع به، وبصره " إِلَى آخره، هذا كَلَام الْقَاضي. وأَمَّا قولُ أَبِي هريرةَ وغَيْره من الصَّحابة رضي اللَّه عنهم: سمعْتُ خليلي ﷺ، فَلَا يُخَالفُ هذَا؛ لأَنَّ الصَّحابيَّ يحسن في حَقّه الانْقطَاعُ إِلَى النَّبي ﷺ، قَولُه ﷺ: (لَا تَبقَينَّ في الْمسجد خوخةٌ إلَّا خوخةَ أَبِي بَكْرٍ) الْخوخةَ بفَتْح الْخَاء، وهي الْباب الصَّغير بين الْبيتَيْن أَوِ الدَّارين، ونَحْوه، وفيه فَضيلَةٌ وخصيصةٌ ظَاهرةٌ لأَبِي بَكْرٍ رضي اللَّه عنْه، وفيه أَنَّ الْمَساجدَ تُصان عن تطَرُّق النَّاس إِلَيْها في خوخات ونَحْوها إلَّا من أَبوابها إلَّا لحاجة مهمَّة ".

45- وحُبُّ الْأَنْصارِ من حيث كانوا أَنصار الدِّين ومظهريه، وباذلين أَموالَهُم وأَنْفسهم في إعزازه وإعزاز نبيه وإعلاء كلمته دلالةٌ قاطعةٌ على صحَّة إيمان من كان كذلك، وصحَّة محبَّته للنبي ﷺ، وبغْضهم كذلك دلالةٌ قاطعةٌ على النفاق، ومعنى هذا الحديث: أنَّ من عرف مرتبة الْأَنْصار وما كَانَ منْهم في نصرة دين الْإِسْلَام، والسَّعي في إظْهاره وإيواء الْمسلمين وقيامهم في مُهمَّات دين الْإِسلَام حقَّ الْقيام، وحبهم النَّبيَّ ﷺ وحبه إيَّاهم، وبذْلهم أَموالَهم وأَنْفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر النَّاس إيثارا للإسْلَام. وعرف من علي بن أَبي طَالب رضي اللَّه عنه قربه من رسول اللَّه ﷺ، وحب النَّبي ﷺ له، وما كَانَ منْه في نصرة الْإِسْلَام وسوابقه فيه، ثُمَّ أَحبَّ الْأَنْصار وعليًّا لهذَا، كَانَ ذَلكَ منْ دلَائل صحَّة إيمانه وصدْقه في إسلَامه لسروره بظُهور الْإِسْلَام والْقيام بما يرضي اللَّه سبحانه وتعالَى، ورسولَه ﷺ، ومنَ أَبغضهم كَانَ بضدِّ ذَلك، واستدلَّ به علَى نفاقه وفَساد سريرته، واللَّه أَعلَم.

ينظر:" المفهم"، للقرطبي (293/1)، و"شرح صحيح مسلم"، للنووي(248/2)

والْبَعير، وتَذْهبونَ بالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرًا من الْأَنْصار، ولَوْ سَلَكَ النَّاسُ واديًا وشِعبًا لَسلَكْتُ وادي الْأَنْصار وشِعْبها، الْأَنْصار شِعار والنَّاس دِثَار، إِنَّكُمْ ستَلْقون بعدي أَثَرَةً، فَاصْبروا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الْحَوْض "4746، كما أَوْصى النبي بهم خيرا، فعن هِشَام بن زَيْد قَالَ: سَمِعت أَنَس بن مالك يقُولُ: مرَّ أَبو بكْر والْعبَّاس رضي الله عنهما بمجلس من مجَالس الْأَنْصار وهم يبكُون، فقَالَ: ما يبكيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكرنا مجْلس النَّبِيِّ ﷺ منَّا، فدخلَ علَى النَّبِيِّ ﷺ فأَخبره بذَلك، قَالَ: فخرج النَّبِيُّ ﷺ وقد عصب علَى رأْسه حاشية برد، قَالَ: فصعد الْمنْبر، ولَمْ يصعده بعد ذَلك الْيوْم، فحمد الله وأَثْنى عليه، ثُمَّ قَالَ: أُوصيكُمْ بالْأَنْصار، فإِنَّهُمْ كرِشي وعيْبتي 48، وقد قَضوا الَّذي عليهم وبقي الَّذي لَهُمْ، فاقبلُوا من محْسنهم وتَجاوزوا عن مسيئهم " 49

46- أخرجه البخاري في "صحيحه" (4330)، ومسلم في "صحيحه" (1061)

47- قَوله: (لَولَا الْهِجْرَةُ لَكُنْت امرًا من الْأَنْصَار)، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَراد بِهَذَا الْكَلَام تَأَلُّف الْأَنْصار واستطَابة نُفُوسهمْ والثَّناء علَيهم في دينهمْ حتَّى رضي أَنْ يكُون واحدًا منْهم لَولَا ما يمْنَعه من الْهِجْرَة الَّتِي لَا يجوز تبديلُها، ونسبة الْإِنْسان تقع على وجوه: منْها الْوِلَادة، والْبِلَادِيَّة، والِاعْتِقَادِيَّة، والصِّناعيَّة. ولَا شَكَّ أَنَّه لَم يرد الِانْتِقَال عَن نَسب آبائه لأَنَّهُ ممْتَنع قطْعًا. وأَمَّا الِاعْتِقَادِيُّ فَلَا معنًى للانتقَال فيه، فَلَم يبق إِلَّا الْقِسْمانِ الْآخرانِ، وكَانَت الْمدِينَةُ دار الْأَنْصَار والْهِجْرَةُ إِلَيْهَا أَمرا واجبًا، أَي لَولَا أَنَّ النِّسبة الْهِجْرِيَّةَ لَا يسعني تَركُها لَانْتسبت إِلَى داركُم. قَالَ: ويحْتَمل أَنَّه لَمَّا كَانُوا أَخوالَه لِكَوْن أُمِّ عبد الْمطَّلب منْهم أَراد أَنْ ينتَسب إِلَيهم بهذه الْوِلَادة لَولَا مانع الْهِجْرة وقَالَ ابن الْجَوْزِي: لَمْ يرِدْ ﷺ تغَيُّر نَسَبه ولَا محْو هجرته، وإِنَّمَا أَراد أَنَّه لَولَا ما سبَق من كَوْنه هاجر لَانْتَسب إِلَى الْمدِينة وإِلَى نُصرة الدِّين، فَالتَّقْدير: لَوْلَا أَنَّ النِّسبة إِلَى الْهِجْرة نسبَةٌ دينِيَّةٌ لَا يسع تَركُها لَانْتسبت إِلَى داركُم وقَالَ الْقُرطُبِيُّ: معنَاه لَتسمَّيت باسْمِكُمْ وانْتسبت إِلَيكُم كما كَانُوا ينتَسبونَ بالْحلْف، لكنْ خُصوصيَّةُ الْهِجْرة وتَربِيَتُها سبقَت فمنعت من ذَلكَ، وهي أَعلَى وأَشْرف فلا تَتبدَّل بغيرها. وقيل: معناه لَكُنْت من الْأَنْصار في الْأَحْكَام والْعداد وقيل: التَّقْدير لَولَا أَنَّ ثَواب الْهِجْرة أَعظَم لَاخترت أَنْ يكُونَ ثوابي ثَواب الْأَنْصار، ولَم يرِدْ ظَاهر النَّسب أَصلًا، وقيل: لَولَا الْتزامي بشُروط الْهِجْرة ومنْهَا ترْكُ الْإِقَامَة بمكَّةَ فوْقَ ثَلَاث لَاخترت أَنْ أَكُونَ من الْأَنْصار فيباح لي ذَلكَ، قَولُه: (الْأَنْصار شعار والنَّاس دثَار) الشِّعار بكَسر الْمعجمة بعدها مهملَة خفيفَة: الثَّوب الَّذي يلي الْجلْدَ من الْجسد. والدِّثَار بكَسر الْمهملَة ومثَلَّثَة خفيفة الَّذي فوقَه. وهي استعارةٌ لَطيفةٌ لفرط قُربهم منه وأَراد أَيضًا أَنَّهُم بطَانَته وخاصَّته وأَنَّهُم أَلْصق به وأَقْرب إِلَيه من غيرِهم. زاد في حديث أَبي سعيد: اللَّهمَّ ارحم الْأَنْصار وأَبناء الْأَنْصار وأَبنَاء أَبناء الْأَنْصار، قَالَ: فبكَى الْقَوم حتَّى أَخضلُوا لحاهم وقَالُوا: رضينا برسول اللَّه قسما وحظًّا. انتهى بتصرف من "فتح الباري"، لابن حجر، (644/7)

48- يقول ابن الأثير في "النهاية"، (163/4): الْأَنْصار كَرِشي وعيبتي، أَراد أَنَّهُم بطَانَته وموضع سره وأَمانَته، والَّذين يعتَمد علَيهم في أُموره، واستعار الْكَرِش والْعيبة لذَلِكَ؛ لأَنَّ الْمجترَّ يجمع علَفه في كَرشه، والرَّجل يضع ثيابه في عيبته، وقيل: أَراد بالْكَرِش الْجماعة؛ أَي: جماعتي وصحابتي، ويقَالُ: عَلَيه كَرِش من النَّاس؛ أَي: جماعةٌ.

49- أخرجه البخاري في "صحيحه" (3799)، ومسلم في "صحيحه" (2510)





حاطب بن أبي بلتعة:لاوهو صحابي جليل، ولكنه وقع في زلة يوم فتح مكة؛ حيث بعث رسالة يخبر فيها أهل مكة بمقدم النبي ﷺ لفتحها، وما فعل ذلك نفاقا، وإنما فعله حتى يحمل أهل مكة على حماية قرابته، وعدم الاعتداء على أهله، ولَما كشف النبي ﷺ أمره أراد بعض أصحابه أن يقتلوه، فرفض النبي ﷺ ذلك، وقال:لاإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدرا، وما يدريك لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَد اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْر، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، فقد حفظ النبي ﷺ جميله وحسن بلَائه يوم بدر، فعفا عنه بسبب ذلك، فقد أخرج البخاري في "صحيحه"،(3007)،ومسلم في "صحيحه"،(2494)، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بعثني رَسُولُ الله ﷺ والزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، فقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا صَحِيفَةٌ مِن حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: أَيْنَ الْكِتَابُ الَّذِي مَعَكِ؟ قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَأَنَخْنَا بِهَا فَابْتَغَيْنَا فِي رَحْلِهَا، فَمَا وَجَدْنَا شَيْئًا، قَالَ صَاحِبَايَ: مَا نَرَى كِتَابًا، قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَأُجَرِّدَنَّكِ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ مِنِّي أَهْوَتْ بِيَدِهَا إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ، قَالَ فَانْطَلَقْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فقَالَ: مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلَّا وَلَهُ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، قَالَ: صَدَقَ، فَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، قَالَ: فَقَالَ: يَا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾، وفي رواية: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يا حاطب ما هذا قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (54/16):" قَوْلُه ﷺ: (الْأَنْصار كَرِشي وعيبتي) قَالَ الْعلَماء: معناه جماعتي وخاصَّتي، الَّذين أَثِق بِهِمْ، وأَعْتَمِدهُم فِي أُمُورِي. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: ضرب مثلًا بالْكَرِش؛ لأَنَّهُ مستقَرُّ غذَاء الْحَيَوان الَّذي يكُونُ به بقَاؤه، والْعيبة وعاء معروف أكبر من الْمخْلَاة يحفظُ الْإِنْسانُ فيها ثيابه وفاخر متاعه، ويصونُها، ضربها مثلًا لأَنَّهُمْ أَهْل سِرِّه وخفي أَحْواله، قولُه ﷺ: (إنَّ النَّاس سيكْثرُون ويَقلُّونَ)، أَي: ويقلُّ الْأَنْصار، وهذا منَ الْمعْجزَات، قولُه ﷺ: (فاقبلُوا منْ مُحْسنهمْ واعْفُوا عن مُسيئهمْ) وفي بعْضِ الْأُصُول: (عن سيِّئهم)، والْمراد بذَلك فيما سوى الْحُدُود".

أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"50

وكذا ماجاء في قصة ضماد الأزدي، وقصته أخرجها مسلم في "صحيحه"،(868)، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ. وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ. وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ: فَلَقِيَهُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ. وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ. فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَمَّا بَعْدُ. قَالَ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَقَالَ:

50- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (45/16):" فِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِيهِ هَتْكُ أَسْتَارِ الْجَوَاسِيسِ بِقِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ سَوَاءٌ كَانَ رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً، وَفِيهِ هَتْكُ سِتْرِ الْمَفْسَدَةِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ أَوْ كَانَ فِي السَّتْرِ مَفْسَدَةٌ، وَإِنَّمَا يُنْدَبُ السَّتْرُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ، وَلَا يَفُوتُ بِهِ مَصْلَحَةٌ، وَعَلَى هَذَا تُحْمَلُ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي النَّدْبِ إِلَى السَّتْرِ. وَفِيهِ أَنَّ الْجَاسُوسَ وَغَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ، وَهَذَا الْجِنْسُ كَبِيرَةٌ قَطْعًا؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ إِيذَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ كَبِيرَةٌ بِلَا شَكٍّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ } الْآيَةَ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يُحَدُّ الْعَاصِي، وَلَا يُعَزَّرُ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ. وَفِيهِ إِشَارَةُ جُلَسَاءِ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ بِمَا يَرَوْنَهُ كَمَا أَشَارَ عُمَرُ بِضَرْبِ عُنُقِ حَاطِبٍ، قَوْلُهُ: (تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا) هُوَ بِفَتْحِ التَّاءِ، أَيْ: تَجْرِي، قَوْلُهُ: (فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا) هُوَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، أَيْ: شَعْرِهَا الْمَضْفُورِ، وَهُوَ جَمْعُ عَقِيصَةٍ، قَوْلُهُ ﷺ: (لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)، قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ الْغُفْرَانُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَإِلَّا فَإِنْ تَوَجَّهَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَدٌّ أَوْ غَيْرُهُ أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وجاء في "تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي"، (196/4):" إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا فَمَا يُدْرِيكَ " أَرْشَدَ إِلَى علة ترك قتله بأنه شهد بدرا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وهل يَسْقُطُ عنه شهوده بدرا هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ " فَمَا يُدْرِيكَ " إِلَى آخره " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ " قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ التَّرَجِّيَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِلْوُقُوعِ، وَعِنْدَ أَحْمَدَ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِالْجَزْمِ وَلَفْظُهُ " إِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " وَعِنْدَ أَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: " لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا " (فَقَالَ) تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُمْ خِطَابَ تَشْرِيفٍ وَإِكْرَامٍ (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) فِي الْمُسْتَقْبَلِ (فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) عَبَّرَ عَنِ الْآتِي بِالْوَاقِعِ مُبَالَغَةً فِي تَحَقُّقِهِ، وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ: غَافِرٌ لَكُمْ، وَفِي مَغَازِي ابْنِ عَائِذٍ مِنْ مُرْسَلِ عُرْوَةَ: " اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَسَأَغْفِرُ لَكُمْ "، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا الْخِطَابُ قَدْ تَضَمَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ حَصَلَتْ لَهُمْ حَالَةٌ غُفِرَتْ بِهَا ذُنُوبُهُمُ السَّابِقَةُ، وَتَأَهَّلُوا أَنْ تُغْفَرَ لَهُمُ الذُّنُوبُ اللَّاحِقَةُ إِنْ وَقَعَتْ مِنْهُمْ".




لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنة وقَوْلَ السَّحرة وقَوْلَ الشُّعراء. فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلماتكَ هَؤُلَاءِ. وَلَقَدْ بلَغْنَ نَاعوسَ الْبَحرِ، قالَ: فَقَالَ: هَات يدكَ أُبَايعكَ عَلَى الْإِسْلَام، قَالَ فَبَايَعه. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: وعلَى قَوْمِكَ قَالَ: وعَلَى قَوْمي. قَالَ فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً فَمرُّوا بقَوْمه. فَقَالَ صاحبُ السَّرِيَّة للْجَيْش: هلْ أَصبتُم من هؤلاءِ شيئا؟ فقَالَ رجل من الْقَوْم: أَصبتُ منهم مِطْهَرةً. فقَالَ: رُدُّوها. فإنَّ هؤلاءِ قومُ ضِمَاد 51

فصاحب السرية حفظ الجميل لضماد الأزدي، وأظن أن هذا كان بأمر رسول الله ﷺ، وإن لم يكن بأمره، فهو أثر من آثار تعليمه لصحابته هذا الخلق الكريم، وذاك الأدب الرائع، فهذه المواقف غيض من فيض من مواقفه في الاعتراف بالجميل، والإقرار بالفضل لأهله، ومن هنا يجب علينا أن نتخلق بهذا الخلق الكريم، وأن نتطبع به، لأنه دليل الإيمان الكامل، والخلق القويم، وهذا هو المأمول من كل مسلم52، لا يستغني الناس في هذه الحياة عن بعضهم البعض، فلا يستطيع إنسان أن يعيش وحده،

51- يقول النووي في " شرح صحيح مسلم"، (466/6):"قَوْلُه: (ويقولُ: أَمَّا بعدُ) فيه: اسْتِحْبَابُ قَوْلِ: (أَمَّا بعدُ) في خُطَبِ الْوَعْظِ وَالْجُمُعَة وَالْعِيد وغَيْرِهَا، وَكَذَا في خُطَبِ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَة، وقَدْ عقدَ الْبُخَارِيُّ بابا في اسْتِحْبَابِه، وَذَكَر فيه جُمْلَةً منَ الْأَحَاديث، واخْتَلَفَ الْعلَماء فِي أَوَّلِ مَن تَكَلَّم به فَقِيلَ: داوُدُ عَلَيْه السَّلَام، وَقِيلَ: يعرب بن قَحطَان، وقِيلَ: قُسُّ بنُ سَاعدَةَ، وَقَالَ بَعض الْمُفَسِّرِين أَو كَثِيرٌ مِنْهُمْ: إِنَّه فَصْلُ الْخِطَاب الَّذِي أُوتِيه داوُد. وقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: فَصلُ الْخِطَاب الْفَصلُ بَين الْحَق وَالْبَاطل، قَوْلُه: كَانَت خطْبَةُ النَّبِي - ﷺ - يومَ الْجُمُعَة يَحمَدُ اللَّه ويثْنِي عَلَيه ثُمَّ يَقُولُ: إِلَى آخره فِيه: دَلِيلٌ لِلشَّافِعِي - رضي اللَّه عنْه - أَنَّه يَجبُ حَمدُ اللَّه تَعالَى فِي الْخُطْبَة ويتَعيَّن لَفْظُه، وَلَا يقُومُ غَيْره مقَامه، قَوْلُه: (إِنَّ ضِمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْد شَنُوءَة وَكَانَ يرقِي مِنْ هذِه الرِّيحِ) أَمَّا ضِمَادٌ فَبِكَسْرِ الضَّادِ الْمُعجمة، وشَنُوءةُ بفَتْحِ الشِّين وضَمِّ النُّون وبعدَهَا مَدَّةٌ، وَيرقِي بكَسْرِ الْقَافِ، والمراد بالرِّيحِ هنَا الْجُنُونُ ومَسُّ الْجِنّ في غَيْرِ رِوَاية مُسْلِم يرقِي مِنَ الْأَرواحِ أَي الْجِنّ سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُم لَا يبصِرهُمُ النَّاس فهم كَالرُّوحِ والرِّيحِ، قَوْلُه: (فَمَا سَمِعْتُ مثْلَ كَلِمَاتكَ هؤُلَاءِ وَلَقَدْ بلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحرِ) ضَبطْنَاه بوجهين أَشْهرُهُمَا: (نَاعُوس) بالنُّونِ والْعين هذَا هو الْموجود فِي أَكْثَرِ نسخِ بِلَادنا، والثَّانِي: (قَامُوس) بِالْقَاف والْميم، وهذَا الثَّانِي هو الْمشْهور فِي روايات الْحَدِيث فِي غَيْرِ صحيحِ مسْلِمٍ، وقَالَ الْقَاضِي عياضٌ: أَكْثَر نُسَخِ صحيحِ مسْلِم وقَعَ فِيهَا (قَاعُوس) بِالْقَاف والْعين، وذَكَره أَبو مسعود الدِّمشْقِيُّ فِي أَطْرَاف الصَّحِيحَين، والْحُمَيْدِيُّ فِي الْجمعِ بينَ الصَّحِيحَين (قَامُوس) بِالْقَاف والْمِيم، قَالَ بَعضُهم: هو الصَّواب، قَالَ أَبو عُبَيْد: قَامُوس الْبَحرِ وَسطُه، قَالَ أَبو مروان بن سرَّاج: قَامُوس فَاعُولٌ مِنْ قَمسته إِذَا غَمسته فَقَامُوس الْبَحرِ لُجَّتُه الَّتِي تَضْطَرِبُ أَمواجها، وَلَا تَستَقِرُّ مِياهُها، وهي لَفْظَةٌ عربِيَّةٌ صحيحةٌ، وقَالَ أَبو موسى الْأَصْفَهَانِيُّ: وقَعَ فِي صحيحِ مسْلِمٍ نَاعُوس الْبَحرِ بالنُّون والْعَيْن قَالَ: وفِي سائِرِ الرِّوايات قَامُوس، وهو وسطُه ولُجَّتُه، قَالَ: ولَيست هذِه اللَّفْظَةُ موجُودَةً فِي مُسْنَد إِسحاق بنِ راهويه الَّذِي روى مسْلِمٌ هذَا الْحَدِيثَ عنْه، لَكِنَّه قَرنَه بِأَبِي موسى فَلَعلَّه فِي رِوَايَة أَبِي موسى قَالَ: وَإِنَّمَا أَورد مِثْلَ هذِه الْأَلْفَاظ لأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يطلُبها فَلَا يجِدُها فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُب فيتَحيَّر فَإِذَا نَظَر فِي كِتَابِي عرفَ أَصلَها ومعنَاها، قَوْلُه: (هَات) هو بكَسْرِ التَّاء، قَوْلُه: (أَصبتُ مِطْهَرَةً) هي بكَسْرِ الْمِيم وفَتْحِها حكَاها ابن السِّكِّيت وغَيْره والْكَسر أَشْهر".انتهى بتصرف

52- الاعتراف بالجميل خلق إسلامي أصيل، د. أنس محمد الغنام، شبكة الألوكة، اطلع عليه بتاريخ:2021/5/27م

ومعنى ذلك أن هذا الإنسان سيؤدي إلى الآخرين بعض ما يحتاجون إليه، كما إنه سيأخذ منهم بعض ما يحتاج إليه، وقد وجه النبي ﷺ أمته إلى الاعتراف بالجميل وعدم نكرانه، فعَن جابر عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ عطَاءً فَوجَدَ فَلْيَجزِ به، ومن لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ؛ فَإنَّ مَنْ أَثْنَى فقَدْ شَكَرَ، ومن كَتم فقَدْ كَفَرَ، ومن تَحَلَّى بِما لَمْ يعطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوبَي زُورٍ "5453، رد الجميل عبادة، كان من نعم الله عز وجل على عليّ بَن أبي طالب، وما وَضَع الله له، وأراد به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله للعباس عمه –وكان من أيسر بني هاشم– يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس في هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه واحدا وتأخذ واحدا، فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله عليًّا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا – رضي الله عنه – فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله حتى بعثه الله نبيا، فاتبعه علي، فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه، ونلاحظ أن الرسول

53- أخرجه أبو داود في "سننه" (4813)، والترمذي في "جامعه" (2034)

جاء في "تحفة الأحوذي"، (156/3):" قَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَانَ رجل في الْعرب يلْبس ثَوبَيْن من ثِيَاب الْمعاريف ليَظُنُّه النَّاس أَنَّه رجل معروفٌ محترم لأَنَّ الْمعاريف لَا يَكْذبُونَ، فَإذَا رآه النَّاس علَى هذه الْهَيْئة يعتمدُونَ علَى قَوْله وشهادته علَى الزُّور، لأَجْل تَشْبيهه نَفْسه بالصَّادقين، وكَانَ ثَوباه سبب زُوره، فَسَمّيا ثوبي زُور، أَو لأَنَّهُمَا لُبسا لأَجْله، وثُنّي باعْتبار الرّداء والْإزَار، فشبَّه هَذه الْمَرأَة بذَلكَ الرَّجل، وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ في الْفَائق: شَبَّه الْمتشبع بلَابس ثَوبي زُور أَي ذي زُور، وهوَ الَّذي يتزيَّا بزِيّ أَهلِ الصَّلَاحِ رياء وأَضَاف الثَّوبَين إلَيْه لأَنَّهُمَا كَالْمَلْبوسَيْن وأَراد بالتَّثْنية أَنَّ الْمتحلّي بمَا لَيس فيه كَمن لَبس ثَوبي الزُّور ارتَدى بأَحَدهما واتَّزر بالْآخر، كَما قيل: قَالَ الْقَارِيُّ في الْمرقَاة: إذَا هو بالْمجد ارتَدَى وتَأَزَّرا، فَالْإشَارَةُ بالْإزَار والرّداء إلَى أَنَّه متَّصفٌ بالزُّور من رأْسه إلَى قَدَمه، ويحتمل أَنْ تَكُون التَّثْنيةُ إشَارةً إلَى أَنَّه حصل بالتَّشَبُّع حالَتَان مَذْمومتَان: فقْدَانُ ما تتشبَّع به، وإظْهار الْبَاطل، كَذَا في الْفَتْحِ، وقَالَ أَبو عبيدَة: هو الْمرائي يلْبس ثيَاب الزُّهَّاد ويرى أَنَّه زَاهدٌ وقَالَ غَيْره: هو أَنْ يَلْبس قَميصًا يصل بكُمَّيه كُمَّين آخرين يرى أَنَّه لَابس قَميصَيْن فَكَأَنَّه يسخر منْ نَفْسه ومعنَاه: أَنَّه بمَنْزلَة الْكَاذب الْقَائلِ ما لَم يكُن، وقيل: إنَّمَا شَبَّه بالثَّوبَين لأَنَّ الْمتحلّي كَذَب كَذبَيْن، فَوصف نَفْسه بصفَة لَيست فيه، ووَصف غيره بأَنَّه خَصَّه بصلَة فجمع بهذَا الْقَوْل بين كَذبَيْن".

54- نكرانَ الجميل من شيم اللئام، إسلام ويب، تاريخ النشر:2004/10/26، اطلع عليه بتاريخ:2021/5/27م
/https://www.islamweb.net/ar



أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب55، فقد أخرج الحاكم في "المستدرك"،(6463)، عَنْ مُجَاهِد بْنِ جبر أَبِي الْحَجَّاجِ، قَالَ: كَانَ مِنْ نعم اللَّه عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فِي عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ: وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا أَبَا الْفَضْلِ «إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا فَنَكْفُلُهُمَا عَنْهُ» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ، فَقَالَا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفِّفَ عَنْكَ مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى تَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا فَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ مَعَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ، وَاسْتَغْنَى عَنْهُ.

حتي الاعتراف بالجميل لغير المسلم كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة رضي الله عنه موجودا في جيش المسلمين، فقال عند سماع الأمر النبوي أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؟؟ والله إن لقيته لألحمنه بالسيف، وكان عتبة بن ربيعة، والد أبي حذيفة المذكور، وعمه شيبة وابن عمه الوليد أول من قتل من المشركين مبارزة، وعندما بلغت رسول الله ﷺ مقالة أبي حذيفة قال – وعنده عمر بن الخطاب حاضرا – يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول الله؟ فقال عمر، يا رسول الله دعني أضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق، ولكن الرسول لم يسمح بأن يمس أبو حذيفة بأي أذى وقد ندم أبو حذيفة رضي الله عنه على ما بدر منه، وكان يقول دائما – ما آمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها على الشهادة، فقتل شهيدا يوم اليمامة رضي الله عنه، وقد نفذت تعليمات الرسول – ﷺ – فلم يقتل أحد من بني هاشم في جيش المشركين، ولكن الرسول إذا كان قد أمر بعدم قتلهم، فإنه لم يمنع المسلمين من أسرهم ووضعهم في القيود، فقد أُسروا جميعهم وسيقوا في القيود مع الأَسرى إلى المدينة. أما أبو البحتري بن هشام – وهو غير هاشمي – فقد نهى الرسول عن قتله، اعترافا بفضله وتقديرا لمواقفه المشرفة التي وقفها أيام محنة الإسلام في مكة، قبل الهجرة، حيث لم يصدر منه أي إيذاء للرسول – ﷺ – بل كان على رأس النفر من عقلاء المشركين الذين عملوا على تحطيم

55- يراجع: "علي بن أبي طالب"، للصلابي (1/ 38)، و" موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق"، (317/2)، و" صَحيحُ الأثَر وجَميلُ العبر من سيرة خير البشر ﷺ"، (ص:83)، و" الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، للثعالبي، (84/5)

الحصار الاقتصادي الذي ضربته قريش علي بني هاشم وبني المطلب في الشعب، فقد كان أبو البحتري هذا في مقدمة الرجال الذين استنكروا هذا الحصار، وعملوا على تمزيق الصحيفة التي علّقها أعداء محمد - ﷺ - في جوف الكعبة، بعد أن وقّعت عليها جميع قبائل قريش بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب اقتصاديا واجتماعيا، لوقوفهم (قبليا) بجانب النبي، كما هو مفصل في أول هذا الكتاب، ولكن أبا البحتري النبيل هذا قد قتل في المعركة بالرغم من الأوامر النبوية الصادرة بعدم قتله، وذلك أن المجذر بن زياد البلوى قد لقيه في المعركة، وقال له يا أبا البحتري إن رسول الله قد نهانا عن قتلك، وكان مع أبي البحتري زميل له يقاتلان سويا - فقال وزميلي؟، فأبلغه المجذر أن الأمر صادر بشأنه فقط، أما زميله فلا يمكن تركه بتاتا، فرفض أبو البحتري الحياة، وقال، إذن، لأموتن أنا وهو جميعا ثم اندفع يقاتل وهو فاضطر المجذر إلى مقاتلته، فما زال يجاوله حتى قتله56، كان الأعراب يجيئون للنبي ﷺ يسألونه ويستجدونه في غلظة وجفوة من القول فكان يعطيهم ويتجاوز عن جفائهم ويعذرهم ببداوتهم، فجاءه أعرابي يطلب منه شيئا فأعطاه إياه ثم قال له النبي ﷺ «أأحسنت إليك؟» ليعرف ما عنده من الاعتراف بالإحسان أو ليعرف اكتفاءه بما أعطاه فقال له الأعرابي: (لا ولا أجملت) أي ما أتيت لا بحسن ولا بجميل، فغضب المسلمون وقاموا إليه ليوقعوا به جزاء سوء أدبه فأشار إليهم النبي ﷺ أن كفوا ثم قام النبي ﷺ ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال له: «أأحسنت إليك؟» فقال الأعرابي: "نعم، فجازاك الله به من أهل وعشيرة خيرا"، هكذا توسل النبي ﷺ إلى تأديبه واستخراج الاعتراف بالجميل منه ليتربى عليه وحمله على النطق بالكلام الطيب بزيادة الإحسان إليه، فاعترف بالإحسان ودعا الله بالجزاء للنبي ﷺ بسبب إحسانه وشعر بأن النبي ﷺ كان له أهلا وعشيرة، وهذه كلها معارف وآداب وشعور طيب جاء بها هذا الأعرابي الجافي بسبب تربيته بزيادة الإحسان إليه. وأراد النبي ﷺ أن لا يتركه يرى بين الصحابة رضي الله عنهم بالعين التي كانوا يرونه بها لجفائه وسوء أدبه وأن لا يترك في قلوبهم شيئا عليه، فقال له: «إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك»، دعاه بألطف القول وألينه دون أمر ولا إلزام فقال الأعرابي: "نعم" فلما كان الغد أو العشي جاء الأعرابي لمجلس النبي- ﷺ - فقال النبي- ﷺ - لأصحابه: «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي. أكذلك، فقال نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا»، ثم أراد النبي- ﷺ - أن يضرب مثلا لأصحابه- رضي الله

56 -ينظر: "البداية والنهاية"، لابن كثير، (348/3)، و "من معارك الإسلام الفاصلة"، (165/1)

عنهم- يبين لهم به كيف يكون رد الشارد وجذب النفور وتأليف الجافي، وأن المتصدي لتربية الناس أعرف من غيره بما يصلحهم وأن الرئيس المتبوع أعرف بطباع أتباعه وأحق بتأليفهم وتربيتهم من الاتباع بعضهم في بعض، فقال لهم ﷺ: «مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي فإني أوفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت (بركت) وشد عليها رحلها واستوى عليها» ثم قال لهم: «وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار» فقد استحق النار لو مات على تلك الحال فأشفق عليه النبي ﷺ فعالجه بما أنقذه منها وهكذا تكون رعاية الأفراد والأمم باللين والإحسان والإنقاذ من مصارع السوء والحمل بالرفق والعلم على السير في أحسن السبل، ﷺ من نبي حريص على الخير رفيق بالخلق عليم بطلبهم، ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾**57**، فعن أبي هريرة: أَنَّ أَعْرابِيًّا جاء إلى النبي ﷺ يطْلُب منه شيئًا، فأَعْطَاه، ثُمَّ قَالَ: أَحْسنتُ إلَيْك؟ قَالَ الْأَعرابِيُّ: لَا ولا أَجْمَلْت، فَغَضب الْمسلمونَ، وقاموا إليه، فَأَشَار إِلَيهم أَنْ كُفُّوا، ثُمَّ قَام ودَخل منزلَه وأرسل إليه ﷺ، وزادَه شيئًا، ثُمَّ قَالَ: أَحسنت إليْك؟ قَالَ: نعم. فجزاكَ اللَّه من أَهْلٍ وعشيرة خيرا. فقالَ لَه النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ قُلْتَ ما قُلْتَ وفِي نَفسِ أَصْحابي من ذَلك شيء، فإن أَحببتَ فقل بينَ أيديهم ما قلت بين يديَّ حتَّى يذْهَب ما في صدورِهم عليك، قالَ: نعم. فلَمَّا كانَ الْغدُ أَو الْعشِيُّ جاء، فقالَ ﷺ: إنَّ هذَا الْأَعرابِيَّ قَالَ ما قَالَ فزدناه، فزعم أَنَّه رضِي أَكَذَلكَ؟ قَالَ: نعم. فجزاكَ اللَّه من أَهْلٍ وعشيرة خيرا. فقَالَ النَّبِي ﷺ: مثلي ومثل هذَا، مثل رجلٍ له ناقة شردت عليه، فاتَّبعها النَّاسِ فلَم يزيدوها إلَّا نفورا، فناداهم صاحبها: خلُّوا بيني وبين ناقتي، فإِني أَرفق بها منكُم وأَعلَم، فتوجَّه لَها بين يديها فأَخذَ لَها من قُمام الْأَرضِ، فردَّها حتَّى جاءت واستناخت، وشدَّ عليها رحلَها، واستوى عليها، وإني لَو تركْتكُم حيثَ قالَ الرَّجل ما قالَ، فقتلْتموه دخل النَّار" 58، فلم يكن الرسول ﷺ في حاجة إلى رد الأعرابي واستنطاقه بما نطق به، إلا ليبين للمسلمين في موقف تعليمي أن العفو والصفح يأسران القلوب، وأن

---

57 -ينظر: "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، (ص:264-265)

58- أخرجه أبو الشيخ في "أخلاق النبي وآدابه" (1/ 472)، والبزار في "مسنده"، (8799)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (15/9): "وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو متروك"، وضعف إسناده العراقي بقوله في:" المغني عن حمل الأسفار في الأسفار"، (ص:865):"رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف"، وقال ابن كثير في "تفسيره"، (243/4)، وَهُوَ ضَعِيفٌ بِحَال إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَم بْنِ أَبَان، واللَّه أَعلَم.

الحسنة تذهب السيئة، وأن الانفعالية عند الإنسان إذا لم يكن لها ضابط يردعها فإنها تؤدي به وبغيره إلى الهلاك كما في حالة الناقة وصاحبها، وهذا يبين أن الإسلام بمصدريه الأساسيين: القرآن والسنة يتعهد الناس بالتربية التي تكفل لهم ولمجتمعاتهم الأمن والاستقرار والمحبة، والتي توجههم إلى تصور الأمور وقياسها على غيرها لينتج من ذلك واقع يؤدي إلى استمرارية الحياة في طريق صحيح59، نحتاج هذه الروح المحمدية التي تصبر على نزق الجاهلين، وتعالج شرة نفوسهم بالمزيد من الحب، والحلم، والصبر، والعطاء، ودفع السيئة بالحسنة، والحاجة إليها اليوم أشد؛ في زمن تداخلت فيه الأمور، وتعاظمت الشرور، وكثر المخالف، وقلَّ الموافق، وغلب الجهل على الناس60، فقد أراد رسول الله محمد ﷺ أن يعلم أصحابه هذا الدرس في الأناة وضبط النفس،وفي الحق أن هذا الحديث فيه نور من نور النبوة، وروعة في التمثيل لا يقدر عليها، ولن يكون مصدرها إلا النبي صلوات الله وسلامه عليه، ومع كون المثل ليس بالأمر الغريب عن البيئة العربية، إلا أن النبي الفصيح البليغ ألبسه ثوبا قشيبا حتى بدا غاية في الروعة وغاية في التأثير، هذا إلى ما بين الممثل به، والممثل له من التطابق البديع، والتوافق العجيب!!61، فقد كان النبي ﷺ أرحم الناس على الإطلاق، فكان لا يشق على أحد، ولا ينهر جليسا، وقد روي عن خادمه أنس أنه قال: خدمت رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي قط لشيء عملته: لمَ عملته؟ ولا لشيء تركته: لمَ تركته؟ وقد أكثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من نشر الرحمة في أتباعه، فكان يلح عليهم ويطلبها منهم، فقد أخرج الترمذي في "جامعه"،(1924)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ، وأخرج البخاري في "صَحِيحَه"،(6927)، ومسلم في "صحيحه"،(2165)،عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "، وفي "مسند أحمد"،(4017)، عَنِ ابْنِ

59–ينظر: "طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"، (ص:244)

60– ينظر مقال:خلوا بيني وبين ناقتي، إسلام ويب، تاريخ النشر: 2015/10/20، اطلع عليه بتاريخ:2021/5/27م https://www.islamweb.net/ar /

61 – ينظر:" السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة"، (640/2)

مَسْعُود، عَنِ النَّبِيِ ﷺ قَالَ: إِنَّمَا يَحرمُ عَلَى النَّار كُلُّ هَيّن لَيّن قَرِيب سَهْل "، والمدح رفع للمعنويات وتثبيتً للإيجابيات وترسيخ للقيم المحمودة والمحبوبة ولذلكَ كَانً مَدَحَ الطفلً وسيلة تربوية تشبع حاجة كاملة بداخل الإنسان عموما والطفل خصوصا وهو منهج تربوي اتبعه الرسول ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم صغارا كانوا أم كبارا ومن كمال مدحه لصحابته ﷺ إطلاق أفضل الألقاب عليهم، المدح لا يكون فقط فيما يراه الطفل بل كذلك فيما يجب أن يتصف به من صفات وخلق ومدح الطفل بما يمكنه أن يفعل أو يكون هو دفع وتشجيع له نحو الخير فالمدح له علاقة بقضية التقدير، المدح التربوي الذي يشبع في الإنسان الحاجة المتجذرة في أعماقه إلى التقدير ورغبته في إشباعها يعني من أسدى لكم معروفا فإن لم تكافئوه فقولوا له جزاك الله خيرا،هذا نوع من المدح والاعتراف بالجميل ومقابلة الإحسان بالإحسان لأن الله تعالى قال: ﴿ هَلْ جَزَاءِ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) ﴾[الرحمن: 60]﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسنى وزِيَادَةٌ ﴾[يونس: 26] فإذاً الإنسانَ يحتاجَ إلى التقدير بل وصل الأمر إلى أن النَبي عليه الصلاة والسلام قال: "من لَا يشْكُر النَّاس لَا يشْكُر اللَّه"، فجعل الاعتراف بالجميل أو الثناء على الإحسان الذي يحسنه الإنسان إليك هذا من حق المسلم أن يسدي إليك معروفا أن تكافئه على الأقل بالدعاء فإذن كل إنسان يحتاج إلى التقدير وعنده رغبة في إشباع الحاجة إلى التقدير62، قَالَ تَعالَى:﴿ وقَدْ أَحسن بِي إِذْ أَخرجَنِي مِنَ السِّجْن ﴾، وفي قول يوسف عليه السلام غاية الأدب وكمال الاعتراف بالجميل حين عَبر (بالباء) بَدلا مَن (إلى) لأن ألطاف اللَّه مسَّته فما كان أشد بها أُنْسه، إنها زهور تفوح بالعطر حين لصقت به محاسنه، فلم يجعل محاسن اللَّه وألطافه خارجة عنه، بعيدة منه، تصل إليه بـ (إلى) كما جاء في قوله تعالى:﴿ كَمَا أَحْسن اللَّهَ إِلَيْكَ ﴾، مخاطبا قارون بلسان قومه أن يحسن إلى الناس كما أحسن اللَّه إليه، وأي إحسان أعز وأشرفَ من الجاه والسلطان! ومن كمال أدبه لم يذكر الجب مراعاة لمشاعر إخوته63، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... وَأَنْ تَعفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ولا تَنْسوا الْفَضْل بينَكُم... ﴾64، يوجهنا الله في هذا الجزء من الآية الكريمة إلى قاعدة العفوَ في المعاملة فيما

62 -يراجع: محو الأمية التربوية، محمد أحمد المقدم

63 - ينظر:" التضمين النحوي في القرآن الكريم"، (291/1)

64- يقول السعدي في "تيسير الكريم الرحمن"، (ص:105):" ثم رغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه، لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما

بيننا، وإلى قاعدة حفظ الجميل والفضل الذي كان بيننا، وأن لا ينسينا الخلاف الطارئ، وإذا كان للإنسان طريقان للوصول إلى حقه وتسوية النزاع بينه وبين سواه، هما: طريق الحق بالعدل، وطريق العفو والمسامحة، فإن هذا الجزء الوجيز من الآية يرشدنا إلى أن العفو أقرب إلى التقوى، وهذا تنبيه إلى ما هو أهم من حصول الإنسان على حقوقه، وهو التقوى التي ينبغي أن تكون في حس المؤمن وهمه مقدمة على الحرص على حقوقه! وما أحوجنا إلى مقاومة ميولنا الجامحة نحو استيفاء حقوقنا في مواقف الخلافات مع الآخرين التي نحرص عليها حتى ولو كانت تلك الحقوق المزعومة على حساب الخلق والدين!، ولنستحضر ما أعده الله تعالى لمن أخبر عنهم في قوله: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾65، ومن العبادة لله تعالي حمد الله سبحانه يعني شكره؛ وهو نوعَ َمن الاعتراف باَلجميل، وأداء الحق لمستحقّه، ومن أسماء الله وصفاته الغنيّ، المغني، الحميد66، قال تعالى: ﴿ لله ما في السَّموات والأَرضَ إنَّ الله هو الغنيُّ الحميد ﴾ (لقمان:26)، وقال أيضا: ﴿.. وإن خفتُم عيلَةً فسوف يَغنيكُم الله من فضله إن شاء.. ﴾ (التوبة: 28)، وقال أيضا: ﴿.. إن يكونوا فقَراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليَستعفف الّذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله.. ﴾ (النور 32- 33)، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: 15)67، فالله سبحانه وتعالى غنيّ عمَّا سواه غنى مطلقا، وكلُّ شيءَ مفتقر إليه افتقارا كَلّيًّا، فله جميع ما في السَّموات والأرض خلْقا وملكًا، وجميعها منقادة خاضعة لأمره، يتصرَّف فيها كيف يشاء،

ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}".

65 – ينظر:"الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها"، (ص:42)

66–ينظر:" شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة"، (ص:92)، و" الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة"، (ص:27)

67– بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم، لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيا حميدا ذاتي فغناه وحمده ثابت له لذاته: لا لأمر أوجبه. وفقر من سواه إليه ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه كما أخبر عن ذاته المقدسة، وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلّا غنيا. كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا ويستحيل أن يكون الرب إلا ربا".

انتهى من "التفسير القيم"، لابن القيم، (ص:438)، بتصرف.

فالخلْق عموما في حاجة مطلقة إليه لمنحهم إمكانيَّة الحياة والبقاء، والقدرة على الحركات والسَّكنات، والناس خاصَّة يحتاجون إليه، إضافة لما سبق في جميع أمور دينهم ودنياهم، وهو المحمود على كلِ حال، الغنيٌّ عن حمد الحامدين لأنَّه كامل بذاته، والكامل بذاته غنيٌّ عن كلِ ما عداه، "الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها، وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل، والعدل2، فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة، وهو سبحانه حميد من وجهين: أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم، والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا، والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضا، ومقدرا حيثما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات حمدا يملأ الوجود كله العالم العلوي، والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد، ولا إحصاء فإن الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها، وأعظمها فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد، والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام68، وحمد الله سبحانه يعني شكره؛ وهو نوع من الاعتراف بالجميل، وأداء الحق لمستحقّه؛ لأنَّه عزَّ وجل هو المفضي بجلائل النّعم، وشكره عليها استدامة لها واستزادة منها، وفي ذلك قال تعَالى: ﴿.لَئِنْ شَكَرتم لأزيدنَّكم.. ﴾ (إبراهيم:7)، قال الله تعالى مبينا سوء حال الكافرين، وتنكرهم لفضل الله وإحسانه:﴿ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ

68- ينظر:" توضيح الكافية الشافية"، (ص118)، و"تفسير أسماء الله الحسنى"، (ص:190)

(51) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) ﴾[الروم: 51- 53]، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآيات عن سوء أحوال الكافرين، وتقلب ابن آدم في أنه بعد الاستبشار بالمطر، إذا بعث الله ريحا ضارة، فاصفر بها النبات، ظل يكفر قلقا منه، وقلة توكل على الله، وعدم تسليم لله عز وجل، والمعنى: تالله لئن بعثنا ريحا سامة، حارة أو باردة، على نبات أو زرع أو ثمر، فرأى الناس ذلك الزرع قد اصفر ومال إلى الفساد بعد خضرته، لظلوا من بعد ذلك الفرح والبشر بالمطر، يجحدون نعم الله التي أنعم بها عليهم، فغريب أمر الإنسان، تراه مع غيره من الناس إذا قدّم له معروفا، أكبره وشكره، وتذلل بين يديه، ثم يحرص على رد الجميل ومكافأة المعروف إما بالهدية وإما بالثناء باللسان في المناسبات المختلفة على ملأ من الناس، لكن هذا الإنسان مع الأسف جحود للنعمة الإلهية، مع أنها أعظم وأدوم، وأبقى أثرا، ولا تحتاج إلا للإقرار بالنعمة والاعتراف بالمنعم وهو الله، وبمقابلة الفضل الإلهي بالإصغاء لأمر الله وطاعته، واجتناب نهيه ومعصيته، وفي الحالين من امتثال الأمر والبعد عن النهي، يعود أثر ذلك على الإنسان بالخير العميم والنفع التام69، وشكر الشاكرين لا يزيد في ملك الله شيئا، كما أن جحود الجاحدين لا ينقص من ملكه شيئا، ويؤيّد ذلك ما أخرجه مسلم في "صحيحه"،(2577)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ "، ففائدة الشكر والعرفان تعود على الإنسان الشّاكر، قال تعالى:

69- ينظر:" التفسير الوسيط"، للزحيلي، (2008/3)



﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(لقمان: 12)70، يقول ابن كثير:" قَالَ تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أَيِ: إِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ وَثَوَابُهُ عَلَى الشَّاكِرِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الرُّومِ: 44]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أَيْ: غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ، لَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا، فَإِنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّنْ سِوَاهُ؛ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ"71،فَالحمد والشُّكر يطهِّران نفس الشاكر، ويوجهانه إلى بذل النِعم وإنفاقها في الوجوه النافعة، بما يعود بالفائدة على الأفراد والمجتمعات، يقول تعالى:﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) ﴾، أي: تعود عليه ثمرة شكره؛ لأنه إنْ شكر الله بالحمد شكره الله بالزيادة، لذلك من أسمائه تعالى "الشكور"، ولذلك وجب على كل صاحب نعمة أنْ يستقبلها بحمد الله وشكره، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: 8] فحق النعمة أن تحمد المنعم عليها، فلا تسأل عنها يوم القيامة، والحق تبارك وتعالى يريد منَّا أنْ نُوسِّع دائرة الصلاح ودائرة المعروف في المجتمع، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: 245]، فسمَّى الخير الذي تقدمه قرضا، مع أنه سبحانه واهب كل النِّعم، وذلك ليُحنِّن قلوب العباد بعضهم على بعض؛ لأنه تعالى خالقهم، وهو سبحانه المتكفِّل برزقهم، ثم يقول: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: 19]، وذكر الرحمة والفضل؛ لأنهما وسيلة النجاة، وبهما ندخل الجنة، وبدونهما لن ينجو أحد، ففي "صحيح البخاري"،(5673)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ"، وفي رواية: أَنَّ رسولَ

70- يقول السعدي في "تيسير الكريم الرحمن"، (ص:648):" يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما، وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح، ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر الله، عاد وبال ذلك عليه، والله غني عنه حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال".

71- ينظر:"تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، (335/6)

الله ﷺ قَالَ: ما منكُم من أَحَد ينْجيه عمَلُه، فَقَالَ له رجل: وَلَا أَنْتَ يا رسُولَ الله؟ قَالَ: " ولَا أَنا إلَّا أَنْ يتغَمَّدني الله برحْمته، ولَكن سدِّدوا "72

إن الاعتراف بالجميل، وإسناد الفضل إلى ذويه سنة متبعة، وطريقة محكمة، وصفة حميدة في محيط الأخلاق الإسلامية قال تعالى: ﴿ ولَا تكْتموا الشَّهادَة ومن يكْتمها فَإنَّه آثمٌ قَلْبُه ﴾ [البقرة: 283]، وقال ﴿ ولَا تبخسوا النَّاس أَشْياءهم ﴾[الأعراف: 85]، والأنبياء على درجة عظيمة من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، قَالَ تعالَى: ﴿ الله أَعلَم حيث يجْعل رسالَتَه ﴾ [الأنعام: 124]، وقَالَ تعالَى: ﴿ أُولَئك الَّذين هدَى الله فَبهداهم اقْتَده ﴾[الأنعام: 90]،والأنبياء أبر الناس قلوبا، وأعمقهم علما، وأوسعهم حلما، برا بالوالدين، وصدق في الوعد، وحلم وأناة وشجاعة، وكرم، وعفة، وحفظ للجميل، ووفاء لمعروف الآخرين، وإحسان إلى الناس73، وإليك بعض النصوص:

قال تعالى عن يحي عليه السلام: ﴿ وبرًّا بوالديْه ولَمْ يكُن جبَّارا عصيًّا (14) ﴾ [مريم: 14]، وقال تعالى عن إسماعيل: ﴿ واذْكُر في الْكتاب إسْماعيل إنَّه كَان صادق الْوعد وكَان رسولًا نَبيًّا (54) ﴾ [مريم: 54]،وقال عن نبيه موسي ﴿ اذْكُر في الْكتاب موسى إنَّه كَان مخْلَصا وكَان رسولًا نبيًّا (51) وناديناه من جانب الطُّور الْأَيْمن وقَرَّبناه نَجيًّا (52) ﴾، وعن نبيه إدريس:﴿ واذْكُر في الْكتاب إدريس إنَّه كَان صدِّيقا نَبيًّا (56) ورفعناه مكَانا عليًّا (57) ﴾،وقال عن نبيه نوح:﴿ ذُرِيَّة من حَملْنَا مع نوحٍ إنَّه كَان عبدًا شكُورا (3) ﴾،﴿ قَالَ رب إنِّي أَعوذُ بك أَنْ أَسأَلَك ما لَيس لي به علْم وإلَّا تغفر لي وترحمني أَكُن من الْخَاسرين (47) ﴾،وقال عن نبيه هود﴿ إنِّي توكَّلْت علَى اللَّه ربِي وربكُم ما من دابَّة إلَّا هو آخذٌ بناصيتها إنَّ ربِي علَى صراط مستقيم (56) فإنْ تولَّوا فَقَد أَبلَغتكُم ما أُرسلْت به إلَيكُم ويستخلف ربِي قَوما غَيركُم ولَا تضرونَه شَيئا إنَّ ربِي علَى كُل شيء حفيظٌ (57) ﴾،وقال عن نبيه شعيب﴿ قَالَ ياقوم أَرأَيتم إنْ كُنت علَى بينة من ربِي ورزقَني منه رزقًا حسنا وما أُريد أَنْ أُخالفَكُم إلَى ما أَنْهاكُم عنه إنْ أُريد إلَّا الْإصلَاح ما استطَعت وما توفيقي إلَّا باللَّه علَيه توكَّلْت وإلَيه أُنيب (88) ﴾، وفي "صحيح البخاري"،(3477)، ومسلم، (1792)،من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: "كَأَنِّي أَنْظُر إلَى النَّبِي ﷺ يحكي نَبيًّا من الْأَنْبياء ضربه قومه فَأَدموه، وهو يمسح الدَّم عن

72-ينظر:" تفسير الشعراوي"، (10762/17)، بتصرف يسير.

73 -ينظر:"الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة"، (764/7)




وجْهه ويقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفر لقوْمي فَإِنَّهُمْ لَا يعلَمونَ"، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75) ﴾ [هود: 75]، وهو أول من أضاف الضيف، قَالَ تَعالَى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) ﴾[الذاريات: 24 - 26]،وقَالَ يُوسُفُ عليه السلام عندما راودته امرأَةُ العزيز:﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) ﴾[يوسف: 23]، وقَالَ لإخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: 92]، وأخرج مسلَمَ في "صحيحه"(202)،عَنْ عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ الْعاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ الله عَزَّ وجلَّ في إبراهيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الْآيةَ. وقَالَ عيسى عليه السَّلامَ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فَرَفَعَ يديه وقَالَ: اللَّهمَّ، أُمَّتي أُمَّتي وبكَى، فَقَالَ الله عزَّ وجلَّ يا جبْريلُ، اذْهبْ إلَى مُحَمَّد، وربُّكَ أَعلَم، فَسلْهُ ما يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاه جبريل عليْه السَّلَامُ، فسأَلَه فأَخبره رسولُ الله ﷺ بمَا قالَ، وهو أَعلَم، فقَالَ الله: يَا جبْرِيلُ، اذْهبْ إلَى مُحَمَّد فقُلْ: إنَّا سنرضيكَ في أُمَّتكَ ولَا نسوءُكَ"74

وإنٍ من مساوئ الخلال، وذميم الخصال التي حذرنا منها الإسلام "نكران الجميل"، ونكران الجميل يتنافى مع طبائع النفوس السوية، التي طُبعت على حب من أحسن إليها، والتوقف إزاء من أساء إليها؛ ولذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يكون ناكر الجميل سويا في نفسه أو مستقيما في سلوكه وطبائعه؛ ما ينعكس بالدرجة الأولى على ذاته وشخصيته وعلاقته مع غيره، فينفضُّ الناس من خدمته بعد أن يكتشفوا حقيقة مرضه الدفين في نفسه، وقد وجه النبي ﷺ أيضا أمته إلى الاعتراف بالجميل وعدم نكرانه، فعَنْ جابرِ بنِ عبْدِ الله قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: مَنْ أُعْطِي عطَاءً فوجد فلْيَجزِ به، فإنْ لَمْ يجِدْ

74- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (437/3):

" هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَائِدِ مِنْهَا: بيانُ كَمالِ شفقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّته واعْتِنائه بمَصالحهمْ، واهتمامه بأَمرهمْ، ومنْها: اسْتحْبابُ رفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعاءِ، ومنْها: الْبِشَارَةُ الْعَظِيمَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ - زَادَهَا اللَّهُ تعالى شَرَفًا - بِمَا وَعَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ، وَهَذَا مِنْ أَرْجَى الْأَحَادِيثِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ أَرْجَاهَا، وَمِنْهَا: بَيَانُ عِظَمِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ لُطْفِهِ [439/3] سُبْحَانَهُ بِهِ ﷺ، وَالْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيلَ لِسُؤَالِهِ ﷺ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَمُ بِمَا يُرْضِيهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا نَسُوءُكَ)، فَقَالَ صَاحِبُ (التَّحْرِيرِ): هُوَ تَأْكِيدٌ لِلْمَعْنَى، أَيْ: لَا نُحْزِنُكَ ; لِأَنَّ الْإِرْضَاءَ قَدْ يَحْصُلُ فِي حَقِّ الْبَعْضِ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَيَدْخُلُ الْبَاقِي النَّارَ فَقَالَ تَعَالَى: نُرْضِيكَ وَلَا نُدْخِلُ عَلَيْكَ حُزْنًا، بَلْ نُنَجِّي الْجَمِيعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"

فَلْيُثْنِ به، فَمَنْ أَثْنَى به فَقَدْ شَكَرَهُ، ومن كَتَمه فَقَدْ كفره، ومَنْ تَحَلَّى بمَا لَمْ يُعْطَه كَانَ كَلَابس ثَوْبَي زور 75"، يَقول الترمذي:َ" ومعنى قوله: " ومن كتم فقد كفر " يقولُ: قَدْ كفر تلْك النعمة "76، أما أنَّ يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجَدون إلا نكرانا فهذا دليل على خسَّة النفَس وحَقارتها؛ إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران، بل إنها على الدوام وفية معترفةَ لذوي الفضل بالفضل، فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة، بل وأنكر عليه الصَّلاة والسَّلام على من يردُّ الجميل حتى على بهيمة، فعن عمرانَ بن حصين قَالَ: كَانَتْ بنو عقيل حلفاء لثقيف في الْجَاهليَّة وكَانَتْ ثَقيفُ قَدْ أَسرتْ رجلين من الْمسلمين، ثُمَّ إنَّ الْمسلمين أَسروا رجلًا من عقيل معه ناقة لَه – وكَانتَ له ناقة سبقت الْحَاجَّ في الْجَاهليَّة كَذا وكَذا مرَّةً، وكَانت النَّاقة إذَا سبقت الْحَاجَّ في الْجَاهليَّة لَمْ تُمْنَع من كَلأ ترتع فيه، ولَم تُمنع من حوض تشرع فيه قَالَ – فَأُتي به النَّبيَّ ﷺ فقَالَ: يا مُحمَّدُ بمَ أَخذْتَني وأَخذْتَ سابقةَ الْحَاجِ؟ فقالَ: "بجريرة حلفائك ثَقيف"، قَالَ: وحبس حيث يمرُّ به رسولُ الله ﷺ قَالَ: فَمرَّ به رسولُ الله ﷺ بعد ذلك فقَالَ: يا مُحمَّد إنِّي مسلمٌ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ:«لَو قُلْتها وأَنْتَ تَمْلكُ أَمرك كُنتَ قَدْ أَفْلَحتَ كلَّ الْفَلَاحِ ». قَالَ ثُمَّ مرَّ به مرَّةً أُخرى فقَالَ: يا مُحمَّدُ إنِّي جائعٌ فَأَطْعمني، وظمآنُ فَاسقني قَالَ:" تلْك حاجتك"، ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ بدا لَه فَفادى به الرَّجلين اللَّذين أَسرتْ ثَقيفُ، وأَمسكَ النَّاقَةَ لنَفْسه، ثُمَّ إنَّه أَغَار عدوٌّ علَى الْمَدينة فأَخذُوا سرحا لرسول الله ﷺ فَأَصابوا النَّاقةَ فيها – قَالَ – وقَد كَانتْ عندهم امرأَةٌ من الْمسلمينَ قَدْ أَسروها، وكَانوا يروحونَ النَّعم عشيًّا، فَجاءت الْمرأَةُ ذَات لَيلَة إلَى النَّعم فَجعلَتْ لَا تَجيء إلَى بعيرٍ إلَّا رغا حتَّى انْتهت إلَيها، فلَم تَرغْ فاستوتْ علَيها، فنجت، فَقَدمت الْمدينةَ، فقَالَ النَّاس: الْعَضباءَ الْعضباء،قَال: فقَالَت الْمرأَةُ: إنِّي نَذرت إنْ أَنْجاني الله عليها أَنْ أَنْحرَها قالَ فقالَ رسولُ الله ﷺ:"بئْسما جزيتْها، لَا وفَاء لنَذْر في معصية الله، ولَا فيما لَا يَمْلكُ ابن آدم "، أخرجه الحميدي فيَ "مسنده"،(849)، والطبرانيَ في "المعجمَ الكبَير"،(16532)، وفي "السنن الكبرى"، للبيهقي،(20149)، عنْ عبْد الرَّحْمن بن حارث، عن عمرو

---

75 –قوله: "فَذَكَرَه فَقَدْ شكَره ": منْ آدَاب النِّعْمَة أَنْ يَذْكُرَ الْمُعطي فَإِذَا ذَكَرَه فَقَدْ شكَرَهُ ومَع الذّكْر يشْكُرُهُ ويثْني علَيْه (وإنْ كَتمه فَقَدْ كَفَرَه): أَيْ ستر نعمةَ الْعطَاء، والْكُفْر في اللُّغَة الْغطَاء، والْحَديثُ سكَتَ عَنْهُ الْمُنْذريُّ.

انتهى من "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، (335/6)

76– أخرجه أبو داود في "سننه" (4813)، والترمذي في "جامعه" (2034)

بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أنَّ امرأة أبي ذرٍ جاءت على القصواء راحلة رسول الله ﷺ حتّى أناخت عند المسجد، فقالت: يا رسول الله، نذرت لئن نجّاني الله عليها، لآكلنَّ من كبدها وسنامها، قال: بئسما جزيتها، ليس هذا نذرا، إنَّما النَّذر ما ابتغي به وجه الله"، إن نكران الجميل، وجحد نعمة الآخرين سبب من أسباب دخول النار، عن ابن عبَّاس قال: قال النَّبيُّ ﷺ: أُريت النَّار فإذا أكثر أهلها النّساء، يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدَّهر ثمَّ رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قطُّ "، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ففي "مسند أحمد"،(18740)، عن النُّعمان بن بشير قال: قال النَّبيُّ ﷺ على المنبر: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر النَّاس لم يشكر الله"، والتَّحدُّث بنعمة الله شكرٌ، وتركها كفرٌ، والجماعة رحمةٌ، والفرقة عذاب، وهكذا يوجه النبي ﷺ أمته إلى الإقرار بالجميل، وشكر من أسداه، بل والدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه، إن نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم، قال عمرو بن العاص: رضي اللَّه عنه في كلِّ شيءٍ سرفٌ إلَّا في إتيان مكرمةٍ أو اصطناع معروف أو إظهار مروءة، وقال معاوية – رضي اللَّه عنه – ليزيد ابنه: يا بنيَّ اتَّخذ المعروف منالًا عند ذوي الأحساب تستمل به مودَّتهم وتعظم في أعينهم، وإيَّاك والمنع فإنَّه ضدُّ المعروف فإنَّه يقال حصاد من يزرع المعروف في الدُّنيا اغتباطٌ في الآخرة. ذمَّ أعرابيٌّ رجلًا فقال: كان سمين المال مهزول المعروف، وقال الزُّهريُّ أو الزُّبيريُّ: من زرع معروفاً حصد خيرا، ومن زرع شرًّا حصد ندامة، وقال ابن المبارك:

يد المعروف غنمٌ حيث كانت... تحمَّلها شكور أو كفور

ففي شكر الشَّكور لها جزاءٌ.. وعند اللَّه ما كفر الكفور

وقال الأصمعيُّ: سمعت أعرابيًّا يقول أسرع الذُّنوب عقوبةً كفر المعروف، ولابن دريد وقيل: إنَّه أنشدهما

وما هذه الأيَّام إلَّا معارةٌ... فما استطعت من معروفها فتزوَّد

فإنَّك لا تدري بأيَّة بلدة.. تموت ولا ما يحدث اللَّه في غد 77

77 –هذه النقول ذكرها ابن مفلح في " الآداب الشرعية والمنح المرعية"، (1/ 311)





فإياك إياك أيها المسلم من نكران الجميل، واشكر صنائع المعروف، وكن من الأوفياء، فإن الكريم يحفظ ود ساعة78

ومن الآيات المحذرة من نكران الجميل

1- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾[إبراهيم: 28].

2- قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[النحل: 78- 83].

3- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[النحل: 112- 114].

4- قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[النمل: 40]

ومن النصوص الواردة في السنة النبوية:

1- ماجاء في "صحيح مسلم"،(73)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: " أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ

78 - ينظر: "فيض القدير"، للمناوي، (65/1)، ونكران الجميل، موقع إمام المسجد، https://alimam.ws/ref/357، اطلع عليه بتاريخ:2021/6/15م

كَذَا وكَذَا " قَالَ: فَنَزَلَتْ هذه الْآيَةُ: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة: 75]، حتَّى بلَغَ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: 82]، وفِيَ "صحيح مسلم"،(71)،عَنْ زَيْدِ بْنِ خالد الجْهنِيِ قَالَ: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بالحُدَيبية، في إثْرِ السَّماء كانَتْ من اللَّيلِ، فلَمَّا انْصرفَ أَقْبلَ على النَّاس، فقَالَ: هل تدْرون ماذا قالَ ربُّكُم؟ قَالُوا: اللهُ ورسولُهُ أَعلَم، قَالَ: قالَ: أَصبح من عبادي مؤْمنٌ بي وكَافرٌ، فأَمَّا من قالَ: مُطِرْنا بفضْلِ الله ورحْمته، فذَلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالْكوكَب، وأَمَّا منَ قالَ: مطرنا بنوءِ كَذَا وكَذَا، فذَلك كافرٌ بي مؤمن بالْكوكَب.

2-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: أَمر رسولُ الله ﷺ بالصَّدقَة، فقيل: منعَ ابنُ جَميلٍ، وخالدُ بنُ الْوليد، وعبَّاس بن عبد الْمطَّلب، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: ما ينقمُ ابنُ جَميلٍ إلَّا أنَّه كانَ فقيرًا فأَغْنَاه الله ورسولُه، وأَمَّا خالدٌ: فإنَّكُم تظْلمونَ خالدًا، قد احتبس أَدراعه وأَعتده في سبيل الله، وأَمَّا الْعبَّاس بن عبْد الْمطَّلب: فعمُّ رسول الله ﷺ فهي عليْه صدقةٌ ومثْلُها معها "

أخرجه البخاري في "صحيحه"، (1468)، ومسلم في "صحيحه" (983)

3- عن أَبِي هريرةَ، أَنَّ أَعرابيًّا أَهْدَى لرسول الله ﷺ بكْرةً، فعوَّضه منْها ستَّ بكَرات، فتسخَّطَها، فبلَغ ذَلك النَّبيَّ ﷺ، فحمدَ اللهَ وأَثْنَى عليه ثُمَّ قالَ: إنَّ فلَانًا أَهدى إليَّ ناقةً، فعوَّضْتُه منها ستَّ بكَرات، فظلَّ ساخطًا، لَقدْ همَمت أَنْ لا أَقبلَ هديَّةً إلَّا من قُرشيٍ أَو أَنْصاريٍ أَو ثقفيٍ أَو دوسيٍ

أخرجه الترمذي (3946)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في " صحيح الجامع "،(2119)

4- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنْهُ أَنَّه سمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ ثَلَاثَةً في بني إسْرائيل، أَبرص وأَقْرع وأَعمى، فأَراد الله أَنْ يبتليهم فبعثَ إليْهم ملَكًا، فأَتَى الْأَبرص فقالَ: أَيُّ شيءٍ أَحبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: لَوْنٌ حسنٌ وجِلْدٌ حسنٌ، ويذْهب عني الَّذي قدْ قذرني النَّاس. قالَ: فمسحه فذَهبَ عنه قذَرُه، وأُعطي لَوْنا حسنا وجلْدا حسنا. قالَ: فأَيُّ الْمالَ أَحبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: الإبل، (أَو قالَ: الْبقَر، شكَّ إسحاقُ) إلَّا أَنَّ الْأَبرص أَو الْأَقْرع قالَ أَحدُهما: الإبل، وقالَ الْآخر: الْبقَر قالَ: فأُعْطي ناقةً عشْراء، فقالَ: بارك الله لَك فيها. قالَ: فأَتى الْأَقْرع فقالَ: أَيُّ شيءٍ أَحبُّ إلَيْكَ؟ قالَ: شعَر حسن، ويذْهب عني هذَا الَّذي قدْ قذَرني النَّاس. قالَ: فمسحه فذَهب عنهُ، وأُعطي شعرا حسنا. قالَ: فأَيُّ الْمال أَحبُّ إلَيْكَ؟ قالَ الْبقر. فأُعْطي بقرةً حاملًا فقالَ: بارك الله لَك فيها. قالَ: فأَتى الْأَعمى فقالَ: أَيُّ شيءٍ

أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَردَّ اللهُ إِلَيَّ بصرِي فَأُبصر به النَّاسَ. قَالَ: فَمسحه فَردَّ اللهُ إِلَيْه بصره. قَالَ: فَأَيُّ الْمال أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغنمُ. فَأُعْطِي شاةً والدًا، فَأُنْتج هذَان وولَّد هذَا. قَالَ: فَكَانَ لهذَا واد من الْإِبلِ، ولهذَا واد من الْبقرِ، ولهذَا واد من الْغنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّه أَتى الْأَبْرص فِي صورته وهيئته فَقَالَ: رجل مسكين قد انْقَطَعتْ بِي الْحبالُ فِي سفَرِي، فَلَا بلاغ لِي الْيوم إِلَّا باللهِ ثُمَّ بك، أَسأَلُك بالَّذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الْحسن والْجِلْد الْحسن والْمالَ، بعيرا أَتبلَّغ عليه فِي سفرِي. فَقَالَ: الْحُقوق كَثيرةٌ. فَقَالَ لَه: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَم تكُن أَبرص يقْذَرك النَّاس، فَقيرا فَأَعطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّما ورِثْت هذَا الْمالَ كَابِرا عن كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْت كَاذبا فَصيَّرَك اللهُ إِلَى ما كُنْت. قَالَ: وأَتى الْأَقْرعَ فِي صورته فَقَالَ لَه مثْل ما قَالَ لهذَا، وردَّ علَيه مثْل ما ردَّ علَى هذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْت كَاذبا فَصيَّرك اللهُ إِلَى ما كُنْت. قَالَ: وأَتى الْأَعمى فِي صورته وهيئته فَقَالَ: رجل مسكين وابن سبيل، انْقَطَعتْ بِي الْحبالُ فِي سفَرِي، فَلَا بلاغ لِي الْيوم إِلَّا باللهِ ثُمَّ بك، أَسأَلُك بالَّذي ردَّ علَيك بصرك شاةً أَتبلَّغُ بها فِي سفرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْت أَعمى فَردَّ اللهُ إِلَيَّ بصرِي، فَخذْ ما شئْت ودعْ ما شئْت، فَواللهِ لَا أَجْهدُك الْيوم شيئًا أَخذْته لله. فَقَالَ: أَمسكْ مالَك، فَإِنَّما ابتليتمْ، فَقدْ رضي عنك وسخط علَى صاحبيك.

أخرجه البخاري في "صحيحه" (3464)، ومسلم في "صحيحه" (2964)

5- عنْ أَبِي هريرة رضي الله عنهُ، عنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمهم اللهُ يوم الْقيامة ولَا ينظُر إِلَيْهمْ: رجلٌ حلَف علَى سلْعة لَقَدْ أَعطَى بها أَكْثَر ممَّا أَعطَى وهو كَاذبٌ، ورجلٌ حلَف علَى يمين كَاذبة بعد الْعصر ليقْتطع بها مالَ رجلٍ مسلمٍ، ورجل منع فضل ماءٍ، فيقُولُ اللهُ: الْيوم أَمنعك فضْلي كَما منَعت فضلَ ما لَم تَعملَ يداكَ".

أخرجه البخاري في "صحيحه" (2358)، ومسلم في "صحيحه" (108)

6- عنْ أَنَس رضِي الله عنه قَالَ: قَدم علَى النَّبِي ﷺ نفَرٌ منْ عُكْلٍ، فَأَسلَموا، فَاجتَووا الْمدينةَ، فَأَمرهم أَنْ يأْتوا إبلَ الصَّدقَة، فيشربوا منَ أَبوالها وأَلْبانها، ففعلوا فَصحُّوا، فَارتَدُّوا وقَتلُوا رعاتَها، واستَاقوا فَبعثَ فِي آثارِهمْ، فَأُتي بهِمْ، فَقَطَعَ أَيدِيهم وأَرجلَهمْ، وَسمل أَعينَهم، ثُمَّ لَمْ يَحسمْهم حتَّى ماتُوا "

أخرجه البخاري في "صحيحه" (233)، ومسلم في "صحيحه" (1671)

7- عَن أَبِي هريرة قَالَ: قَالُوا: يا رسولَ الله، هلْ نرى ربَّنا يوم الْقيامة؟ قَالَ: هلْ تُضارُّونَ فِي رؤْية الشَّمسِ فِي الظَّهيرة لَيْست فِي سحابة؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهل تُضارُّونَ فِي رؤْية الْقَمر لَيْلَة الْبدر لَيْس فِي

سحابة؟. قَالُوا: لَا. قَالَ: فَوالَّذي نَفْسي بيده، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة رَبِّكُمْ إِلَّا كَما تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَة أَحدهما. قَالَ: فَيلْقَى الْعبد فيَقول: أَي فُلَ، أَلَمْ أُكْرِمْك، وَأُسودكَ، وَأُزوجك، وأُسخر لَكَ الْخَيل والْإِبَلَ، وأَذَرك ترأَس وتربع؟ فيقول: بلى. قَالَ: فيقول: أَفَظَنَنْت أَنَّك ملَاقيَّ؟ فَيقُولُ: لَا. فَيقُولُ: فَإِنِّي أَنْساكَ كَما نَسيتَنِي. ثُمَّ يلْقَى الثَّاني فيقولُ: أَي فُل، أَلَمْ أُكْرِمك، وأُسودكَ، وأُزوجك، وأُسخر لَك الْخَيل والْإِبل، وأَذَرك تَرأَس وتربع؟ فيقولُ: بلى، أَي رب. فيقول: أَفَظَنَنْت أَنَّك ملَاقيَّ؟ فيقولُ: لَا. فيقولُ: فَإِني أَنْساكَ كَما نَسيتَنِي. ثُمَّ يلْقَى الثَّالث فَيقُولُ لَهُ مثْل ذَلكَ، فيقولُ: يا رَب، آمنت بك وبكتَابك وبرسلك، وصلَّيت وصمت وتصدَّقتَ. ويثْني بخَير مَا استطَاع. فيَقولُ: هاهنا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يقَالُ لَه: الْآنَ نَبعثُ شاهدَنا علَيكَ. ويتفكَّر فِي نَفسه منْ ذَا الَّذي يشْهد علَيَّ؟ فَيخْتم علَى فيه، ويقَالُ لفَخذه ولَحمه وعظَامه: انْطقي، فتنْطق فخذُه ولَحْمه وعظَامه بعمله، وذلك ليعذر من نَفسه، وذَلكَ الْمنافق، وذَلكَ الَّذي يسخَطُ الله علَيه" أخرَجه مسلم في "صحيحه" (2968)

8-أَخرج الترمذي فِي "جَامعه"،(3483): عنْ عمرانَ بنِ حصين قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺلأَبِي يا حصينُ: كَمْ تَعبدُ الْيوم إِلَهًا؟ " قَالَ أَبِي: سبعةً، ستًّا فِي الْأَرضِ، وواحدًا فِي السَّماء، قَالَ: فَأَيُّهُم تعدُّ لرغْبتك ورهبتكَ؟ " قَالَ: الَّذي فِي السَّماء، قَالَ: يا حصين، أَما إِنَّكَ لَو أَسلمت علَّمتك كَلمتين تنفعانك ". قَالَ: فَلَمَّا أَسلَم حصَين قَالَ: يا رسولَ الله، علِّمنِي الْكَلمتين اللَّتين وعدْتَنِي، فقَالَ: قُلِ اللَّهمَّ أَلْهمنِي رشْدي، وأَعذْنِي من شر نفسي

وأخرَجه الذهبي فِي "العلو للعلي الغفار"،(ح:19)،بسنده عن عمرانُ بنْ خالد بْن طُلَيق، حدَّثَنِي أَبِي، عنْ أَبِيه، عن جدّه، قَالَ: " اختلفَت قريشٌ إِلَى حصين والد عمرانَ، فقَالُوا: إِنَّ هذَا الرَّجلَ يذْكُر آلهتنا فنحبُّ أَنْ تُكَلّمَهُ وتعظَهُ. فمشوا معه إِلَى قريب من باب النَّبِي صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم، فجلَسوا ودخَل حصين، فلمَّا رَآه رسولُ اللَّه ﷺ، قَالَ: " أَوسعوا للشَّيخ. فقال: ما هذَا الَّذي بلَغنا عنك؟ إِنَّك تشتم آلهتنا وتذْكُرهم، وقد كان أَبوكَ جفْنةً وخبزا. فقَالَ: " إِنَّ أَبِي وأَباكَ فِي النَّار. يا حصين، كم تَعبد إِلَهًا الْيومَ؟ قَالَ: سبعةً فِي الأَرْضِ وإِلَهًا فِي السَّماء. قَالَ: فَإِذَا أَصابك الضيق فمن تَدْعو؟ قَالَ: الَّذي فِي السَّماء. قَالَ: " فَإِذَا هلَك الْمالُ فمن تدعو؟ قَالَ: الَّذي فِي السَّماء "

9- عن حذَيفةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، قالَ: " لا تَقولُوا: ما شَاء اللَّه وشَاء فُلانٌ، ولَكنْ قُولُوا: ما شَاء اللَّه ثُمَّ شَاء فُلانٌ " أخرجه النسائي في "السنن الكبرى"،(10326)،وأبو داود في "سننه"،(4330)

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، " فِي قَوْله: فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا سورة البقرة آية 22، قَالَ: الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخفَى من دبيبِ النَّملِ علَى صَفَاة سوداء فِي ظُلْمة اللَّيل، وهو أَنْ يقولَ: واللَّه، وحياتك يا فُلانَةُ، وحياتي، وَيقولُ: لَولا كَلْبُه هذَا لأَتَانا اللُّصوص، ولَولاَ الْبطُّ فِي الدَّار لأَتَى اللُّصوصَ، وقَوْلُ الرَّجلِ لصَاحبه: ما شَاء اللَّه وشِئْتَ، وقَولُ الرَّجلِ: لَولا اللَّه وفُلانٌ، لا تَجْعلْ فيها فُلانا؛ فَإِنَّ هذَا كُلَّه به شِرْكٌ ". تَفسير ابن أبي حاتم،(ح:227)

حفظُ الجَميل.. خلُق جليل. بل هو من أخلاق الأوفياء الكبار.. الذي لا ينسونَ المعروفَ ولو طَالَت بهم الأعمار.. فلا يزالُ الكريم أسيرا لصاحب الجميل.. يظهر له الودَّ ويمطره بالثَّناء الجزيل.. وأما اللَّئيم فهو يتجافى عن أصحاب العطايا الكبيرة.. لأنَّه يظُنُّ أنَّهم إنما أحسنوا إليه لمصالح الدُّنيا الحقيرة.. لذلكَ فإنَّه ينبغي لنا أن نُقابل هذا الإحسانَ والمعروفَ، بالمكافأة وإن لم يكن فبالدُّعاء ورفع الكُفوف، كما أمر النبيُّ ﷺ في الحديث، فيجب مكافأةُ الجميل، ولو كانً بالدُّعاء والثَّناء الجزيل[79]، ولا يقر الإسلام أبدا سلوك الجاحدين الذين لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية، ولا يتطلعَون من وراء علاقاتهم بالآخرين إلا إلى تحقيق مصالحهم وقضاء حاجاتهم، فإذا ما تحقق لهم ما أرادوا وسعوا إليه، نسوا أصحاب الفضل، وتعاملوا بجحود وغباء ونكران للجميل معهم، فالإسلام وهو دين الأخلاق الإنسانية الرفيعة يفرض على المسلم أن يكون وفيا لكل من يسدي إليه معروفًا، شاكرا له ما قدم ولو كان بسيطًا، كما يحث الإنسان على رد المعروف بمعروف أحسن منه، والمكافأة على الجميل بما هو أفضل، وهذا المبدأ الأخلاقي يحث عليه القرآن الكريم من خلال قول اللَّه تَبارَكَ وتَعالَى ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بتَحيَّة فَحَيُّوا بأَحسن منها أَو رُدُّوها ﴾ [النساء: 86]، عَنِ ابنِ عَبَّاس قَالَ: مَنْ سَلَّم علَيْكَ من خَلْق الله فَارْدُدْ علَيه وإِنْ كَانَ مجُوسيًّا فَإِنَّ الله يَقُولُ: ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بتَحيَّة فَحَيُّوا بأَحسن منها أَو رُدُّوها ﴾، أخرجه أبو يَعلَى الموصلي في "مصنفه"،(1530)، وعند ابن أَبِي شيبةَ في "المصنف"،(26279): عَنْ عكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ سَلَّم علَيْكُم من خَلْقِ الله، فَرُدُّوا علَيهِم وإِنْ كَانَ

79- رد الجميل، هلال الهاجري، ملتقي الخطباء، https://khutabaa.com/ar، اطلع عليه بتاريخ:2021/2/26م

يهوديًّا أَوْ نَصْرانيًّا أَوْ مَجُوسيًّا، وعن سلْمانَ، قَالَ: جاء رجلٌ فسلَّم علَى رسُول الله ﷺ، فَقَالَ: السَّلام علَيْكُم يا رسُولَ الله، قَالَ: وعلَيْك السَّلام ورحْمةُ الله، ثُمَّ جاء آخر، فقالَ: السَّلامُ علَيْك يا رسُولَ الله ورحْمةُ الله، قالَ: " وعلَيْك السَّلام ورحْمةُ الله وبركَاته "، ثُمَّ جاء آخر، فقَالَ: السَّلام علَيْك يا رسُولَ الله ورحْمةُ الله وبركَاته، فَقَالَ لَه رسُولُ الله ﷺ: " وعلَيْك "، فَقَالَ الرَّجل: يا رسُولَ الله، أَتَاك فلانٌ وفلانٌ فحيَّيتهما بأَفْضل ممَّا حيَّيْتَني؟ فقالَ رسُولُ الله ﷺ: " إنَّك لَن أَو لَم تدعْ شيئا، قَالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وإذَا حييتم بتحيَّة فَحيُّوا بأَحسن منْها أَو ردُّوها ﴾، فرددت علَيْك التَّحيَّةَ 80،هكذا المسلم الحق وفيٌّ مخلص لا ينسَى ما قدمه له الآخَرون من صور المعروف، فهو يعترف دائما بفضل أصحاب الفضل، ويشكر لهم، ويحرص على أن يرد المعروف بأحسن منه، فإذا ما عجز عن ذلك، فيكفيه تقديم الشكر لهم، وهذا في حد ذاته سلوك أخلاقي حث عليه الإسلام ونماه داخل كل إنسان، أما الجحود فإنه يغضب الله سبحانه وتعالى ويجلب سخط الناس، فالاعتراف بالجميل وتقديم الشكر لمن يستحق الشكر سلوك راق ومهذب، يؤكد سمو نفس من يلتزم به ويحرص عليه.. أما إنكار الجميل وجحود، ومن هنا ينبغي للمسلم أن يحرص على تقديم الشكر لكل من أحسن إليه من الناس، وقبل ذلك عليه أن يكون شاكرا لخالقه على ما أنعم به عليه من نعم كثيرة وخيرات وفيرة،﴿ فَتَبَسَّم ضَاحكًا من قَوْلها وقَالَ ربّ أَوزعْني أَنْ أَشْكُر نعمتكَ الَّتي أَنْعمت علَيَّ وعلَى والديَّ وأَنْ أَعْمل صالحا ترْضاه وأَدْخلْني برحْمتك في عبادكَ الصَّالحين (19) ﴾[النمل:19]،﴿ اعملُوا آلَ داوود شكْرا وقَليل من عبادي الشَّكُور ﴾[سبأ:13]، قَالَ عليٌّ رضي اللَّه عنه: كُن من خمْسة علَى حذَر من لئيم إذَا أَكْرمته، وكريم إذَا أَهنته، وعاقل إذَا أَحرجته، وأَحْمق إذَا مازحته، وفاجر إذَا مازَجته. انتهى كَلَامهُ ذكره ابن مفلح في "الآداب الشرعيَة "، (1/ 312).

وقال الحسن من لا يرى لله عليه نعْمة إلّا في مطعم أو مشرب أو لباس، فقد قَصُر علْمه وحضر عذَابه81، وقال الحسن يوما لبكرَ المزنى هات يا أباً عبد الله دعَّوات لإخوَّانك فحمد اللهَ وأثنى عليه

80- أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير "، (6114)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (8 / 33):" فيه هشام بن لاحق قواه النسائي وترك أحمد حديثه وبقية رجاله رجال الصحيح ".

81- أخرج ابن أبي الدنيا في "الشكر"، (ح:92)، عنِ الحْسنِ، قَالَ: قَالَ أَبو الدَّرداء: «منْ لَمْ يعرفْ نعْمةَ اللَّه علَيْه إلا في مطْعمه ومشْربه فَقَدْ قَلَّ علْمهُ، وحضر عذَابه»

وصلى على النبي ثم قال والله ما أدرى أى النعمتين أفضل على وعليكم أنعمة المسلك أم نعمة المخرج اذا أخرجه منا قال الحسن إنها لمن نعمة الطعام

وقالت عائشة رضى الله عنها ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج الاذى الا وجب عليه الشكر، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: " يَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ، تَأْكُلُ بِلَذَّةٍ، وَتُخْرِجُ سُرُحًا، لَقَدْ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ يَرَى الْغُلَامَ مِنْ غِلْمَانِهِ يَأْتِي الْحُبَّ فَيَكْتَازُ، ثُمَّ يُجَرْجِرُ قَائِمًا فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ، مَا يَشْرَبُ حَتَّى يَقْطَعَ عِيفَةَ الْعَطَشِ، فَإِذَا شَرِبَ كَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الشَّرْبَةِ مَوْتَاتٌ، يَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ، تَأْكُلُ بِلَذَّةٍ، وَتُخْرِجُ سُرُحًا "الشكر لابن أبي الدنيا،)(ص:65)،قال كعب الأحبار رحمه الله: ما أنعم الله على عبدٍ من نعمة في الدّنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلّا أعطاه الله نفعها في الدّنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها، إلّا منعه الله نفعها في الدّنيا، وفتح له طبقات من النار يعذّبه إن شاء أو يتجاوز عنه.

قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: قَيِّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ. "الشكر"، لابن أبي الدنيا،(ص:13)

جاء عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: 20]، يَقُولُ: هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " "جامع البيان"، لابن جرير،(567/18)

وأخرج ابن أبي الدنيا في "الشكر"،(ص:34)، سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: " مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمَةً مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: وَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَالْمَاءِ فِي الدُّنْيَا "[82]

ثمرات صناعة المعروف:

1- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة.

عن أَبِي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أخرجه ابن ماجة،(2417)، وابن حبانَ في "صحيحه"،(5045)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أخرجه مسلم في "صحيحه" (2590)، وعن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ

82- تراجع هذه النقول في: "عدة الصابرين"، (ص:144)

الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِم تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ "، أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"،(8014)، وحسن إسناده الهيثَمي فِيَ "مجمعَ الزوائد"َ، (3 / 115)

2-دخول الجنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الْمَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمعروف فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمعروفِ فِي الْآخرة، أخرجه الحاكم في " المستدرك"،(428)، وأخرج الحاكم أيضا،(8003)، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يا عَلِيُّ، اطْلُبُوا الْمعروف مِنْ رُحَمَاءِ أُمَّتِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ، وَلَا تَطْلُبُوهُ مِنَ الْقَاسِيَة قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عليهم، " يا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْمعروف وَخَلَقَ لَهُ أَهْلًا فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِمْ وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ فِعَالَهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ طُلَّابَهُ كَمَا وَجَّهَ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ الْجَرِيبَةِ لِتَحْيَا بِهِ وَيَحْيَا بِهَا أَهْلُهَا، " يا عَلِيُّ، إِنَّ أَهْلَ الْمعروفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمعروف فِي الْآخرة، قَالَ الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخرجاه ".

وأخرج البزار في "مسنده"،(5983)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمعروف فِي الْآخرة.

3-مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة.

عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ, فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرْ! قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا[83] الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ. قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ.

أخرجه البخاري في "صحيحه" (2077)، ومسلم في "صحيحه" (1560)

وعلي صانع المعروف:

1-إخلاصه وإسراره بالعمل وعدم انتظار العوض من الناس، قال تعالى﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[الإنسان:9]

83- كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسِرَ. الْإِنْظَارُ: التَّأْخِيرُ وَالْإِمْهَالُ. يقَالُ: أَنْظَرْتُه أُنْظِرُهُ، واسْتَنْظَرْتَه، إِذَا طَلَبْتَ مِنْهُ أَنْ يُنْظِرَكَ. ينظر:"النهاية"، (77/5)

2-أن يبذله لمن يستحقه ويحتاج إليه من إنسان أو حيوان، أن يبذله للبر والفاجر بل والكافر ولو كان عدوا، أخرج الطبراني في "الأوسط"،(8987)، وحسن إسناده الهيثمي في "مجمع الزوائد"،(134/3)،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرسا، ولَا يزرعُ زرعًا فيأْكُلَ منْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا طَائِرٌ، ولَا شيء، إِلَّا كَانَ لَه أَجْرٌ "، وأخرج البخاري في "صحيحه" (1421) ومسلمَ في "صحيحه" (1022) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رجل: لَأَتَصدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها فِي يدِ سارق، فأَصبحوا يتحدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سارق، فقَالَ: اللَّهمَّ لَكَ الْحمد، لَأَتَصدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فِي يدي زانية، فَأَصبحوا يتحدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيلَةَ عَلَى زانية، فقال: اللَّهمَّ لك الْحمد، عَلَى زانية. لَأَتَصدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها فِي يدي غنيٍ، فَأَصبحوا يتحدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غنيٍ، فقالَ: اللَّهمَّ لَكَ الْحمد، علَى سارقٍ، وعلَى زانية، وعلى غنيٍ، فَأُتِيَ: فقيل لَه: أَمَّا صدقَتكَ علَى سارق فَلَعلَّه أَنْ يستعفَّ عن سرقته، وأَمَّا الزَّانية فلعلَّها أَنْ تستعفَّ عن زناها، وأَمَّا الْغَنيُّ فلعلَّه يعتبر فينفق مِمَّا أَعْطاه الله 84

3- أن يعلم أن معروفه نوع من المعاملة مع الله قبل أن يكون معاملة مع الخلق، عن أَبِي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يقُولُ يوم الْقيامة: يا ابن آدم مرضت فلَم تعدني قَالَ: يا ربِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وأَنْت ربُّ الْعالَمين قَالَ: أَما علمت أَنَّ عبدي فُلَانًا مرض فلَم تعده، أَما علمت أَنَّكَ لَو عدته لَوجدتني عنده، يا ابن آدم استطْعمتكَ فلَم تُطْعمنِي قَالَ: يا رب وكَيف أُطْعمكَ؟ وأَنْتَ ربُّ الْعالَمين قَالَ: أَما علمت أَنَّه استطْعمكَ عبدي فُلَانٌ فلَم تطْعمه، أَما علمت أَنَّكَ لَو أَطْعمته لَوجدت ذَلكَ عندي، يا ابن آدم استسقيتكَ فلَم تسقني قَالَ: يا رب كَيف أَسقيكَ؟ وأَنْت ربُّ الْعالَمين قَالَ: استسقَاكَ عبدي فُلَانٌ فلَم تسقه، أَما إِنَّكَ لَو سقيته وجدت ذَلكَ عندي. أخرجه مسلم في "صحيحه" (2569)

4- أنه يقع عند الله بمكان مهما صغر شأنه عند الله، عن أَبِي هريرةَ عنِ النَّبِيِ ﷺ قَالَ: لَقَدْ رأَيت رجلًا يتقلَّب فِي الْجنَّة فِي شجرة قطعها من ظهرِ الطَّرِيقِ كانت تؤذي النَّاس.

84- فيه فَضْلُ صدقَة السِّرِّ، وفَضْل الْإِخْلَاص، واستحبَاب إعادَة الصَّدَقَة إذا لَمْ تقَع الْموقع، وأَنَّ الْحُكْم للظَّاهر حَتَّى يتَبيَّن سواه، وبركَة التَّسْليم والرِّضا، وذَمُّ التَّضَجُّر بالْقَضاء، كَما قَالَ بعْض السَّلَف: لَا تَقْطع الْخدْمة، ولَو ظهر لَك عدم الْقبول
ينظر:"شرح صحيح مسلم" للنووي، (91/7)، و"فتح الباري"، (340/3)

أخرجه البخاري في "صحيحه" (652)، ومسلم في "صحيحه" (1914)85

يقول ابن الأثير: من كان عادته وطبعه كفران نعمة النّاس وترك شكره لهم كان من عادته كفر نعمة الله عز وجل وترك الشّكر له. [ينظر: "جامع الأصول"، (2/ 560)، ونقله عنه ابن مفلح في "الآداب الشرعية"، (1/ 313)]86

ومن الأخلاق الإسلامية الواردة في الحديث التعاون87:

الحياة تعاون، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ المؤمنين بالتّعاون على البر والتّقوى وحثهم علي ذلك، قال الله عز وجل: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾88، قالَ تعالَى: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر:1-2]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:100- 103]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:174- 175]،﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ

85- وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ كَمَا في الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَفِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى فَضِيلَةِ كُلِّ مَا نَفَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَزَالَ عنّهم ضَررا. ينظر:"شرح صحيح مسلم" للنووي، (131/16) "فتح الباري"، (340/3)

86- يراجع:" التفسير القرآني للقرآن"، د.عبد الكريم الخطيب (369/1)، و"التفسير الوسيط "، د وهبة الزحيلي، (2917/3) و نكران الجميل، موقع ملتقي الخطباء، https://khutabaa.com/ar، اطلع عليه بتاريخ:2021/6/16م

87- التعاون: المساعدة على الخير. ينظر:"معجم اللغة العربية المعاصرة"، (2 / 1580)

88- يقول ابن كثير في " تفسير القرآن العظيم"، (13/2): يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُعَاوَنَةِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وهو الْبِرُّ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وهو التَّقْوَى، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التناصر على الباطل وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ "، وقال القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، (47/6)، :"هُوَ أَمْرٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، أَيْ لِيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَحَاثُّوا عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْمَلُوا به، وانْتَهوا عَمَّا نَهى اللَّهُ عَنْهُ وَامْتَنِعُوا مِنْهُ، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ " ".





مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 128]،وقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [سورة البقرة:44- 46]،وتعاون الناس بينهم فيما ينفعهم يعتبر من مكارم الأخلاق؛ لأن الإنسان مهما بلغت قوته فهو ضعيف في كثير من أموره، فهو محتاج إلى مساعدة الآخرين في كثير من شؤونه، ومن القواعد الفقهية من لا يعين غيره لا يعان عند حاجته89، وقال سبحانه عن ذي القرنين: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: 93 - 98] 90،، في هذه الآيات الكريمة صورة من صور التعاون على الخير ودفع الشر عن الناس، والتصدي للمفسدين في الأرض، وقال:﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: 29 - 32]91، يقول

---

89 - ينظر:" مُوسُوعَة القَواعدُ الفقْهيَّة"، (1078/11)

90- يقول ابن جزي في "التسهيل لعلوم التنزيل "، (474/2):

" فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم، فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي ردما أي حاجزا حصيبا، والردم أعظم من السد".

91 - يقول ابن الجوزي: وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوزارة من الوِزْر وهو الحِمْل، كأن الوزير قد حمل عن السلطان الثِّقْل. وقال الزجاج. اشتقاقه من الوزر، والوزر: الجبل الذي يعتصم به لينجى من الهلكة، ونصب «هارون» من جهتين. إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فينتصب «وزيرا» على أنه مفعولٌ ثان. ويجوز أن يكون «هارون» بدلًا من قوله: وزيرا، فيكون المعنى: اجعل لي وزيرا من أهلي، ثم أبدل هارون من وزير والأول أجود. قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيرا، لأنه لم يرد أن يكون مقصورا على الوزارة حتى يكون شريكًا في النبوَّة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة. وحرك ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي»، وقوله تعالى: اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي قال الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشْدُد به يا ربّ أزري، وأَشْرِكه يا ربّ في أمري. وقرأ ابن عامر: «أَشدد» بالألف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يبتدئ بالألفين. قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء، ولأن الإشراك في النبوَّة لا يكون إلّا من الله عزّ وجل. قال ابن قتيبة: والأَزْر: الظهر، يقال: آزرت فلانا على الأمر، أي: قوَّيته عليه وكنت له فيه ظَهرا. قوله تعالى: وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي أي: في النبوَّة معي

تعالي:﴿ فَسقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) ﴾، فلقد كان كليم الله موسى عليه السلام، رجلا شجاعا قويا، صاحب نجدة، لا يتأخر عن مساعدة الآخرين، وها هو يعين المرأتين ويسقي لهما، بدون مقابل مع حاجته، وقد رأت المرأتان ذلك فحكيا لأبيهما، الذي أرسل ابنته تدعوه للقائه، فرأت من عفته وأمانته ما جعلها تطلب من والدها استئجار الرجل القوي الأمين، وكان الأب حاذقا فعلم إعجاب بنته بموسى عليه السلام، وعلم صدق موسى فيما قص عليه، فبادر - وهو الأب الناصح - بطلب تزويجه بابنته، كسبا للرجل الأمين، في مثل أخلاق موسى عليه السلام، الذي يثق في رعايته وحفاظه على ابنته92،فعن أَبِي موسى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يشدُّ بعضه بعضا،وشبَّكَ أَصابعه 93، يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"،(135/16):"قوله ﷺ:الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وفي الْحَدِيث الْآخر: مثل الْمؤمنين فِي توادهم وتراحمهم، إِلَخْ.. هَذِهِ الْأَحَادِيث صَرِيحَة فِي تَعْظِيم حُقُوق الْمُسلمين بَعضهم على بعض، وحثهم على التَّرَاحُم والْمُلَاطَفَة والتَّعَاضُد فِي غير إِثْم وَلَا مَكْرُوه، وفيه جواز التَّشْبِيه وضرب الْأَمْثَال لتقريب الْمعانِي إِلَى الْأَفْهَام، قَوْله ﷺ: تَدَاعَى لَهُ سائِر الْجَسَد: أَيْ: دَعَا بَعْضه بَعْضًا إِلَى الْمُشَارَكَة فِي ذَلِكَ، ومنه قَوْله: تداعت الحيطان، أَيْ: تساقطت، أَوْ قَرُبَتْ من التَّساقُط "،قَالَ ابن بطَّال: وَالْمُعَاوَنَة فِي أُمُور الْآخِرَة وَكَذَا فِي الْأُمُور الْمُبَاحَة مِنَ الدُّنْيَا مَنْدُوب إِلَيْهَا، ويقول القرطبي في "المفهم"،(565/6)،:" تمثيل يفيد الحض على معونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإنَّ البناء لا يتم أمره، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه، فإن لم يكن كذلك انحلت أجزاؤه، وخرب بناؤه. وكذلك المؤمن لا يستقل بأمور دنياه ودينه إلا

كَيْ نُسَبِّحَكَ أي: نصلّي لكَ وَنَذْكُرَكَ بألسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا أي من نعمكَ إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً أي: عالما إذ خصصتنا بهذه النّعم. انتهي من: "زاد المسير"، لابن الجوزي، (157/3)

92-ينظر:"صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم"، (ص:206)

93 - أخرجه البخاري في "صحيحه" (481)، ومسلم في "صحيحه" (1023)

بمعونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاده، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين، ويلتحق بالهالكين"،ويقول ابن الجوزي عن هذا الحديث في "كشف المشكل"،(405/1): " ظاهره الإخبار، ومعناه الأمر، وهو تحريض على التَّعاون"، وعن أَبِي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: من نَفَّس عن مؤمن كربة من كُرب الدُّنْيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم الْقيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدُّنْيا والْآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدُّنيا والْآخرة، والله في عون الْعبد ما كَانَ الْعبد في عون أَخيه، ومن سلك طَرِيقا يلْتمس فيه علْما سهَّل الله له به طَرِيقًا إِلَى الْجنَّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلُون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إِلَّا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفَّتهم الْملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأَ به عمله لم يسرع به نسبه"94 95، ويقول النووي في "شرح صحيح مسلم"،(17/188):" وهو حديث عظيم جامع لأَنواع من الْعلُوم والْقواعد والْآداب، ومعنى (نفَّس الْكُربة): أَزالَها. وفيه فضل قضاء حوائج الْمسلمين، ونفعهم بما تيسَّر من علْم، أَو مال، أَو معاونة، أَو إشارة بمصلحة، أَو نصيحة، وغير ذلك، وفضل الستر على الْمسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار الْمعسر، وفضل الْمشي في طَلَب الْعلْم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالْعلْم الشَّرعي، بشرط أَنْ يقصد به وجه اللَّه تعالَى، إنْ كان هذا شرطًا في كل عبادة، لَكنَّ عادة الْعلماء يقيدون هذه الْمسأَلة به، لكونه قد يتساهل فيه

---

94 - أخرجه مسلم في "صحيحه" (2590)

95- يقول السندي في "حاشيته علي سنن ابن ماجة"، (100/1):

" قَولُه: (من نَفَّس) بالتَّشْديد أَي فَرَّج كُرْبةً بضم فسكُون أَي غَمًّا وشدَّةً، (من كُرب الدُّنْيا) بضم ففتح جمْع كُربة، قَوله: (ومن ستر مسْلمًا) أَي بثوب أَو بترْك التَّعرُّض لكَشْف حاله بعد أَنْ رآه يرتكب ذنْبا (ومن يسَّر) بالتَّشْديد أَي سهَّل (علَى معْسر) من الْإعْسار أَي مدْيون فقير بالتَّجاوز عن الدَّين كُلًّا أَو بعضا أَو بتأْخير الْمطالَبة عن وقْته، قَولُه: (في عون أَخيه) أَي بأَي وجه كَانَ من جلْب نَفْع أَو دفْع ضر سهل لَه به أَي بسلُوكه والْباء للسَّببيَّة، قَولُه: (في بيت من بيوت اللَّه) قَالَ الطِّيبيُّ: شامل لجميع ما يبنى للَّه تَقَرُّبا إِلَيه من الْمساجد والْمدارس والرُّبط، قولُه: (يتدارسونه) قيل: شامل لجميع ما يتعلَّق بالْقرآن من التَّعلُّم والتَّعليم والتَّفْسير والاستكْشاف عن دقائق معانيه (إِلَّا حفَّتهم الْملَائكَة) أَي طَافُوا بهم وأَداروا حولَهم تعظيما لصنيعهم، قولُه: (السَّكينَة) هي ما يحصل به صفَاء الْقلْب بنور الْقرآن وذهاب ظُلْمته النَّفْسانيَّة، (وغشيتهم) أَي غطَّتهم وسترتْهم، (فيمن عنده) من الْملأ الْأَعلَى الطَّبقة الْأُولَى من الْملائكة، قيل: ذَكرهم مباهاةً بهم، (ومن أَبطأَ به) الْباء للتَّعدية يقالُ: بطَّأَ به بالتَّشْديد وأَبطأَ به بمعنى أَي من أَخَّره عن الشَّيء تفريطُه في الْعمل الصَّالح لم ينفعه في الْآخرة شرف النَّسب، وقيل: يريد أَنَّ التَّقرُّب للَّه لَا يحصل بالنَّسب وكَثْرة الْعشائر، بل بالْعمل الصَّالح، فمن لم يتقرَّب بذلك لا يتقرَّب إِلَيه بعلُو النَّسب".

بعض النَّاسِ، ويَغفَلُ عنه بعضُ الْمبتدئين ونَحْوِهِمْ"، ويقول ابن دقيق العيد في "شرح الأربعين النووية"،(119/1):

"هذا الحديث عظيم جامع لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسَّر من علْم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك"، وقال ابن حجر في "فتح البارَي"،َ(97/5)،" في الحديث حضٌّ على التَّعاون وحسن التَّعاشر والألفة"، عن عبد الله بن عمر أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: الْمسلمُ أَخُو الْمسلم لَا يظْلمه، ولَا يسلمه، من كَانَ في حاجة أَخيه كَانَ الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلم كُربة فَرَّجَ الله عنه بها كُربة من كُرب يوم الْقيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم الْقيامة "96، وهاهو النبي يحث علي التعاون والمحَبة والإخَاء، فعن أُمِّ عطيَّة. قَالَتْ: أَمرنا رسولُ الله ﷺ، أَنْ نُخرجهنَّ في الْفطْرِ والْأَضحى، الْعواتق والْحُيَّض وذوات الْخُدور. فَأَمَّا الْحُيَّض فيعتزلْن الصَّلَاةَ ويشهدْن الْخَير ودعوة الْمسلمين. قُلْتُ: يا رسولَ الله! إحدانَا لَا يكُونُ لَها جلْبابٌ. قَالَ: لتلْبسها أُختها من جلْبابها ". أخرجه مَسلم في "صحيحه"،(890)97

96- أخرجه البخاري في "صحيحه"(2442)، ومسلم في "صحيحه" (2580)

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (105/16):"قولُه ﷺ: ومن فَرَّج عن مسلم كُربةً فَرَّجَ اللَّهُ عنه بها كُربةً من كُرَب يوم الْقيَامَة، ومن ستر مسلماً ستره اللَّه يوم الْقيامة، في هَذَا فضل إعانَة الْمسْلم، وتَفريج الْكُرَب عنه، وستر زَلَاته. ويدخل في كَشف الْكُربة وتفريجها من أَزالَها بإشاراته ورأْيه ودلَالَته. وأَمَّا السَّتْر الْمَنْدوب إلَيْه هنا فَالْمُرادُ به السَّتْر علَى ذَوي الْهَيئَات ونَحْوهم مِمَّن لَيْسَ هو معروفاً بالْأَذَى والْفَساد. فَأَمَّا الْمعروف بذلك فيستحبُّ أَن لا يستر عليه، بل ترفع قضيَّته إلَى ولِي الْأَمْر إنْ لَمْ يَخَفْ من ذَلك مفسدةً ; لأَنَّ السَّتْر علَى هَذَا يطْعمه في الْإيذَاء والْفَساد، وانتهاك الْحُرمات، وجسارة غيره علَى مثل فعله. هذَا كُلُّه في ستر معصية وقعت وانْقضت، وأَمَّا معصية رآه علَيها، وهو بعد متلبس بها، فتجب الْمبادرة بإنْكَارها علَيه، ومنعه منها علَى من قدر علَى ذَلك، ولَا يَحلُّ تَأْخيرها فإنْ عجز لَزمه رفْعها إلَى ولِي الْأَمْر إذَا لَمْ تترتَّب علَى ذَلك مفْسدة، وأَمَّا جرح الرُّوَاة والشُّهود والْأُمناء علَى الصَّدَقات والْأَوقَاف والْأَيْتَام ونَحوهم، فيجب جرحهم عند الْحَاجة، ولَا يحلُّ السَّتْر علَيهم إذَا رأَى منهم ما يقْدح في أَهليَّتهم، ولَيس هَذَا من الْغيبة الْمحرَّمة، بل من النَّصيحة الْواجبة، وهذَا مُجمعٌ علَيه، واللَّه أَعلَم ".أ.هـ

97- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (485/6):" (ويَشْهدْنَ الْخَيْر ودعْوَة الْمُسْلمين) فيه استحْباب حُضور مَجَامع الْخَيْر ودُعَاء الْمُسْلمين وحلَق الذِّكْر والْعلْم ونَحْو ذَلكَ، فقوله: (لَا يكُونُ لَها جلْبَابٌ) قَالَ النَّضْر بن شُمَيْل: هو ثَوْبٌ أَقْصر وأَعْرض من الْخمار وهي الْمقْنعة تغطِّي به الْمرأَة رأْسها وقيل: هو ثَوب واسع دون الرداء تغطِّي به صدْرها، وظَهرها، وقيل: هو كَالْملاءة والْملْحفة، وقيل: هو الْإزَار، وقيل: الْخمَار، قوله: صلَّى اللَّه علَيْه وسلَّم (لتُلْبسها أُخْتهَا من جلْبَابها) الصَّحيح أَنَّ معنَاه لتلْبسها جلْبَاباً لَا تَحتاج إلَى عارية. وفيه الْحَثُّ علَى حضُور الْعيد لكُلِّ أَحَد، وعلَى الْمواساة والتَّعاون علَى الْبِرِّ والتَّقْوى".

والتعاون فيه معنى التَّساعُد والمعاوَنة، والاجتماعِ على عمل الخير، فتارة يكون من الفرد تجاه المجموعة, وتارةً يكون من المجموعة تجاه الفرد، وهو شاملٌ لأمور الدّين والدُّنيا، قال تعالى:﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[الزخرف: 32]؛ أي: ليسخّر بعضُهم بعَضًا؛ في الأعمال والحرف والصَّنائع، فلو تَساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضُهم إلى بعض؛ لتعطَّل كثيرٌ من مصالحِهم ومنافعهم، أهم يقسمون رحمة ربك -أيها الرسول- فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون أم الله؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ ليصير بعضهم مسخَّرا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا الفاني 98، ثم بين سبحانه مظاهر قدرته في خلقه فقال:﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾، أى: نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في هذه الدنيا، ولم نترك تقسيمها لأحَد منهم، ونحن الذين- بحكمتنا- تولينا تدبير أسبابها ولم نكلها إليهم لعلمنا بعجزهم وقصورهم، ونحن الذين رفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الدنيا، فهذا غنى وذاك فقير، وهذا مخدوم، وذاك خادم، وهذا قوى، وذاك ضعيف، ثم ذكر- سبحانه- الحكمة من هذا التفاوت في الأرزاق فقال: لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا،أى: فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا في حوائجهم، ويعاون بعضهم بَعضًا في مصالحهم، وبذلك تنتظم الحياة، وينهض العمران. ويعم الخير بين الناس، ويصل كل واحد إلى مطلوبه على حسب ما قدر الله- تعالى- له من رزق واستعداد، ولو أنا تركنا أمر تقسيم الأرزاق إليهم لتهارجوا وتقاتلوا، وعم الخراب في الأرض، لأن كل واحد منهم يريد أن يأخذ ما ليس من حقه، لأن الحرص والطمع من طبيعته، وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة لأمور دنياهم فكيف أباحوا لأنفسهم التحكم في منصب النبوة، وهو بلا شك أعلى شأنا، وأبعد شأوا من أمور الدنيا، وقوله سُخْرِيًّا بضم السين- من التسخير، بمعنى تسخير بعضهم لبعض وخدمة بعضهم لبعض، وعمل بعضهم لبعض، فالغنى- مثلا- يقدم المال لغيره، نظير ما يقدمه له ذلك الغير من عمل معين، وبذلك تنتظم أمور الحياة، وتسير في طريقها الذي رسمه- سبحانه- لها، قال الجمل ما ملخصه: قوله: لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا أى: ليستخدم بعضهم بعضا، فيسخر الأغنياء بأموالهم، الأجراء الفقراءَ بالعَمل، فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض، هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام العالم، لأن الأرزاق لو تساوت لتعطلت المعايش، فلم يقدر أحد منهم أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا الأمر الدنيء، فكيف يطمعون في الاعتراض في أمر النبوة، أيتصور عاقل أن نتولى قسم الناقص، ونكل العالي

98- ينظر:"المختصر في تفسير القرآن الكريم"، (ص:491)



إلى غيرنا..؟، هذا والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها تقرر سنة من سنن الله تعالى التي لا تغيير لها ولا تبديل، والتي تؤيدها المشاهدة في كل زمان ومكان، فحتى الدول التي تدعى المساواة في كل شيء، ترى سمة التفاوت في الأرزاق وفي غيرها واضحة جلية، وصدق الله في قوله:

﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾، ومن الآيات التي تشبه هذه الآية قوله تعالى:﴿ والله فَضَّل بعضكُم على بعض في الرزق... ﴾،وقوله سبحانه:﴿ انظُر كَيف فَضَّلْنا بعضهم على بعض، ولَلْآخرة أَكْبر درجات، وأَكْبر تفضيلًا ﴾،ثم ختم سبحانه هذا التهوين لحطام الدنيا فقال: ولَولاَ أَنْ يكُون النَّاس أُمَّةً واحدَةً، لَجَعلْنا لمن يكْفُر بالرَّحْمنِ لبيوتهم سقُفا من فضَّة، ومعارِج علَيها يظْهرونَ}، ولَولا حرف امتناع لامتناع. والكَلام على حَذف مضَافَ. والمراد بالأمَة الواحدة، أمة الكفر، والمعارج جمع معرج وهي المصاعد التي يصعد عليها إلى أعلى، أى: ولولا كراهة أن يكون الناس جميعا أمة واحدة مجتمعة على الكفر حين يشاهدون سعة الرزق، ورفاهية العيش، ظاهرة بين الكافرين.. 99،وأخرج البخاري في "صحيحه"،(30)، عن واصل الْأَحدَب، عن الْمعرور قَالَ: لَقيتُ أَبا ذَر بالرَّبذَة وعلَيه حلَّةٌ، وعلَى غُلَامه حلَّةٌ، فَسأَلْته عن ذَلكَ، فقَالَ: إِني سابَبت رجلًا فعيَّرته بأُمه، فَقَالَ لي النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: يا أَبا ذَر أَعيَّرته بأُمه؟ إِنَّك امرؤ فيك جاهليَّةٌ، إِخوانُكُم خَولُكُم، جعلَهم الله تَحت أَيديكُم، فمن كَانَ أَخوه تَحت يده فَلْيطْعمه ممَّا يأْكُل، ولْيلْبسه ممَّا يلْبس، ولَا تُكَلِّفُوهم ما يغلبهم، فإِنْ كَلَّفتموهم فأَعينوهم".

التفاوت بين الناس من حيث إنهم طبقات مختلفة حيث نجد الغني والفقير،والمتعلم والحرفي، إنما لحكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه كي يحتاج الناس بعضهم لبعض من أجل تعمير الكون واستعمار الأرض أي ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال والحرف والصنائع، ولو تساوى الناس في الغنى فلا نجد من يبني المنازل ولَا من يغرس الأرض،من أجَل هذَا شَرع الإِسَلام المباديء السامية التي توضح كيفية تعامل الناس مع بعضهم خاصة في أمر الأجراء والمستخدمين فمن، وهذا من حسن التعاون والتعاملِ الذي دعى إليه الإسلام، بل هو عمل يتقرب به العبد إلى الله عز وجل وخير مثال لذلك ما جاء في قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما سقى لابنَتي الرَّجلِ الصَّالح:﴿ قَالَ إِني أُرِيدُ أَنْ أُنكحكَ إِحدَى ابنتَيَّ هاتَين عَلَى أَن تَأْجرَني ثَمَانِي حججٍ فَإِنْ أَتْمَمت عشرا فَمن عندكَ وما أُرِيد أَنْ أَشُقَّ علَيكَ ستَجدُنِي إن

99-" التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، طنطاوي، (79/13)

شاء اللَّه من الصَّالحين قالَ ذلك بيْني وبينك أيَّما الْأجلين قضيت فلا عدْوان عليَّ واللَّه على ما نقول وكيل ﴾ (القصص 27-28)، ومن عظمة الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يكَلَّف العَامل أو الأجير فوقَ طاقته فلا يطْلَب منه ما يعجز عنه أو يشق عليه، فقد أخرج مسلم في "صحيحه"،(1662)، وأخرَج البخاري في "صحيحه"،(227)، عن أَبِي هريرَة رضي الله عنه، عن النَّبِي ﷺقالَ: قَالَ الله: ثَلَاثَةٌ أنَا خصمهم يوم الْقيامة: رجل أَعطَى بِي ثُمَّ غدر، ورجلَ باع حرًّا فأَكَل ثمنه، ورجل استأْجر أَجيرا فاستوفى منه ولَم يعط أَجره "، كما حرم الإسلام استخدام القوة في التعامل معهم وكذلك السب وَ ضرب الضعفَاء، ففي "صحيح مسلم"،(1659)، عن أَبِي مسعود الْأَنصاري قَالَ: كنت أَضرب غلاما لي، فسمعت من خلْفي صوتاً: اعلَم أَبا مسعود، للَّه أَقْدر عليك منك عليه. فَالْتفتُّ فإذَا هو رسولُ الله ﷺ، فقلْتَ: يا رسولَ الله، هو حرٌّ لوجه الله، فقَالَ: أَما لَوَ لَم تفعلَ، لَلَفحتك النَّار، أَو لَمسَّتك النَّار ".

يقول الراغب الأصفهاني: "اعلم أنه لَمَّا صعب على كلِّ أحد أنْ يُحصِّل لنفسه أدنى ما تحتاج إليه إلَّا بمعاونة غيره له، فإنَّ لُقمة الطعام لو عددنا تعب تحصيلها؛ من حين الزَّرع إلى حين الطَّحن والخبز، وصنَّاع آلاتها؛ لَصعب حصره احتاج الناس أنْ يجتمعوا متظاهرين متعاونين، ولهذا قيل: الإنسان مدنيٌّ بالطَّبع[100]، أي: لا يمكنه التَّفرُّد عن الجماعة بعيشه، بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدُّنيا... وقد قيل: الناس كجسد واحد, متى عاون بعضه بعضا استقل، ومتى خذل بعضه بعضا اختل"، قال عمر بن الخطّاب رضيً الله عنه: "عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنّهم زين في الرخاء وعدّة في البلاء"،و قال عطاء بن أبي رباح: "تفقّدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكّروهم" [101]، ويقول ابن تيمية: "... إذ كان الإنسان مدنيًّا بالطَبع، لا تتمُّ مصلَحته إلا ببني جنسه، يعاونونه على جلب المنفعة ودفع المضَّرة"؛ ويقول أيضا: "الإنسان مدنيٌّ بالطَبع[102] لا يستَقل بتحصيل مصالحه، فلا بدَّ لهم من الاجتماع للتعاون على المصالح"،ويقول ابن القيم: "إن الإنسان مدنيٌّ بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس"، ويقول الفخر الرازي عند قوله تعالى: ﴿ اللَّه الَّذي جعل لَكُم اللَّيل لتسكُنوا فيه وأَمَّا قولُه والنَّهار مبصراً

100 - ينظر: " المفردات في غريب القرآن"، (28/1)

101-ينظر: "الإخوان"، لابن أبي الدنيا (ص: 116)، و"إحياء علوم الدين "، (2/ 171)

102- ينظر:"مقدمة ابن خلدون"، (ص:30)، و"الموسوعة القرآنية المتخصصة - الإنسان في القرآن الكريم"، (ص:770)

﴾، فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بالطَّبعِ، ومعناه أنَّه ما لَمْ يَحْصلْ مَدِينَةٌ تَامَّةٌ لَمْ تَنْتَظِمْ مُهِمَّاتُ الْإِنْسَانِ في مأْكُوله ومشروبه وملْبسه ومنْكَحه، وتلْك الْمُهمَّاتُ لَا تَحْصلُ إلَّا بأَعْمال كَثيرة "103 ويقول عند قوله تَعَالى: ﴿ فَاحكُمْ بَين النَّاسِ بالحَق ﴾: " واعلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ خلق مدنيًّا بالطَّبعِ، لأَنَّ الْإِنْسَانَ الْواحد لَا ينْتظم مصالحه إلَّا عند وجود مدينة تامَّة حتَّى أَنَّ هذَا يحرث، وذَلك يطْحن، وذَلك يخبز، وذَلَكَ ينسج، وهذَا يخيط، وبالْجملَة فيكُون كُلّ واحدة منهم مشْغولًا بمُهمٍ، وينتظم من أَعْمَالَ الْجَمِيعِ مصَالح الْجَميعِ، فثبتَ أَنَّ الْإِنْسانَ مَدَنِيٌّ بالطَّبعِ "104

ويقول ابن عاشور: "والله بنى نظام هذا العالم على تعاون الناس بعضهم مع بعض، لأن الإنسان مدني بالطبع، فإذا لم يأمن أفراد الإنسان بعضهم بعضا تنكر بعضهم لبعض، وتبادروا الإضرار والإهلاك ليفوز كل واحد بكيد الآخر قبل أن يقع فيه، فيفضي ذلك إلى فساد كبير في العالم، والله لا يحب الفساد ولا ضُرَّ عبيده إلا حيث تأذن شرائعه بشيء...."105

وهذا الاجتماع كما أنه سنة اجتماعية وجبلة بشرية فقد جاء الإسلام للاتفاق مع هذا القانون الكوني، حيث أكد على هذه الحقيقة بالمفاهيم والتصورات والأحكام والآداب، وكل ما شرع للأمة المسلمة من عبادات وأحكام وشعائر وأخلاق روعي فيها تأكيد هذا المعنى، فغالبية العبادات فُرض فيها الاجتماع أو ما في معناه، وكذلك الشعائر الدينية، والحقوق والواجبات إنما صيغت في ضوء وجود الإنسان في مجتمع بكل صوره وبتنوعه العرقي والديني والثقافي.

بل لقد جعل الإسلام الاجتماع تعبيرا صادقا عن مدى تحقق الإيمان والالتزام بتكاليفه، سواء في حدود الأسرة أو الجيرة أو ذوي الرحم والقربى أو الصحبة أو الكيان السياسي، هذا في شأن الأمة الداخلي، أما على مستوى البشرية جمعاء فقد انتظم الإسلام علاقة المسلمين بغيرهم دولا وأفرادا خارج بلاد المسلمين، نظرا لأن الأمة الإسلامية مهما بلغت ستظل جزءا من أمم الأرض ودولها، ولذا نستنتج أن التعاون على الخير بين أفرد المجتمع ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها.

يقول عبدالرحمن بن خلدون الإشبيلي:

---

103 - ينظر: " مفاتيح الغيب"، (528/27)

104-ينظر: " مفاتيح الغيب"، (386/26)

105- " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، (335/22)، بتصرف.





"الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطّبع أي لا بدّ له من الاجتماع الّذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلّا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلّا أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلّا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلّا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجار وفاخوري وهب أنّه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدّراس الّذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه من الزراعة والحصاد والدّارس الّذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كلّه أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأنّ الله سبحانه لما ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الإنسان وكذا قدرة الحمار والثّور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره وجعل للإنسان عوضا من ذلك كلّه الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات الّتي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدّفاع مثل الرماح الّتي تنوب عن القرون النّاطحة والسيوف النّائبة عن المخالب الجارحة والتّراس النّائبة عن البشرات الجاسية، فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدّة لها فلا بدّ في ذلك كلّه من التّعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركّبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وإذا كان التّعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتّمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فإذن هذا الاجتماع

ضروري للنوع الإنساني وإلّا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران الّذي جعلناه موضوعا لهذا العلم........"106، وإننا إذا نظرنا إلى الإسلام نظرة شاملة، وجدنا مبدأ التعاون يتغلغل في جميع جوانب الحياة، الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى الإنسان فإنه بطبعه لا يمكن له إلا أن يعيش في مجتمع، يعينه ويستعين به، وإهمال هذا المبدأ يؤدي – بالتأكيد- إلى ظهور صفة السلبية في التعامل بين أفراد المجتمع، واللامبالاة بهموم الناس ومشاكلهم، خصوصا إذا انعدمت قناعة الشخص بالتعاون، إلا إذا كان على أساس مادي، أو بمقابل، أو مشروط بمنفعة مقابلة، كما أن العمل الجليل و الإنتاج الغزير لا يتحققان إلا بطريق العمل الجماعي، وهذا بخلاف العمل الفردي الذي لن يثمر إلا شيئا يسيرا من الأعمال التي تتناسب مع مستوى طاقة الفرد، ولا ريب أن الحالة النفسية للعامل لها أثرها الطيب في زيادة الإنتاج، وكثرة العطاء، لذلك كان لا بدّ من الحرص على تنمية ملكة التعاون بين العمال، وهذا لا بدّ من تأصيله شرعا حتى لا يعتبر نافلة من القول، بل هو واجب جاء به قول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، ولقد ضرب لنا الرسول ﷺ مثالاً غاية في الروعة، وشعورا بضرورةَ التعاون، فعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ قَالَ: بينما نَحن في سفر مع النَّبِي ﷺ، إذْ جاء رجل عَلَى راحلَة لَهُ قَالَ: فَجعل يصرف بصره يمينا وشِمالًا، فَقَالَ: رسولُ الله ﷺ: من كَانَ معه فضلِ ظَهر فلْيعد به عَلَى من لَا ظَهر لَه، ومن كَانَ لَه فَضلَ من زاد فَلْيعد به عَلَى من لَا زَاد لَه. قَالَ: فَذَكَر من أَصناف الْمال ما ذَكَر، حتَّى رأَينا أَنَّه لَا حقَّ لأَحد منَّا فيِّ فَضل "107، وأخرج البخاري في "صحيَحه"،(3)،ومسلَم في "صحيحه"،(160)، عن عائشَةَ أُم الْمؤمنين أَنَّهَا قَالَت: أَوَّلُ ما بدئَ به رسولُ الله ﷺمن الْوحي الرُّؤْيا الصَّالحةُ في النَّوم، فَكَانَ لَا يرى رؤْيا إِلَّا جاءت مثل فَلَق الصُّبح، ثُمَّ حبب إِليه الْخَلَاء، وكَانَ يخْلُو بغار حراء، فيتحنَّث فيه وهو التَّعبُّد اللَّيالي ذَوات الْعدد قبل أَنْ ينزِع إِلَى أَهْلَه، ويتزوَّد لذَلكَ، ثُمَّ يرجع إِلَى خَديجة فيتزوَّد لمثْلها، حتَّى جاءه الْحَقُّ وهو في غَار حراء، فجاءه

106- ينظر:" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، (ص:54-55)

107 - أخرجه مسلم في "صحيحه"، (1728)

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (394/12):" في هَذَا الْحَديث الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَة وَالْجُود وَالْمواساة وَالْإِحْسان إِلَى الرُّفْقَة وَالْأَصْحاب، والاعْتنَاء بمَصالح الْأَصْحَاب، وأَمر كَبِير الْقَوم أَصْحابه بمُواساة الْمحتَاج، وأَنَّه يكْتَفي في حاجَة الْمحتَاج بتعرُّضه للْعطَاء، وتَعريضه من غَير سؤَال، وهذَا معنَى قَوله: (فجعل يصرف بصره) أَي: متعرضًا لشَيء يدْفَع به حاجته، وفيه مواساة ابن السَّبِيل، والصَّدَقة عليْه إِذَا كَانَ محتاجا، وإِنْ كَانَ لَه راحلَةٌ، وعلَيه ثياب، أَو كَانَ موسرا في وطَنه، ولهذَا يعطَى من الزَّكاة في هذه الْحَال".

الْملَكَ فقَالَ: اقرأْ، قَالَ: ما أَنَا بقَارئ. قَالَ: فَأَخذَني فغطَّني حتَّى بلَغ مني الْجهْد، ثُمَّ أَرسلَني فقَالَ: اقْرأْ، قُلْتُ ما أَنَا بقَارئ، فَأَخذَني فغطَّني الثَّانية حتَّى بلَغ مني الْجهْد، ثُمَّ أَرسلَني فقَالَ: اقْرأْ، فقَلْت ما أَنا بقارئ، فَأَخذَني فغطَّني الثَّالثَة، ثُمَّ أَرسلَني فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ باسْم ربك الَّذي خلَق * خلَق الإنْسانَ من علَق * اقْرأْ وربُّكَ الأَكْرم ﴾ فَرجع بها رسولُ الله ﷺيرجف فؤاده، فدخل علَى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقَالَ: زملُوني زملُوني فزمَّلُوه حتَّى ذَهب عنه الرَّوع، فقَالَ لخديجة وأَخبرها الْخبر: لَقَدْ خشيت علَى نفسي فقَالَت خديجة: كَلَّا والله ما يخزيك الله أَبدا، إنَّك لَتصل الرَّحم، وتحمل الْكَلَّ، وتَكْسب الْمعدوم، وتقري الضَّيف، وتُعين علَى نوائب الْحق. فَانطَلَقَتْ به خديجة حتَّى أَتت به ورقَة بن نوفَل بن أَسد بن عبد الْعزَّى، ابن عم خديجة، وكَانَ امرءا تنصَّر في الْجاهليَّة، وكَانَ يكْتُب الْكتاب الْعبرانيَّ، فيكْتُب من الإنْجيل بالْعبرانيَّة ما شاء الله أَنْ يكْتُب، وكَانَ شيخا كَبيرا قد عمي، فقَالَت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أَخيك. فقَالَ لَه ورقَة: يا ابن أَخي ماذَا ترى؟ فَأَخبره رسولُ الله ﷺخبر ما رأَى، فقَالَ لَه ورقَة: هذَا النَّاموس الَّذي نزَّلَ الله علَى موسى، يا لَيتني فيها جذَعا، لَيتني أَكُون حيًّا إذْ يخرجك قومك، فقَالَ رسولُ الله صلَّى الله علَيه وسلَّم: أَومخْرجيَّ هم؟! قَالَ: نعم. لَم يأْت رجلٌ قَطُّ بمثل ما جئت به إلَّا عودي، وإنْ يدركْني يومك أَنْصرك نصرا مؤزَّرا. ثُمَّ لَم ينشب ورقَة أَنْ توفِّي، وفتر الْوحي، وأخرج البخاري في "صحيحه"،(676)،عن الْأَسود قَالَ: سأَلْت عائشَة: ما كَانَ النَّبي ﷺيصنع في بيته؟ قَالَت: كَانَ يكُونُ في مهنة أَهله، تعني خدمة أَهله، فَإذَا حضرت الصَّلَاة خرج إلَى الصَّلَاة "، وأخرج البخاري في "صحيحه"، (3034)، عن الْبراء رضي الله عنه قَالَ: رأَيت النَّبي ﷺيوم الْخنْدق وهو ينقُل التُّراب حتَّى وارى التُّراب شعر صدره وكَانَ رجلًا كَثير الشَّعر وهو يرتَجز برجز عبد الله: اللَّهمَّ لَولَا أَنْت ما اهتدينا ولَا تصدَّقْنا ولَا صلَّينا...فَأَنزلَن سكينة علَينا وثَبت الْأَقْدام إنْ لَاقَينا..إنَّ الْأَعداء قَدْ بغوا علَينا إذَا أَرادوا فتْنة أَبينا، يرفع بها صوته، وأخرج أحمد في "مسنده"،(354)،عن سماك بن حرب قَالَ: سمعت عبَّاد بن زاهر أَبا رواع قَالَ: سمعت عثْمان يخْطُب، فقَالَ: إنَّا والله قَدْ صحبنا رسولَ الله ﷺ في السَّفَر والْحضَر، فكَانَ يعود مرضَانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالْقَليل والْكَثير وإنَّ ناسا يعلمونِي به عسى، أَلَّا يكُونَ أَحدهم رآه قَطُّ"، وفي "صحيح البخاري"،(2486)،وفي "صحيح مسلم"،(2500)،عن أَبي موسى قَالَ: قَالَ النَّبي

ﷺ: إنَّ الْأَشْعريين إذَا أَرملُوا فِي الْغزو، أَو قَلَّ طَعَام عيالهم بالْمَدينة، جمعوا ما كَانَ عنْدَهُمْ فِي ثَوْب واحد، ثُمَّ اقْتسموه بينهم فِي إناء واحد بالسَّويَّة، فهم مني وأَنا منهم 108

وفي "صحيح البخاري"،(447)،عن عكْرِمةَ: قَالَ لي ابن عبَّاس ولابْنه علي: انطَلقَا إلَى أَبِي سعيد، فاسْمعا من حديثه، فانطَلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثُمَّ أَنشأ يحدثنا، حتَّى أَتى ذكر بناء الْمسجد، فقال: كُنَّا نحمل لبنة لبنة، وعمَّار لبنتين لبنتين، فرآه النَّبي ﷺ، فينفض التُّراب عنه، ويقول: ويح عمَّار، تقتله الفئة الْباغية، يدعوهم إلَى الْجنَّة، ويدعونه إلى النَّار. قال: يقول عمَّار: أَعوذ بالله من الْفتن "، ولقد حثَّ الرسول ﷺ على التعاون حتي معونة العمال، فعن واصل الْأَحدب، عن الْمعرور قال: لقيت أَبا ذر بالرَّبذة وعليه حلَّة، وعلى غلامه حلَّة، فسأَلته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا فعيَّرته بأُمه، فقال لي النَّبي ﷺ: يا أَبا ذر أَعيَّرته بأُمه؟ إنَّك امرؤ فيك جاهليَّة، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أَيديكم، فمن كان أَخوه تحت يده فليطعمه ممَّا يأكل،

108- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (50/16):"في هذَا الْحديث فَضيلَةُ الْأَشْعَريّين، وفَضيلَةُ الْإيثَار والْمواساة، وفَضيلَةُ خَلْط الْأَزواد في السَّفَر، وفَضيلَةُ جمعها في شيء عنْد قلَّتها في الْحضر، ثُمَّ يقْسم، ولَيس الْمراد بهذَا الْقسمة الْمعروفة في كُتُب الْفقْه بشروطها، ومنْعها في الربويَّات، واشْترَاط الْمواساة وغيرها، وإنَّما الْمراد هنا إباحة بعضهم بعضا، ومواساتهم بالْموجود"

وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ "110109، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ" 111، هكذا تقوم التربية الإسلامية على اعتبار المجتمع المسلم كيانا حيا واحدا، إنها التربية الاجتماعية بالتعاون، فقد شبه رسول الله ﷺ هذا المجتمع بالجسد، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "112، وَعَلى هذا الأساس العظيم رغب القرآن بالتعاون، فقال تعالى: ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[المائدة: 2]113،وتدل الآية على أن أواصر المحبة التي تقوم عليها التعاون بين أفراد المجتمع المسلم، إنما تقوم

---

109 – أخرجه البخاري في "صحيحه" (6050) ومسلم في "صحيحه" (1661)

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (291/11):" قَوْلُه ﷺ: (فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) أَيْ هَذَا التَّعْيِيرُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَفِيكَ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، فَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ التَّعْيِيرِ وَتَنْقِيصِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، قَوْلُهُ: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) مَعْنَى كَلَامِ أَبِي ذَرٍّ الِاعْتِذَارُ عَنْ سَبِّهِ أُمَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ، يَعْنِي أَنَّهُ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّ إِنْسَانًا سَبَّ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَبَا السَّابِّ وَأُمَّهُ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: هَذَا مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا يُبَاحُ لِلْمَسْبُوبِ أَنْ يَسُبَّ السَّابَّ نَفْسَهُ بِقَدْرِ مَا سَبَّهُ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِأَبِيهِ وَلَا لِأُمِّهِ، قَوْلُهُ ﷺ: " هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَأَطْعِمُوا مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " الضَّمِيرُ فِي (هُمْ إِخْوَانُكُمْ) يَعُودُ إِلَى الْمَمَالِيكِ، وَالْأَمْرُ بِإِطْعَامِهِمْ مِمَّا يَأْكُلُ السَّيِّدُ، وَإِلْبَاسِهِمْ مِمَّا يَلْبَسُ مَحْمُولٌ عَلَى الِاسْتِحْبَابِ لَا عَلَى الْإِيجَابِ، وَهَذَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا فِعْلُ أَبِي ذَرٍّ فِي كِسْوَةِ غُلَامِهِ مِثْلَ كِسْوَتِهِ فَعَمَلٌ بِالْمُسْتَحَبِّ، وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَى السَّيِّدِ نَفَقَةُ الْمَمْلُوكِ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ بِحَسَبِ الْبُلْدَانِ وَالْأَشْخَاصِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ جِنْسِ نَفَقَةِ السَّيِّدِ وَلِبَاسِهِ، أَوْ دُونَهُ، أَوْ فَوْقَهُ حَتَّى لَوْ قَتَّرَ السَّيِّدُ عَلَى نَفْسِهِ تَقْتِيرًا خَارِجًا عَنْ عَادَةِ أَمْثَالِهِ إِمَّا زُهْدًا، وَإِمَّا شُحًّا، لَا يَحِلُّ لَهُ التَّقْتِيرُ عَلَى الْمَمْلُوكِ، وَإِلْزَامُهُ وَمُوَافَقَتُهُ إِلَّا بِرِضَاهُ، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّفَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَزِمَهُ إِعَانَتُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ ".

110–ينظر: " القول المعروف في فضل المعروف"، (405/1–406)، و "واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل "، (70/1)

111 – أخرجه أبو داود في "سننه" (4506)، والترمذي في "جامعه" (1413)، وابن ماجه في "سننه"، (2659).

112– أخرجه البخاري في "صحيحه"، (52)، ومسلم في "صحيحه"، (1599)

113– قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: "{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}"، وَلْيُعِنْ بَعْضُكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، بَعْضًا " عَلَى الْبِرِّ "، وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَمَلِ بِهِ " وَالتَّقْوَى "، هُوَ اتِّقَاءُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّقَائِهِ وَاجْتِنَابِهِ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَقَوْلُهُ: "{وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} "، يَعْنِي: وَلَا يُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا " عَلَى الْإِثْمِ "، يَعْنِي: عَلَى تَرْكِ مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِفِعْلِهِ " وَالْعُدْوَانِ "، يَقُولُ: وَلَا عَلَى أَنْ تَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّ اللَّهُ

على تحقيق الخير والبر، وعلى التقوى أي الخوف من ارتكاب معصية أو شرك بالله، أو بعد عن شريعته، أو إيذاء بغير حق، ولذلك نهى الله عن أن يكون التعاون في الإثم، والعدوان، عن أَبِي موسى قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَة أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائه فَقَالَ: اشْفَعوا فَلْتؤجروا، ولْيقْضِ الله عَلَى لسان نبيه ما أَحَبَّ"114، وعَنْ جابر قَالَ: كَانَ لِي خَالٌ يرقِي من الْعَقْرب، فَنَهى رَسُولُ الله ﷺ عن الرُّقَى، قَالَ: فَأَتَاه فَقَالَ: يا رسولَ الله، إنَّك نَهيت عن الرُّقَى، وأَنَا أَرْقي مَن الْعَقْرب! فقَالَ: من اسْتَطَاعَ منْكُم أَنْ ينفَع أَخَاهُ فَلْيَفْعل115، فلقد حث الإسلام على البَر وَالإحسان والتكافل بين الناس، وإغاثة الملهوف والتنفيس على المسلمين من كربهم المادية والمعنوية، لما لهذه المواساة من أثر في قلب المكروب، ومنها إقراض من يحتاج إلى قرض، وإنظار المعسر، والتيسير في المعاملات المالية بين الناس، وقد قسم الماوردي أصناف الناس في التعاون إلي أربعة أقسام، فقال: تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين، فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدي ما

لَكُمْ فِي دينكُمْ، وفَرضَ لَكُمْ فِي أَنْفُسكُمْ وَفِي غَيْرِكُمْ، وإنَّمَا معنَى الْكَلَام: { وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شنَآنُ قَوْم أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِد الْحَرَام أَنْ تَعتَدُوا } ولَكن ليعن بعضُكم بعضًا بالْأَمْر بالانْتهاء إلَى ما حَدَّه اللَّهُ لَكُمْ فِي الْقَوْم الَّذين صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِد الْحَرَام وفِي غَيْرِهِمْ، والانْتهاء عَمَّا نَهَاكُم اللَّهُ أَنْ تَأْتُوا فيهِم وفِي غَيْرِهِمْ، وفِي سائرِ ما نَهَاكُم عنهُ، وَلا يعن بعضُكُم بعضًا علَى خلَاف ذَلكَ"

انتهي من " جامع البيان في تأويل القرآن "، للطبري، (491/9)

قوله جل ذكره: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى، البر فعل ما أمرت به، والتقوى ترك ما زجرت عنه، ويقال البر إيثار حقه- سبحانه، والتقوى ترك حظّك، ويقال البر موافقة الشرع، والتقوى مخالفة النفس، ويقال المعاونة على البر بحسن النصيحة وجميل الإشارة للمؤمنين، والمعاونة على التقوى بالقبض على أيدى الخطائين بما يقتضيه الحال من جميل الوعظ، وبليغ الزجر، وتمام المنع على ما يقتضيه شرط العلم، والمعاونة على الإثم والعدوان بأن تعمل شيئا مما يقتدى بك لا يرضاه الدّين، فيكون قولك الذي تفعله ويقتدى بك (فيه) سنّة تظهرها و (عليك) نبو وزرها، وكذلك المعاونة على البر والتقوى أي الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتدى بك فيه"

انتهي من " لطائف الإشارات"، للقشيري، (398/1)

114- أخرجه البخاري في "صحيحه" ((1432)، ومسلم في "صحيحه" (2627)

(فلتؤجروا) كأن الظاهر تركُ الفاء واللام، ففيه حذف؛ أي: تؤجروا، فلتؤجروا؛ أي: اشفعوا، واسعوا في قضاء حاجة الناس، يحصل لكم الأجر، ثم أمر بعد ذلك بتحصيل الأجر، وفيه وجوه أُخرى سبقت في (كتاب الأدب)، وغرضه: أنه ﷺ يحكم بما حكم الله تعالى به من موجبات قضائها، وعدمه، وعليكم أن تشفعوا بما يكون سبب قضاء الحاجة، أو بالتخفيف فيما جاز فيه الشفاعة

انتهي من: " اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، (433/17)

115 - أخرجه مسلم في "صحيحه" (2199)





عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان. وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شره فهو لا صديق يرجى، ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة الممثلة، يروقك حسنها، ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللّوم أجدر، وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل، ومهين مستذلّ قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله فليس لمثله في الإخاء حظّ، ولا في الوداد نصيب. وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطّبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة. فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبعا فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله، وقل أن يكون له مثل؛ لأنّه البر الكريم والدّر اليتيم، أن يثني عليه خنصره، ويعض عليه بناجذه ويكون به أشدّ ضنّا منه بنفائس أمواله، وسني ذخائره؛ لأنّ نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم نفعا فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأنّ اليسير مغفور والكمال معوز 116، وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الشَّيْبَانِيِّ، أَنَّهُ سئِلَ عَنِ الْإِخْوَانِ، فِي اللَّهِ عَزَّ وجلَّ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هم الْعَامِلُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ، الْمتعاوِنونَ عَلَى أَمرِ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ , وَإِنْ تَفَرَّقَتْ دورهم وأَبدانُهُم"117،وَقد وَردتَ أحَاديث نبوية في فضَل التعاون بيَن المَسلمين، وقضاءَ حوائج الناس، وتفريج كربهم، والتيسير عليهم، وحسن معاملتهم، وثواب من أنظر معسرا، ومد يد العون لهم، والسعي لإزالة الكرب عليهم أو تخفيفها، ففي فضل قرض المحتاج وتفريج الكرب على المسلمين وإعانتهم،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:"لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحد ذَهبًا لَسرَّنِي أَنْ لا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثُ لَيالٍ وعندي منهُ شيءٌ إلا شيْئًا أَرْصدُهُ لدين "،أخرجه البَخاري،(6268)، يقول ابن دقيق العيد: هذاً حدَيث عَظيم، جامعَ لأنواع من العلوَم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر، من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك"، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "ما من مسلم يقْرِضُ مسلما قَرْضًا مرَّتَين، إلاَّ كَأَنَ كَصَدَقَتِهَا مرَّةً"، أخرجه ابن ماجة،(2430)، وجاء بَيان ثوابَ مَن أنظر معسرا: فعن أَبِي هريرة،

116-ينظر: "أدب الدنيا والدين"، للماوردي (172- 173) بتصرف.

117- "الإخوان"، لابن أبي الدنيا (ص: 126- 127)

قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما، سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ "، أخرجه مسلم،(2699)،وعن أَبي هريرة رضيَ الله عنه قَال: قَال النبيّ ﷺ: "مَن أَنْظَرَ مُعسرًا أَو وضع لَه؛ أَظَلَّهُ الله يومَ الْقيامة تَحت ظلِ عرشه يومَ لا ظلَّ إِلاَّ ظِلُّه"، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ"، قَالَ: " قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ "، أخرجه مسلم،(1561)، عن يَحْيَى بن أَبِي كَثِيرٍ، عن عبد الله بن أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ الله مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"، أخرجَه مسلم،(1563)،وفي "المعجَم الأوسَط"،للَطبرانيّ،(7911)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ»، وعن عمر بن الْخَطَّاب رضي الله عنه قَال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى مُؤْمِنٍ أَشْبَعْتَ جَوْعَتَهُ، أَوْ كَسَوْتَ عُرْيَهُ، أَوْ قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً»،وفي مسند أحمدَ،(25121)،" عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْبَةُ الْخُضَرِيُّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَحَدَّثَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ، وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ: الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالزَّكَاةُ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيَهُ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمْ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا آثَمَ: لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "،وهذا ما يميز التربية الإسلامية، التي تربي المواطن المؤمن على تحقيق الخَير والبر والَعدل دون تعصّبَ، هذا ما يميزها عن التربية القومية التي تستهدف إيجاد "المواطن الصالح"، الذي يتعصب لقومه، ووطنه دون أن يستهدف خيرا أو عدلاً، أو يبعد شرا عن الآخرين، ومما يحقق معنى التعاون في التربية الاجتماعية الإسلامية، قضاء حاجات الناس، والتفريج عنهم، وستر عيوبهم، ونحهم على انفراد، إن كانت من العيوب التي يمكن تركها، وهكذا يدرج الناشئ في مجتمع، قائم على الإيثار، بعيد عن الأثرة، مبني على مساعدة الآخرين من

أجل الحق والخير، وإدخال السرور وإبعاد الكروب118،والعناية بأنواع من الأخلاق النفسية، وذلك لما لتلك الأخلاق النفسية من آثار في جملة تصرفات الإنسان وسلوكه، ومن تلك الأخلاق: الأمانة،والصدق، والعفة، والمروءة، وحب الخير للآخرين،......،والعناية بالنظر إلى عواقب الأمور، في حدوده الشرعية، ومن ذلك تقدير المسؤولية في هذه الحياة، وتقدير عواقب الكلمة والخطوة والرأي والعقيدة، والحلم و الصبر الاعتراف بالجميل لأهله، وتقدير ما عند الآخرين من الخير والفضل والعلم، إن هذه أسس نفسية لا بد منها لاكتساب الأخلاق الفاضلة، فعلى من أراد التطلع إلى التحلي بالأخلاق الحميدة أن يعنى باكتساب هذه الصفات وتربية نفسه عليها ومحاسبتها عليها119، وباب التعاون في القيام بحقوق المسلمين واسع، ويدخل ضمنه مجالات متعددة، منها:

إعانة الملهوف، ففي "شعب الإيمان"، للبيهقي، (7218)،عَنْ يزيدَ بن الْأَسْود قَالَ: " لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوامًا من سلَف هذه الْأُمَّة، قَدْ كَانَ الرَّجل إذَا وقَع في هوي أَو دجلَة نادى: يَا لَعباد الله، فيتواثبوا إلَيه فيستخرجونه ودابَّته ممَّا هو فيه، ولَقد وقع رجل ذات يوم في دجلة، فنادى: يا لَعباد الله، فتواثب النَّاس إلَيْه، فما أَدْرَكْتُ إلَّا مقَاصَه في الطِّين، فلَأَنْ أَكُونَ أَدْرَكْتُ من متاعه شيئًا فأُخْرجه من تلْك الْوحلَة أَحَبُّ إلَيَّ من دنياكم الَّتي ترْغبونَ فيها "، فانظر أخي المسلم كيف كاَنَ السلف الصالحَ يتفاَنون في إغَاثة الملهَوفَ وإعانته على نازلته وضرورته120، فمن أفضل المعروف إغاثة الملهوف من المسلمين121، فعَن سعيد بن أَبي بردةَ، عن أَبيه، عن جدِّه، عن النَّبي ﷺ قَالَ: علَى كُلِّ مسلم صدقَةٌ، قيل أَرأَيت إنْ لَمْ يجدْ؟ قال: يعتمل بيديه فينفع نفسه، ويتصدَّقُ قَالَ: قيل أَرأَيت إنْ لَمْ يستطعْ؟ قَالَ: يعين ذَا الْحَاجة الْملْهوفَ، قَالَ: قيل لَهُ: أَرأَيت إنْ لَمْ يستطعْ؟ قَالَ: يأْمر بالْمعروف، أَو الْخَيْر قَالَ: أَرأَيتَ إنْ لَمْ يفْعَلْ؟ قَالَ: يمسكُ عن الشَّر فإنَّهَا صدقَةٌ122، قوله:"فيعين ذا الحاجة الملهوف"، أي المستغيث سواء كان عاجزًا أو مظلوما فيعينه بالفعل أو بالقول أو بهما معا ففي

118-ينظر:" أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع"، للنحلاوي، (ص:147)

119-ينظر:" الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها"، (ص:21)

120 -ينظر:"كونوا على الخير أعوانا"، (ص:31)

121 -ينظر:" مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار"، للسليمان، (409/2)

122- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (1445)، ومسلم في "صحيحه"، (1008)

الحديث الحث على إعانة المحتاج ولاسيما الملهوف123 يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"،(94/7):"قَولُه ﷺ (تعينُ ذَا الْحَاجة الْمَلْهُوف) الْمَلْهُوفُ عنْدَ أَهْلِ اللُّغة يطْلَقُ علَى الْمتحسر وعلَى الْمضْطرّ وعلى المَظلوم وقولهم يالهف نفْسي علَى كذَا كلمةٌ يتحسَّر بها على ما فات ويقالُ لهف بكَسر الْهاء يلْهف بفتحها لهفا باسكانها أي حزن وتحسر وكذلك التلهف قوله ﷺ (تمسك عَن الشَّر فإنَّهَا صَدَقَةٌ) معناه صدقة على نفسه كما في غير هذه الرواية والْمراد أَنَّه إذَا أَمسك عن الشّر للَّه تعالَى كان لَه أَجر علَى ذَلك كما أَنَّ للْمتصدّق بالْمال أَجرًا"، ويقول ابن حجر في "فتح الباري"،(12/11):"وأَمَّا إغَاثَةُ الْمَلْهُوف فَلَهُ شَاهدٌ في الصَّحيحين من حديث أَبِي موسى فيه ويعين ذَا الْحَاجة الملهوف وفي حديث أبي ذر عند بن حبَّان وتسعى بشدَّة ساقيك مع اللَّهفان الْمستغيث، وأَخرج الْمرهبِيُّ في الْعلْم من حديث أَنس رفعه في حديث واللَّه يحبُّ إغاثة اللَّهفان وسنده ضعيف جدًّا، لكن لَه شاهدٌ من حديث بن عبَّاس أَصلح منه واللَّه يحبُّ إغاثَةَ اللَّهفَان، وأَما إرشاد السَّبيل فروى الترمذي وصححه بن حبَّان من حديث أَبي ذر مرفوعا وإرشادك الرَّجل في أَرض الضَّلال صدقة، وللْبخاري في الْأَدب الْمفرد والترمذيُّ وصحَّحه من حديث الْبراء رفعه من منح منيحة أَو هدًى زقاقا كان له عدلُ عتق نسمة وهدًى بفتح الْهاء وتشديد الْمهملة والزُّقَاقُ بضم الزَّاي وتخْفيف الْقاف وآخره قاف معروفٌ والْمراد من دلَّ الَّذي لا يعرفه عليه إذا احتاج إلى دخوله وفي حديث أَبي ذر عند بن حبَّان ويسمع الْأَصمَّ ويهدي الْأَعمى ويدلُّ الْمستدلَّ علَى حاجته وأَمَّا هداية الْحيران فله شاهدٌ في الَّذي قبله وأَمَّا الْأَمر بالْمعروف والنَّهي عن الْمنكر ففيهما أَحاديث كثيرةٌ منها في حديث أَبي ذر الْمذْكور قريبا وأَمر بالْمعروف ونهي عن الْمنكر صدقةٌ وأَمَّا كفُّ الْأَذَى فالْمراد به كفُّ الْأَذى عن الْمارَّة بأَن لا يجلس حيث يضيق عليهم الطَّريق أَو علَى باب منزل من يتأَذَّى بجلوسه عليه أَو حيث يكْشف عياله أَو ما يريد التَّستُّر به من حاله قاله عياض قال ويحتمل أَنْ يكُون الْمرادُ كفَّ أَذى النَّاس بعضهم عن بعض انتهى وقد وقع في الصَّحيح من حديث أَبي ذر رفعه فكُفَّ عن الشَّر فإنَّها لك الصَّدقة وهو يؤيد الْأَوَّل ففي الحديث فضلُ إعانةَ المحتاجَ والمضطر، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه124، وفي "جامع الترمذي"،(2953)، عن عدي بن حاتم، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فقال القوم: هذا عديُّ بن حاتم وجئت بغير أمانٍ ولا كتاب، فلمَّا دفعت

123-ينظر:"عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها"، (ص:138)

124 -ينظر: "تطريز رياض الصالحين"، (ص:113)

إِلَيه أَخَذ بيدِي، وقد كَانَ قَالَ قَبلَ ذَلِكَ: «إِنِّي لَأَرجُو أَنْ يَجعل اللَّهُ يده فِي يدِي»، قَالَ: فَقَام فَلَقيته امرأَةٌ وصبِيٌّ معها، فقالا: إِنَّ لَنا إِلَيكَ حاجة. فقام معهما حتَّى قضى حاجتهما، ثُمَّ أَخذ بيدي حَتَّى أَتى بِي دارِه، فَأَلْقَت لَهُ الوليدَةُ وسادةً فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد اللَّه وأَثنى عليه، ثُمَّ قَالَ: «ما يفرُّك أَنْ تقولَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه. فهل تعلم من إِله سوى اللَّه؟». قَالَ: قُلْتُ: لاَ. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ ساعةً ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا تفرُّ أَنْ تقولَ اللَّهُ أَكبر، وتعلم شيئاً أَكبر من اللَّه؟» قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: «فإِنَّ اليهود مغضوب عليهم، وإِنَّ النَّصارى ضُلَّالٌ» قَالَ: قُلْتُ: فإِنِّي ضيف مسلم، قَالَ: فرأَيت وجهه تبسَّطَ فرحا، قَالَ: ثُمَّ أَمرَ بِي فَأُنزِلْتُ عند رجلٍ من الأَنْصار جعلْتُ أَغْشاه آتيه طرفي النَّهار، قَالَ: فبينا أَنَا عنده عشيَّةً إِذْ جاءه قوم في ثياب من الصُّوف من هذه النِّمار، قَالَ: فصلَّى وقام فحثَّ عليهم، ثُمَّ قَالَ: " ولو صاعٍ ولو بنصف صاعٍ ولو قبضة ولو ببعض قبضة يقي أَحدُكم وجهه حرَّ جهنَّم أَو النَّار ولو بتمرة ولو بشق تمرة، فإِنَّ أَحدَكُم لاَقي اللَّه وقائل لَه ما أَقُولُ لَكُم: أَلَم أَجعل لَكَ سمعا وبصرا؟ فيقولُ: بلَى، فيقولُ: أَلَمْ أَجعل لَكَ مالاً وولدا؟ فيقولُ: بلَى، فيقولُ، أَين ما قدَّمت لنفسك؟ فينظُر قدَّامه وبعده، وعن يمينه وعن شماله، ثُمَّ لاَ يجدُ شيئًا يقي به وجهه حرَّ جهنَّم، ليقِ أَحدُكُم وجهه النَّار ولو بشقِّ تمْرة، فإِنْ لَمْ يجد فبكلمة طيِّبة، فإِنِّي لاَ أَخَافُ عليكُم الفاقة، فإِنَّ اللَّه ناصركم ومعطيكُم حتَّى تسير الظَّعينة فيما بين يثرب والحيرةً أَو أَكثر ما يخافُ على مطيَّتها السَّرق " قَالَ: فجعلْتُ أَقُولُ فِي نفسي: فأَين لُصُوص طيِّئٍ".

قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إِلَّا من حديث سماك بن حرب".

ومن الأحاديث الواردة في التعاون والإغاثة125 معنى:

125 -من فوائد الإغاثة:

(1) في إغاثة المظلوم والمكروب رضا الله عز وجل.

(2) الإغاثة تفتح لصاحبها طريقا إلى الجنة.

(3) الإغاثة كفيلة بتحقيق السلام الاجتماعي بين أفراد الأمة وتحقق التضامن والتكافل بين المسلمين.

(4) في إغاثة المحتاجين ما يجعلهم يحبون إخوانهم ويتفانون في خدمتهم ويحافظون على أموالهم.

(5) إغاثة المسلم للمسلم تفتح له طريق النصر وتجعله قادرا على صد العدوان.

(6) في الإغاثة ما يساعد على إجابة الدعاء.

(7) إذا أغاث المسلم أخاه رزقه الله عز وجل بمن يغيثه عند شدته.

(8) في الإغاثة نجاة من كرب يوم القيامة.

1-عَنْ عَائشَةَ أُمِّ الْمُؤْمنينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدئَ به رَسُولُ الله ﷺ منَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالحَةُ في النَّوم، فَكَانَ لَا يرى رؤْيَا إلَّا جاءت مثْل فَلَق الصُّبْحِ، ثُمَّ حبب إلَيْه الْخَلَاء، وكَانَ يَخْلُو بغَار حراء، فَيَتَحَنَّثُ فيه وهو التَّعَبُّدُ اللَّيالي ذَوات الْعدد قبل أَنْ ينزِع إلَى أَهْله، ويتَزَوَّدُ لذَلكَ، ثُمَّ يرجِع إِلَى خَدِيجَة فَيَتَزوَّدُ لمثْلها، حتَّى جاءه الْحَقُّ وهو في غَار حراء، فجاءه الْمَلَك فقال: اقْرأْ، قال: ما أَنا بقارئ. قال: فأَخذني فغطَّني حتَّى بلَغ مني الْجَهد، ثُمَّ أَرسَلَني فقال: اقرأْ، قُلْت ما أَنا بقارئ، فَأَخذني فغطَّني الثَّانية حتَّى بلَغ مني الْجَهد، ثُمَّ أَرسلني فقال: اقرأْ، فقلْت ما أَنا بقارئ، فأَخذني فغطَّني الثَّالثة، ثُمَّ أَرسَلَني فقال: ﴿ اقْرَأْ باسم ربك الَّذي خلَق * خَلَق الإنْسانَ من علَق * اقْرأْ وربُّك الأَكْرَم ﴾ فرجع بها رسولُ الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل علَى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فَزَمَّلُوه حتَّى ذَهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأَخبرها الْخَبَر: لَقَدْ خشيت علَى نفْسي فقالَت خديجة: كَلَّا والله ما يُخْزيك الله أَبدا، إنَّك لَتَصل الرَّحم، وتَحمل الْكَلَّ، وتَكْسب الْمعْدُوم، وتقري الضَّيْف، وتُعين علَى نوائب الْحَق. فانطلقَت به خديجة حتَّى أَتَت به ورقة بن نوفَل بن أَسد بن عبد الْعُزَّى، ابن عمِّ خديجة، وكَانَ امرَءًا تنصَّر في الْجَاهليَّة، وكَانَ يكْتُب الْكتاب الْعبرانيَّ، فيكْتُب من الْإنْجيل بالْعبرانيَّة ما شاء الله أَنْ يكْتُب، وكَان شيخًا كَبيرا قد عمي، فقالَت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أَخيك. فقال له ورقة: يا ابن أَخي ماذا ترى؟ فأَخبره رسولُ الله ﷺ خبر ما رأَى، فقال له ورقة: هذَا النَّاموس الَّذي نزَّل الله علَى موسى، يا لَيْتَني فيها جذَعا، لَيْتَني أَكُونُ حيًّا إذْ يُخْرجك قومك، فقال رسولُ الله ﷺ: أَوَمُخْرجيَّ هم؟! قال: نعم. لَم يأْت رجل قطُّ بمثْل ما جئت به إلَّا عودي، وإنْ يدْركْني يومك أَنْصرك نصرا مؤَزَّرا، ثُمَّ لَم ينشب ورقة أَنْ تُوفِّي، وفتر الْوَحْي.126

---

(9) الإغاثة نوع من الصدقة خاصة لمن لا يجد ما يتصدّق به.

(10) من أراد أن يغيثه الله يوم القيامة فعليه أن يبتعد عن الغلول.

(11) إغاثة الملهوف من الأعمال الّتي تنجي صاحبها في الدّنيا لا أنّ صنائع المعروف تقي مصارع السوء

انتهى من:" نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ"، (430/2)، و" موسوعة الأخلاق الإسلامية"، (298/1)

126- أخرجه البخاري في "صحيحه" (3)، ومسلم في "صحيحه" (160)

قَالَ الْعلَمَاء رضي اللَّه عنْهم: معْنى كَلَام خَديجَة رضي اللَّه عنْها أَنَّك لَا يُصيبُك مكْرُوه لما جعل اللَّه فيك منْ مكَارم الْأَخْلَاق وكَرم الشَّمائل وذَكَرتْ ضروبا منْ ذَلك وفي هذَا دلَالَة علَى أَنَّ مكَارم الْأَخْلَاق وخصال الْخَيْر سبب السَّلَامة منْ مصارع السُّوء، وفيه مدْح الْإنْسان في وجهه في بعْض الْأَحوال لمصلَحة نَظرًا، وفيه تأْنيس من حصلَت لَه مخَافَة منْ أَمر وتبشيره وذكْر أَسباب السَّلَامة لَهُ، وفيه أَعْظَم دليل وأَبلَغ حجَّة علَى كَمال خديجة رضي اللَّه عنْها وجزالة رأْيها وقُوَّة نَفْسها وثَبات قَلْبها وعظَم فقْهها، واللَّه أَعلَم.





2- عَنْ عبد الله بن أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبا قتادة طَلَب غريمًا لَهُ، فتوارى عنه, ثُمَّ وجده فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آلله؟ قَالَ: آلله، قَالَ: فَإِنِّي سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ:" من سرَّه أَنْ ينجيه الله من كرب يوم الْقيامة، فَلْيُنَفِّسْ عن معسر أَو يضع عنه "، أخرجهَ مسلم في "صحيحه" (1563) 127

3- عَنْ زَيْد بن سَلَّام، عَنْ أَبِي سَلَّام قَالَ: قَالَ أَبو ذرّ: قَالَ - كَأَنَّه يعني النَّبِيَّ ﷺ -: إنَّ عَلَى كُلِ نَفْس كُلَّ يوم طَلَعَتْ فيه الشَّمس صدقةً منه على نفسه، قُلْت: يا رسولَ الله، من أَين أَتصدَّقُ ولَيس لنا أَموالٌ؟ قَالَ: أَوَلَيسَ مِنْ أَبواب الصَّدَقَة: التَّكْبِير، وَالْحَمْدُ لله، وسبحانَ الله، وتستغفر الله، وتأْمر بِالْمعروف وتنهى عنِ الْمنكر، وتعزلُ الشَّوْكَةَ عن طَرِيقِ الْمسلمين والْعظْمِ والْحجر، وتَهْدي الْأَعمى، وتدلُّ الْمستدلَّ على حاجة له قد علمت مكانَهَا، وترفع بشدَّة ذراعيك مع الضَّعيف، كُلُّ ذَلك من أَبواب الصَّدَقَة منك على نَفْسك، ولَكَ في جماعك زوجتك أَجْرٌ، قُلْت: كَيف يكُونُ لي الْأَجر في شهوتي؟ قَالَ رسولُ الله ﷺ: أَرَأَيت لَو كَانَ لَكَ ولَدٌ فَأَدْرَكَ ورجوت خيره ثُمَّ مات أَكُنْتَ تَحْتَسبه؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فَأَنت خلقْتَه؟ قَالَ: بل الله خلقه، قَالَ: فَأَنْت هديته؟ قَالَ: بل الله هداه، قَالَ: فَأَنت كنت ترزقه؟ قَالَ: بل الله رزقه، قَالَ: كَذَلكَ فَضَعْهُ في حَلَاله، وجنبه حرامه، فَإِنْ شَاء الله أَحياه، وإِنْ شاء أَماته ولَكَ أَجر. أخرجه النسائي فيَ "الكبرى"،(8978)، وعند الترمذي في "جامعه"،(1956)، عن أَبِي ذرّ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ:" تبسُّمكَ في وجه أَخيك لَكَ صَدَقَةٌ، وأَمْرُكَ بالْمعروف ونَهْيُكَ عن الْمنكَرِ صدقَةٌ، وإِرشادُك الرَّجلِ في أَرض الضَّلَال لَكَ صدقَةٌ، وبصرك للرَّجلِ الرَّديء الْبصر لَكَ صدقةٌ، وإِماطَتُك الْحجر والشَّوكَة والْعظْم عن الطَّرِيقِ لَكَ صدقَةٌ، وإِفْرَاغُكَ من دَلْوِكَ في دلْو أَخيك لَكَ صدقةٌ"128

انتهي من "شرح صحيح مسلم"، للنووي، (353/2)

127- قَولُه ﷺ: من سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَه اللَّهُ من كُرَب يوم الْقيامة فلْيُنفّس عن معسر، (كُرَب) بضم الْكَاف وفَتْحِ الرَّاء جَمْع كُرْبَة، ومعنى (يُنَفِّس) أَي يمُدُّ ويؤخر الْمطَالَبَة، وقيل: معناه يفرج عنه، واللَّهُ أَعلَم. انتهي من "شرح صحيح مسلم"، للنووي، (174/10)

128- قولُه: (تَبَسُّمكَ في وجه أَخيك) في الدّين (لَكَ صدقَة) يعْني إِظْهَارَكَ الْبشاشة والْبشْر إِذا لَقيته تُؤجر عليه كما تُؤجر على الصَّدقة (وأَمر بالْمعروف) أَي بما عرفه الشَّرع بالْحسن (ونَهْيك عن الْمنكَر) أَي ما أَنْكَره وقبَّحه (صدَقَة) كَذَلكَ (وإِرْشادك الرَّجل في أَرض الضَّلَال) أُضيفت إِلَى الضَّلَال كَأَنَّهَا خلقت لَهُ وهي الَّتي لَا علامة فيها للطَّرِيق فيضلُّ فيها الرَّجلُ (لَكَ صدقة) بالْمعنى الْمقرَّر (وبصرك للرَّجلِ الرَّديء الْبصر) بالْهمز ويدْغم أَي الَّذي لَا يبصر أَصْلًا أَو يبصر قَليلًا، والْبصر محرَّكَة حسُّ الْعين كذا في الْقَامُوس، والْمعنى إِذا أَبْصرت رجلًا رديء الْبصر فإعانتك إِيَّاه صدقة لَك، وفي الْمشْكَاة نصرك بالنُّون، قَالَ الْقَاري: وَضْعُ النَّصر موضع الْقياد مبالَغَةٌ في الْإِعانة كَأَنَّه ينصره على كُلِ شَيءٍ يؤْذيه، (وإِماطَتُكَ) أَيّ إِزالَتُكَ (الْحجَر والشَّوكَ والْعظْم) أَي ونَحْوها (عنِ الطَّرِيق) أَي الْمسلُوك أَو الْمتوقّع





4-عَن أَبِي موسى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" عَلَى كُلِّ مُسْلِم صَدَقَةٌ،فَقَالُوا: يا نَبِيَّ اللهِ، فَمن لَمْ يجدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بيده، فَيَنْفَعُ نفسه ويتصدَّقُ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يجدْ؟ قَالَ: يعين ذَا الْحَاجَة الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يجدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بالْمعروف، وَلْيُمسك عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَه صَدَقَةٌ"

أخرجه البخاري في "صحيحه"، (1445)، ومسلم في "صحيحه"،(1008)

يقول ابن حجر في "فتح الباري"،(12/11):" وَأَمَّا إِغَاثَةُ الْمَلْهُوف فَلَهُ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ من حديث أَبِي موسى فيه ويعين ذَا الْحَاجَة الملهوف وفي حديث أبي ذر عند بن حبَّان وتسعى بشدَّة ساقيك مع اللَّهفان الْمستغيث وأَخرج الْمرهبي في الْعلْم من حديث أنس رفعه في حديث واللَّه يحبُّ إغاثة اللَّهفان وسنده ضعيف جدًّا لكن له شاهد من حديث بن عبَّاس أصلح منه واللَّه يحبُّ إغاثة اللَّهفان وأما إرشاد السَّبيل فروى التِّرمذي وصحَّحه بن حبَّان من حديث أَبِي ذَرٍّ مرفوعا وإرشادك الرَّجل في أرض الضَّلال صدقة وللْبخاري في الْأدب الْمفرد والتِّرمذيُّ وصحَّحه من حديث الْبراء رفعه من منح منيحة أَو هدَّى زقاقا كان له عدل عتق نسمة وهدَّى بفتح الْهاء وتشْديد الْمهملة والزُّقاق بضم الزَّاي وتخفيف الْقاف وآخره قاف معروف والْمراد من دلَّ الَّذي لا يعرفه عليه إذا احتاج إلى دخوله وفي حديث أبي ذر عند بن حبَّان ويسمع الْأصمَّ ويهدي الْأعمى ويدلُّ الْمستدلَّ على حاجته وأمَّا هداية الْحيران فله شاهد في الَّذي قبله".انتهى

وعند أَبي داود في "سننه"،(1285)،عن أبي ذر عن النَّبِي ﷺقال: يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامى مِنِ ابْنِ آدم صدقة، تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة وإماطته الْأذى عن الطَّريق صدقة وبضعة أهله صدقة، ويجزئ من ذلك كلّه ركعتان من الضُّحى".

5-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ رسولُ الله ﷺ: الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِه، واللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللهفَان129

وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"،(1544)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، واللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللهفَانِ "، وأخرجه أيضًا (7251)، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ،

السُّلُوك (وَإِفْرَاغُكَ) أَي صبُّكَ (مِنْ دَلْوِكَ) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ؛ وَاحِدُ الدِّلَاءِ الَّتِي يُسْتَقَى بِهَا (فِي دَلْوِ أَخِيكَ) فِي الْإِسْلَامِ. انتهي من: "تحفة الأحوذي"، (132/3)

129- أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، (4296) وأخرجه البزار في "مسنده" (7521)، وابن شاهين في " الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك "، (508)، وأورده ابن حجر في "المطالب العالية"، (981)




عَنِ النَّبِيِ ﷺ قَالَ: " كُلُّ مَعْرُوف صَدَقَةٌ، والدَّالُ عَلَى الْخَيْر كَفَاعله، وَاللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللهْفَان " وفِي حديث الْأَصم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وأخرجه الطبراني فيَ "مكَارَمَ الأخلاقَ"،(95)، عن أَنَس بن مَالَكَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّه عَزَّ وجلَّ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَان»، وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأَوليَاء"،(42/3): عَنْ أَبِي هريرةَ، رضي الله تعالَى عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يزالُ الله تعالَى في عونِ الْعبْد ما كَانَ الْعبْدُ في عونِ أَخيه، والله يُحبُّ إِغَاثَة اللهفان»،وأخرج ابن أبي الدنيا في " اصطناعَ المعروف"، (80)، عن عُبادَةَ بن أَبِي عُبيد قَالَ قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ من سرَّه أَنْ تنفَّس كُربته وأَنْ تستجاب دعوته فلْييسر علَى معسر أَو ليضَعْ له فإِنَّ اللَّه يُحبُّ إِغَاثَة اللَّهفان قَالَ جعفرٌ قيل لهشام ما اللَّهفانُ قَالَ هو واللَّه الْمكْرُوب.

قَوله ﷺ:(طلب العلم فريضة على كل مسلم والله يحب إغاثة الملهوف) أي المظلوم المستغيث أو المضطر المتحسر والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله لا سيما عند مسيس الحاجة والاضطرار، قال البيهقي: متنه مشهور وإسناده ضعيف وقد روي من أوجه كثيرة كلها ضعيفة،وسبقه الإمام أحمد فيما حكاه ابن الجوزي في العلل فقال: لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء، وقال ابن راهويه: لم يصح فيه شيء أما معناه فصحيح وفي الميزان هذا الخبر باطل130

ويقول ابن علان في " دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين "،(41/1):

" العبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي ألا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق إيمانا بأن الله في عونه، وأن يأمل الإعانة بدوام هذه الإعانة، فإنه لم يقيدها بحالة خاصة، بل أخبر بأنها دائمة بدوام كون العبد في عون أخيه ".

6- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (3151)، ومسلم في "صحيحه"،(2182)، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ أَسْمَاء قَالَتْ: كُنْتُ أَخْدُمُ الزُّبَيْر خِدْمَةَ الْبَيْت، وَكَانَ لَه فَرَس، وَكُنْت أَسوسه، فَلَمْ يكُن مِن الْخِدْمَة شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ سياسة الْفَرَسِ، كُنْت أَحتَشُّ لَه، وَأَقُوم عَلَيْه وَأَسُوسُه، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهَا أَصابت خَادِمًا، جاء النَّبِيَّ ﷺسَبي فَأَعْطَاهَا خادما، قَالَتْ: كَفَتْنِي سياسة الْفَرَس، فَأَلْقَت عني مئونته، فجاءني رجُلٌ فَقَالَ: يا أُمَّ عبْد الله! إِنِّي رجل فَقِيرٌ، أَردتُ أَنْ أَبيع فِي ظل دارك، قَالَتْ: إِنِي إِنْ رَخَّصتُ لَك أَبَى ذَاكَ الزُّبير، فتعالَ فاطْلُبْ إِلَيَّ والزُّبيرُ شاهدٌ، فجاء فَقَالَ: يا أُمَّ عبد الله، إِنِّي رجل فَقِيرٌ، أَردتُ أَنْ

130-ينظر:" فيض القدير شرح الجامع الصغير"، (268/4)، و " إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، (196/1)

أَبيع فِي ظلِّ دارك، فقَالَتْ: ما لَكَ بالْمَدينَة إلّا داري؟ فقَالَ لَهَا الزُّبيرُ: ما لَكِ أَنْ تَمْنَعي رَجُلًا فَقيرًا يبيع؟ فكَانَ يبيعُ إلَى أَنْ كسب، فبعته الْجَارِيَةَ، فدخل عليَّ الزُّبير وثمنها في حجري، فقَالَ: هبيها لي، قَالَتْ: إنِّي قَدْ تَصدَّقْتُ بها،وفي رواية لمسلم، (2182)، عَنْ أَسْمَاءَ بنت أَبِي بكْرٍ قَالَتْ: تزوَّجني الزُّبير، وما لَهُ فِي الْأَرض من مال، ولا مَمْلُوك، ولا شَيْءٍ غَيْر فرسه قَالَتْ: فَكُنْت أَعْلف فرسه، وأَكْفيه مئونته، وأَسوسه وأَدُقُّ النَّوى لناضحه، وأَعْلفه، وأَستقي الْماءَ، وأَخرز غربه، وأَعجن ولَمْ أَكُنْ أُحسن أَخبزُ، وكَانَ يَخبز لي جارات لِي مِن الْأَنصار وكُنَّ نسوة صدق قَالَتْ: ؛كُنْت أَنْقُل النَّوى من أَرض الزُّبير الَّتِي أَقْطَعَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺعلَى رأْسِي، وهِي علَى ثُلُثي فرسخٍ قَالَتْ: فَجِئت يومًا والنَّوى علَى رأْسي فلَقيت رسولَ اللَّه ﷺومعه نفر من أَصحابه فدعاني ثُمَّ قَالَ: إخ إخ ليحملني خلْفه قَالَتْ: فاستحييت وعرفت غيرتَك فقَالَ: واللَّه لَحَمْلُك النَّوَى علَى رأْسك أَشدُّ من ركُوبك معه قَالَتْ: حتَّى أَرسل إلَيَّ أَبو بكْر بعد ذَلك بِخَادم فكَفتني سياسة الْفرس فكَأَنَّما أَعتقتني.

7- عن الْحَكَم: سَمعْت ابن أَبي لَيْلَى قَالَ: حدَّثَنَا عليٌّ: أَنَّ فاطمة عليها السَّلَام شكَتْ ما تَلْقَى من أَثَر الرَّحا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺسبي، فانطلَقَت فلَمْ تَجده فوجدت عائشة فأَخبرتْهَا، فلَمَّا جاء النَّبِيُّ ﷺأَخبرته عائشة بِمجيء فاطمة، فجاء النَّبِيُّ ﷺإلينا وقد أَخذْنا مضاجعنا، فذهبت لأَقُوم، فقَالَ: على مكَانكُما" فقعد بيننا، حتَّى وجدت برد قَدميه علَى صدري، وقَالَ: أَلَا أُعلِّمكُما خيرًا مِمَّا سأَلْتماني، إذَا أَخذْتُمَا مضاجعكُما، تكَبِّرا أَربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثة وثلاثين، فهو خير لَكُما من خادم" 131

وفي "صحيح ابن حبان"،(6922)، عن ابنِ عونٍ عن ابن سيرين عن عبيدة عن عليٍّ، قَالَ: شكَت لي فاطمةُ من الطَّحين، فقلْت: لَو أَتيت أَباك فسأَلْتيه خادمًا، قَالَ: فأَتت النَّبِيَّ ﷺفلَم تُصادفه، فرجعت مكَانَها، فلَمَّا جاء أُخبر، فأَتانا، وعلينا قطيفةٌ إذا لَبسناها طُولًا خرجت منها جنوبنا، وإذا لَبسناها عرضًا خرجت منها أَقْدامنا ورؤوسنا، قَالَ: يا فاطمة، أُخبرت أَنَّك جئت، فهل كانت لَك حاجةٌ؟ قالَت: لا، قلْت: بلَى، شكَت إلَيَّ من الطَّحين، فقلْت: لَو أَتيت أَباك فسأَلْتيه خادمًا، فقَالَ: أَفلا أَدلُّكُما علَى ما هو خيرٌ لَكُما من خادم؟ إذا أَخذْتُمَا مضاجعكُما تقولَان ثلاثًا وثلاثين، وثلاثًا وثلاثين، وأَربعًا وثلاثين، تسبيحةً، وتحميدةً، وتكْبيرةً ".

131- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (3113)، ومسلم في "صحيحه"، (2727)

المسلم لا يعمل لخير نفسه فقط؛ بل لخيرها وخير غيره، وقد أكد عليه الرسول ﷺ كل يوم صدقة، يعود بها نفسه البذل ويثبت فيها خلق الكرم، وينفع بها الفقراء والمساكين، فإن لم يجد ما يتصدق به جد في العمل، وكدح في تحصيل الرزق من طريق التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو غيرها من طرق الكسب حتى يكون بيده مال ينفع نفسه بالطعام، والشراب، واللباس، والسكن والركوب، وتخير المرأة الصالحة، والإنفاق عليها وعلى أولادها منه وينفع غيره بالتصدق عليه، والإقراض له، وتحمل الدّين عنه، فإن لم يجد العمل أو وجده ولا يستطيعه أعان ذا الحاجة من مظلوم يستغيث، ومكروب يستجير، وعاجز يستعين، فينصر المظلوم بمساعدته على نيل حقه، ومنع الحيف عنه، ويجير المكروب بتفريج كربته وتخفيف بليته، فإن كان مريضا رجا له طبيبا يداويه، أو ساعده على دخول مستشفى يطببه ويراعيه، وإن كان له مال ضائع ساعده على الوصول إليه، ويعين العاجز على قضاء ماربه، وتحقيق أمانيه، فإن لم يكن في قدرته الإعانة وكشف الكرب أمر الناس بالمعروف من صلاة وصيام، وحج وزكاة، وحسن أخلاق، وجميل معاشرة، وأدب في معاملة وتعلم علم، وإخلاص في عمل، وابتغاء خير، ونهاهم عن المنكر من زني وشرب خمور، وشهادة زور، وتهتك وفجور، وظلم وسرقة، ونفاق ومداهنة، وليعمل بما يأمر وليترك ما نهي عنه فإن ذلك أساس الدعوة الحقة: أن يعمل أولا بما يدعو إليه فإن لم يكن ذلك في المكنة، جنّب الناس شره، ومنع ضره، كما يجنب نفسه موارد الهلكة، ومزالق الفتنة، ومواقف التهمة، ذلك ما ينبغي للمسلم نحو الناس: أن يكون نفّاعا لهم بقدر ما يستطيع، لا يدخر وسعا في جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم، فلو أمكنه أن يقوم بكل ذلك فيتصدق ويعمل، ويعين وينفع، ويأمر بالخير، ويمسك عن الشر كان مطالبا بالقيام به132

وفي إغاثة الملهوف صح الخبر عن المصطفي بعظيم الأجر لمغيثه وغفران ذنبه وشكر صنيعه، فعن أَبِي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: بينا رجل يمْشي، فَاشْتَدَّ علَيه الْعطَش، فنزلَ بئرا فَشرب منها، ثُمَّ خرج فإِذَا هو بكَلْب يلْهَثُ، يأْكُلُ الثَّرى من الْعطَش، فقَالَ: لَقَدْ بلَغ هذَا مثل الَّذي بلَغ بِي، فملأَ خُفَّه ثُمَّ أَمسكَه بفيه، ثُمَّ رقي فَسقى الْكَلْبَ، فشكَر الله لَه فغفر لَه، قالُوا: يا رسولَ الله، وإنَّ لَنا في الْبهائم أَجرا؟ قالَ: في كُل كَبد رطْبة أَجْر "133، وعَنْ أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبي ﷺ:" بينما كَلْب يطيفُ بركيَّة كَاد يقتلهُ الْعطَش إذْ رأَتْه بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها

132- ينظر:" الأدب النبوي"، محمد الخولي، (ص:27-28)

133- أخرجه البخاري في "صحيحه" (2363)، ومسلم في "صحيحه"، (2244)





فَسقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِه"134، وقد جمع مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي في كتابه " القول المعروف في فضل المعروف "،(ص:24)، بعض الأحاديث الواردة في ذلك، وبدأ كتابه بقوله:" فقد أحببت أن أجمع بعض أحاديث تتعلق بفضل المعروف وإغاثة الملهوف تسر الناظر والخاطر وتقرُّ بها العين الباصرة بقصد الترغيب في فعل المعروف والتحبيب في إغاثة الملهوف، وسميته:"القول المعروف في فضل المعروف"، وجعلته أربعين حديثا اقتداء بمن صنَّف في ذلك من الأئمة قديما وحديثا.........".

وأخرج الطبراني في " المعجم الكبير"،(6112)، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَعروف فِي الدُّنْيا أَهْلُ الْمعروف فِي الْآخرة، وإِنَّ أَهْلَ الْمنكَر فِي الدُّنْيا أَهْلُ الْمنكَر فِي الْآخرة»، وأخرجه أيضا(8015)، عَنْ أَبِي أُمامة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْمعروف فِي الدُّنْيا هم أَهْلُ الْمعروف فِي الْآخرة، وإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْجَنَّة دُخولًا الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمعروف»، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد"،(7/ 263)، "رواه الطبراني، وفيهم مَن لم أعرفهم".

وأخرج ابن ماجة في "سننه"،(237)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" إِنَّ مِنَ النَّاسِ مفاتيح لِلْخير مغاليق لِلشَّرِّ، وإِنَّ من النَّاسِ مفاتيح لِلشَّرِّ مغاليق لِلْخير، فَطُوبَى لِمن جعل الله مفاتيح الْخَيْرِ عَلَى يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشَّرِّ عَلَى يديه"135، هكذا المسلم نافع لنفسه ولغيره، فقد أخرج أبو الشيخ الأصبهاني في "الأمثال في الحديث النبوي"،(353)، عَنْ مُجَاهِد، قَالَ: صَاحَبْتُ ابنَ عمر ح، وحَدَّثَنَا إِسحاقُ بن بنان الْأَنْمَاطِيُّ، ثَنَا أَبُو عامر بن شُجَاعٍ، ثَنَا بَقِيَّةُ، عن حسَّان بن سليمان، عن أَبِي عبيدة، حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ، قَالَ: صحبت ابنَ عمر من الْمَدِينة إِلَى مكَّة فَحَدَّثَنِي بِأَحَادِيث، عن رسول اللَّه ﷺ منها: «إِنَّ الْمُؤْمن مثل النَّخْلَة إِنْ شَاورته نفعك وإِنْ صاحبته

134- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (3321)، ومسلم في "صحيحه"، (2245)

135- قَولُه: (إِنَّ من النَّاس مَفَاتِيح للْخَيْر) الْمِفْتَاحُ بِكَسْر الْمِيم آلَةٌ لفَتْح الْبَاب وَنَحْوه، وَالْجَمِيعُ مَفَاتِيحُ وَمَفَاتِحُ أَيْضًا، وَالْمِغْلَاقُ بِكَسْر الْمِيم هُوَ مَا يغْلَق بِه وجمعه مغاليق ومغالق، وَلَا بعد أَنْ يقدَّر ذَوِي مفاتيح للْخَيْر أَي أَنَّ اللَّه تَعالَى أَجْرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فَتْحَ أَبْوَاب الْخَيْر كَالْعِلْم وَالصَّلَاح عَلَى النَّاس، حَتَّى كَأَنَّهُ مَلَّكَهُمْ مَفَاتِيحَ الْخَيْر وَوَضَعَهَا فِي أَيْدِيهِمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: جعل اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْر عَلَى يَدَيْهِ وَتَعْدِيَةُ الْجَعْل بِعَلَى لِتَضَمُّنِه مَعْنَى الْوَضْع. انتهى من:"حاشية السندي علي سنن ابن ماجة"، (1/105)

قال الحكيم[الحكيم الترمذي]: فالخير مرضاة الله والشر سخطه فإذا رضى الله عن عبد فعلامة رضاه أن يجعله مفتاحا للخير فإن رؤى ذكر الخير برؤيته وإن حضر حضر الخير معه وإن نطق نطق بخير وعليه من الله سمات ظاهرة لأنه يتقلب في الخير بعمل الخير وينطق بخير ويفكر في خير ويضمر خيرا فهو مفتاح الخير حسبما حضر وسبب الخير لكل من صحبه والآخر يتقلب في شر ويعمل شرا وينطق بشر ويفكر في شر ويضمر شرا فهو مفتاح الشر لذلك فصحبة الأول دواء والثاني داء. انتهى من "فيض القدير"، للمناوي، (2/ 528)

نَفَعَكَ وإنْ شَاكْته نفعكَ وإنْ جالَسته نفعك وكُلُّ شَيْء من الْمؤْمِن منافعُ، وكُلُّ شَيْءٍ من النَّخْلَة منافعُ»، وفي رواية،(354)، عن مُجاهد، عن ابنِ عمر، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: «مثلُ النَّخْلَة مثلُ الْمؤْمِن، كُلُّ ما أَتَاكَ منْها نَفَعَكَ»136

يقول المناوي في "التيسير بشرح الجامع الصغير"،(374/2)، (مثل الْمؤمن مثل النَّخلَة) بخاء معجمة (ما أخذت منْها من شئ نفعك) موقع التَّشْبيه من جهة ان أصل دين الْمسلم ثَابت وان ما يصدر عنه من الْعلُوم قوت للأرواح وانه ينْتفع بكُل ما صدر عَنه حيا وميتا، قال ابن حجر واسناده صحيح، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ 137، وفي رواية: إِنِّي لَأَعْلَم

136- قال ابن الأثير: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة حذق النحلة وفطنته وقلة أذاه وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله، وأنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله وطاعته لأميره، وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها: الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار، وكذلك للمؤمن آفات تقطعه عن عمله: ظلمة الغفلة، وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء الخمر، ونار الهوى. ينظر: " المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري"، للسفيري، (105/2)

137- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (61)، ومسلم في "صحيحه"، (2811)

قوله: " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ ": فيه إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر قدر أفهامهم وفيه ضرب الأمثال والأشباه، وفيه فضل الشجر والثمر الذى لا يسقط ورقه، ويشبهها بالمسلم لكثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام. وأما فى رؤوسها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد هو مما يدخر فلا ينقطع نفعها، قال الله تعالى: {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}، ثم فى جميعها منافع من استعمال جذوعها فى البناء والآلات، وجرائدها حطباً وعصيا ومخاصر ومشاجب وحصرا. واستعمال ليفها حبالًا وخطما وحشو الوسائد والمرافق والبراذع وغير ذلك، واستعمال خوصها مكاتل وحبالاً وحصرا، ثم فى جمال بنائها واعتدال قيامها واستدارة جذوعها وثمرها، ثم تؤكل رطبة وجمارة، فهى منفعة كلها وخير وجمال، وهذا أولى الوجوه، كما أن المؤمن منفعة كله، وخير كله؛ لاتصافه بأفعال الخير؛ من المواظبة على الصلوات كل يوم وليلة. وقيل: بل شبهها بالمؤمن لأنها متى قطع رأسها ماتت، بخلاف سائر الشجر. قيل: بل لأنها لا تحمل حتى تلقح، وقيل: لأن أحوالها من حين تطلع إلى تمام ثمرها عشرة، كما أن أحوال المؤمن من التوبة إلى المعرفة عشرة: التوبة، ثم الصلاح، ثم الاجتهاد، ثم الخوف، ثم الرجاء، ثم الإرادة، ثم الاستقامة، ثم المحبة، ثم الرضى، ثم المعرفة. وثمر النخل عشرة: طلع، ثم إغريض، ثم بلح، ثم سياب، ثم جرال، ثم بسر، ثم زهو، ثم ثعد، ثم رطب، ثم تمر، وقد ظن بعض من لم يتفهم له المراد أنما خص النخلة هنا بكونها لا تسقط ورقها، وقال: إنما خصها بذلك من بين شجر البوادى الذى ذكروا؛ لأن ورقها لا يسقط وإن قطعت جذوعها، بخلاف غيرها مما لا يسقط ورقه من الثمار؛ ولأنه متى قطع وييس تناثر ورقه. والنبى – عليه السلام – لم يخصها من الصفات بترك سقوط الورق التى يشاركها فيه غيرها فقط، بل لصفات

شَجرةً ينتفعُ بها مثلُ الْمؤْمنِ، وفي رواية: مثلُ الرَّجلِ الْمُسْلمِ، وفي رواية: وإنَّها مثلُ الرَّجُلِ الْمُسْلم، وفي رواية: « إنِي لَأَعْلَم شَجرةً مثلُها كَمثلِ الرَّجلِ الْمسلم، وَفي رواية: إنَّ من الشَّجر لَما بركتُه كبركة الْمُسلم، وفي رواية: من الشَّجرِ شَجرةٌ بركتها كَالْمُسلمِ، وفي رواية: إنَّ من الشَّجرة لَشَجرةً مثل الرَّجلِ الْمُسْلَم138

وقد كان ﷺ يحفظ جاره ويكرم ضيفه، لا يمضي له وقت في غير عمل لله، أو فيما لا بد منه، يحب التفاؤل ويكره التشاؤم، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، يحب إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم139

وقد أرشدنا النبي إلي الحذر من العوائق التي تَحَولُ بيننا وبين التعاون مع الناس، ومنها الشيطان –فهو أَلَدُّ أعداء الإنسانِ– ولا يفتر في فَتّ جماعة المسلمين بالتحريش بينهم؛ بالخصومات والشحناء، والفتن، وإثارة البغضاء بينهم، فيكونَ نتاج ذلك العداء والفرقة فيما بينهم، وهي ضد الائتلاف والتَّضامن، فيفقد المؤمنون روح التعاون؛ بسبب تحريش الشيطان، وقد حذَّرنا النبيُّ ﷺ "تَحْريش الشيطان"، فعن جابر قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يئس أَنْ يعبده المصلُّونَ، ولَكن في التَّحريشِ بينهم" أخرجه الترمذي في "جامعه"،(1937)

أخر فيها، ذلك من الفضائل المذكورة، وفضل عدم سقوط الورق دوام الظل، وقد جاء فى الأحاديث الأخر صفات أخرى لها، من قوله: " تؤتى أكلها " وغير ذلك. انتهي من:"إكمالُ المعْلم بفوائد مُسْلم"، (348/8)

138- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (288/17): وَفِي هَذَا الْحَدِيث فَوَائِدُ: مِنْهَا اسْتِحْبَابُ إِلْقَاء الْعَالِم الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابه، لِيختبر أَفْهامهمْ، ويرغّبهُم فِي الْفكْر والاعْتنَاء، وفِيه: ضرب الْأَمْثَال وَالْأَشْبَاه، وفِيه: توقِير الْكبار كما فعل ابن عمر، لَكن إِذَا لَمْ يعرف الْكبَار الْمسأَلَة فَينْبَغِي لِلصَّغِير الَّذي يعرفُها أَنْ يقولهَا، وفيه: سرور الْإِنْسان بنجابة ولَده، وحسن فهمه، وقولُ عُمر رضي اللَّه عنهُ: (لأَنْ تَكُونَ قُلْت: هِي النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ) أَرَادَ بذَلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يدْعُو لابنه، ويعلَم حسن فهمه ونَجابته، وفيه فَضْل النَّخْل، قَالَ الْعلَماء: وَشبَّه النَّخْلَة بالْمسلم فِي كثْرة خيرها، ودوام ظلّها، وطيب ثمَرها، ووجوده عَلَى الدَّوام، فإنَّه من حين يطْلُع ثَمَرها لَا يزالُ يؤْكَل كل منه حتَّى ييبس، وبعد أَنْ ييبس يتَّخذُ منه منافع كثيرةٌ، ومن خشبها وورقها وأَغْصانها، فيستعمل جذُوعا وحطَبًا وعصيًّا ومخاصر وحصرا وحبالًا وأَواني وغير ذَلكَ، ثُمَّ آخر شيء منها نواها، وينتفع به علفًا للْإبل، ثُمَّ جمالُ نباتها، وحسن هيئة ثمَرها، فهي منافع كُلُّها، وخير وجمالٌ، كما أَنَّ الْمؤمن خير كُلُّه، من كثْرة طَاعاته، ومكارم أَخْلاقه، ويواظب علَى صلَاته وصيامه، وقراءته وذكْره، والصَّدقة والصلَة، وسائر الطَّاعات، وغير ذَلكَ، فهذَا هو الصَّحيح فِي وجه التَّشْبيه، قيلَ: وجْه الشَّبه أَنَّه إذَا قطع رأْسها ماتت بخلَاف باقي الشَّجر، وقيل: لأَنَّها لَا تَحْمل حتَّى تُلَقَّح. وَاللَّه أَعلَم".

139-ينظر: " توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع"، (ص:82)

وقد بين النبي أن التفرقة من الشيطان، فقد أخرج مسلم في "صحيحه"،(1852)،عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ"، وعند النسائي في "الكبرى"،(3469)، عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺعَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ يُرِيدُ يُفَرِّقُ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺكَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ "؛ وقد أخبرنا ربنا في كتابه، أنَ التفرقة أَساس الفشل﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: 46]، وَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺهُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺحِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ140، وهكذا نرى أن التربية الإسلامية تضم في طياتها تنمية الجسم، وتربية الجوارح، ولكنها بالمقابل توجه هذه الطاقات نحو خير الإنسان وخير المجتمع، وتحذر من البطش أو الاعتداء، فللتربية الإسلامية وسيلتان لتوجيه الطاقات الجسمية:

أولاهما: توجيهها نحو كل ما يرضي الله، مع إغاثة الملهوف وإعانة الكل.

وثانيهما: تحذيرها من كل ما يغضب الله، مع التلويح بالعقوبة لكل بطش، أو أذى أو اعتداء يقوم به أي إنسان مهما بلغت قوته أو مكانته141،يقول الغزالي:".. ينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقّدا لأوقات الحاجة، غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنّك لا تدري

140- أخرجه البخاري في "صحيحه"، (3158) ومسلم في "صحيحه"، (2961)

141- ينظر:" أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع"، (ص:97)

أنّك قمت بها، ولا ترى لنفسك حقّا بسبب قيامك بها، بل تتقلّد منه بقبوله سعيك في حقّه وقيامك بأمره، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد"، وقال ابن علّان معلّقا على حديث رسول الله ﷺ (ومن نفّس عن مؤمن كربة..الحديث):"فيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو جاه، أو نصح، أو دلالة على خير، أو إعانة بنفسه، أو سفارته، أو وساطته، أو شفاعته، أو دعائه له بظهر الغيب"142، وفي الحديث الحث علي السعي في الخير بين الناس: فعن أَبِي موسى رضِي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا جاءه السَّائل أَوْ طُلبتْ إلَيْه حاجَةٌ قَالَ: اشْفعوا تؤْجروا، ويقْضي الله علَى لسان نَبيّه ﷺ ما شاءَ "143

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (136/16):" فيه استحْبابُ الشَّفَاعَة لأَصْحاب الْحَوَائج الْمباحَة، سواءٌ كانَت الشَّفَاعَةُ إلَى سلْطَان ووال ونَحْوِهمَا، أَمْ إلَى واحد من النَّاس، وسواءٌ كَانَت الشَّفَاعَةُ إلى سلْطَان في كَفّ ظُلْمٍ، أَو إسقَاطِ تعزير، أَو في تَخْليص عطاء الْمحْتاج، أَو نَحْو ذلكَ. وأَمَّا الشَّفَاعَة في الْحُدود فحرامٌ، وكَذَا الشَّفَاعَةُ في تتميم باطل، أَو إبطَال حَقّ، ونَحْو ذَلكَ، فَهي حرامٌ "، وهذا الحديث متضَمن لأصل كبير، وفائدة عظيمَة، وهوَ أنه ينبغي للَعبد أن يسعَى في أمورَ الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء. وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم فإن كثيرا من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته، فيفوت على نفسه خيرا كثيرا من الله، ومعروفا عند أخيه المسلم، فلهذا أمر النبي ﷺ أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده ليتعجلوا الأجر عند الله، لقوله: "اشفعوا تؤجروا" فإن الشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضية له. قال تعال: ﴿ مَّن يشْفَع شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصيبٌ مّنْهَا ﴾ [النساء:85]، ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضا يتعجل الإحسان وفعل المعروف معَ أخيهَ، ويكون له بذلك عنده يد، وأيضا، فلعل شفاعته تكون سببا لتحصيل مراده من المشفوع له أو لبعضه، ما هو الواقع. فالسعي في أمور الخير والمعروف التي يحتمل أن تحصل أو لا تحصل خير عاجل، وتعويد للنفوس على الإعانة على الخير، وتمهيد للقيام بالشفاعات التي يتحقق أو يظن قبولها، وفيه من الفوائد: السعي في كل ما يزيل اليأس، فإن الطلب والسعي عنوان على الرجاء والطمع في

142- ينظر: "إحياء علوم الدين"، (3/ 175-176)، و" دليل الفالحين"، (3/ 34- 35).

143- أخرجه البخاري في "صحيحه" (1432)، ومسلم في "صحيحه" (2627)

حصول المراد، وضده بضده، وفي الحديث دليل على الترغيب في توجيه الناس إلى فعل الخير، وأن الشفاعة لا يجب على المشفوع عنده قبولها إلا أن يشفع في إيصال الحقوق الواجبة، فإن الحق الواجب يجب أداؤه وإيصاله إلى مستحقه، ولو لم يشفع فيه144، هذا من باب الإعانة على الخير والإحسان: فعن زيد بن أَسلَم، عن أَبيه قَالَ: خرجت مع عمر بن الْخَطَّاب رضي الله عنه إِلَى السُّوق، فَلَحقَتْ عمر امرَأَةٌ شابَّةٌ، فقالَت: يا أَمير الْمُؤمنين، هلكَ زوجي وترك صبية صغارا، والله ما ينْضجون كُراعا، ولَا لَهم زرع ولَا ضرع، وخشيت أَنْ تأْكُلَهم الضَّبع، وأَنا بنت خفَاف بن إِيماء الْغفاري، وقَدْ شهد أَبي الْحُديبية مع النَّبِي ﷺ. فوقَف معها عمر ولَم يمض، ثُمَّ قَالَ: مرحبا بِنسب قَرِيب، ثُمَّ انْصرف إِلَى بعير ظَهير كَان مربوطًا في الدَّار، فَحمل عليه غرارتين ملأَهُما طَعاما، وحمل بينهما نفقة وثيابا، ثُمَّ ناولَهَا بِخطَامه، ثُمَّ قَالَ: اقْتاديه، فَلَنْ يفْنى حتَّى يأْتيكُم الله بِخير، فَقَال رجل: يا أَمير الْمُؤْمنين، أَكْثرت لَها؟ قَالَ عمر: ثَكلَتْك أُمُّكَ، والله إِني لَأَرى أَبا هذه وأَخاها، قَدْ حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه، ثُمَّ أَصبحنا نستفيء سهمانَهُما فيه "، أخرجه البخاري في "صحيحه"، (4160)، وعن عون بنِ أَبِي جحيفة، عن الْمنذر بن جرير، عن أَبيه، قَالَ: كُنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النَّهار، قَالَ: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أَو الْعباء، متقلدي السُّيوف، عامَّتهم من مضر، بل كُلُّهم من مضر فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأَى بهم من الْفاقة، فدخل ثُمَّ خرج، فأَمر بلالا فأَذَّن وأَقام، فصلَّى ثُمَّ خطب فقال: ﴿ يا أَيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكُم الَّذي خلَقَكُم من نفْسٍ واحدة ﴾[النساء: 1] إِلَى آخر الْآية،﴿ إِنَّ الله كَانَ علَيْكُم رقيبا ﴾[النساء: 1] والْآية الَّتي في الْحشر: ﴿ اتَّقُوا الله ولْتنظُرْ نفْس ما قَدَّمتْ لغد واتَّقوا الله ﴾ [الحشر: 18] "تصدَّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمْره - حتَّى قَالَ - ولَو بشق تمْرة" قَال: فجاء رجل من الْأَنصار بِصرَّة كادت كَفُّه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثُمَّ تتابع النَّاس، حتَّى رأَيت كَومين من طعام وثياب، حتَّى رأَيت وجه رسول الله ﷺ يتهلَّل، كَأَنَّه مذْهبة، فقال رسولُ الله ﷺ: "من سنَّ في الْإِسلَام سنَّة حسنة، فلَه أَجرها، وأَجر من عمل بها بعده، من غير أَنْ ينقص من أُجورهم شيء، ومن سنَّ في الْإِسلَام سنَّة سيئة، كَان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أَنْ ينقص من أَوزارهم شيء"، أخرجه مسلم في "صحيحه"،(989).

144-ينظر: "بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار"، للسعدي، (ص:41)

حب الخير للآخرين من شعب الإيمان:

يقول تعالي:﴿ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (31) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (32) ﴾[مريم: 31 - 32]، أي نافعاً للخلق يرشدهم إلى أمور دينهم، ويمنعهم من ارتكاب الزلة التي فيها هلاكهم، ومن استضاء بنوره نجا. فهذه بركاته التي كانت تصل إلى الخلق. ومن بركاته إغاثة الملهوف، وإعانة الضعيف، ونصرة المظلوم، ومواساة الفقير، وإرشاد الضال، والنصيحة للخلق، وكف الأذى عنهم وحمل الأذى منهم، وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا أي لم يجعلني غير قابل للنصيحة145، ويقول تعالي:﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (57) ﴾

من صفات المؤمنين الواردة في الآية الرحمة للمؤمنين: وهي ما تثمره لهم هداية القرآن وتفيضه على قلوبهم من رحمة ربهم الخاصة، وهي صفة كمال من آثارها إغاثة الملهوف، وبذل المعروف وكف الظلم، ومنع التعدي والبغي، وغير ذلك من أعمال الخير والبر، ومقاومة الشر، وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿ رحماء بينهم ﴾[الفتح: 29]وبقوله:﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾[البلد: 17]146

التربية الإسلامية تربية موجهة نحو الخير: ذلك أن مجيء الإسلام كرسالة كان من أجل الرحمة بالبشر، وقد خاطب سبحانه وتعالى نبيه بقوله: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾، إن التربية الإسلامية موجهة لما فيه خير الفرد والمجتمع فهي توجه الإنسان إلى الفضيلة بالالتزام بالخلق الكريم والتحلي بجميل الصفات ومعاملة الناس بالحسنى "فالدين المعاملة"، "الدين المعاملة" كلمتان تلخصان أخلاقيات الاسلام، كثير من الناس –اليوم– يظنون أو لسان حالهم ينطق بذلك: أن الدين صلاة وصيام وزكاة وحج فقط، وهذا فهم قاصر لدين الإسلام، لذلك تجد فصاما مقيتا في تطبيقهم للدين في حياتهم، فهم يحافظون على أداء العبادات من صلاة وصيام وحج وغيرها، بل ويجتهدون في فعل النوافل كالسنن الرواتب وصلاة الضحى وصيام الأيام التي يستحب صيامها وتكرار الحج والعمرة، وهذا كله أمر طيب، لكنك حين تنظر إلى حالهم في التعامل مع الناس في أسواقهم وفي خصوماتهم وفي جميع شؤون

145–ينظر: "لطائف الإشارات = تفسير القشيري"، (427/2)

146 –ينظر: "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، (331/11)

حياتهم، تجد العجب العجاب غش في البيع والشراء، وفجور في الخصومة، وغيبة وبغي وكذب وبهتان، نكران للجميل، وغدر بالعهود، وحسد وبغضاء،وأذية للقريب والبعيد، وقطع للأرحام، وعقوق للوالدين، وغياب للعدل والإنصاف، وشح وطمع، وتعاون على الإثم والعدوان، أين الإسلام؟ أين الإيمان؟ أين الإحسان؟! هل عرف هؤلاء حقيقة الإسلام؟ كلا والله، من هذا حاله ما عرف حقيقة دين الإسلام الذي جاء به خير الأنام صلى الله عليه وسلم!، المسلم الذي عرف حقيقة الإسلام وآمن بما جاء عن الله وعن رسول الله يقينا من قلبه يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه, يعامل الناس بالذي يحب أن يعاملوه به، عن عبد الله بن عمرو قال: قال صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"147، إن دين الإسلام دين كامل ينتظم حياة الأفراد والمجتمعات، وما يكون به استقامة حياتهم في الدنيا، ونجاتهم في الآخرة، وقد حث الإسلام المسلمين على الخير وكل ما فيه سعادة الناس جميعا وجعل حب الخير للآخرين من تمام الإيمان "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، كما اهتم بتنمية نزعات الخير في الإنسان من تعاطف وتراحم وتواد وتآخ وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر و "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، ويقول الغزالي في "المستصفى"،(287/1): "إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة على مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة. وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة"، وجعل الإسلام مصالح العباد من أفضل العبادات148، فقد أخرج الطبراني في "المعجم الكبير"، (10033)،عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْخَلْقُ كُلُّهُم عيالُ الله، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لعياله»، وفي رواية َعندَ أبي نعيم في "حليةَ الأولياء"،(102/2)، «الْخَلْقُ كُلُّهُم عيالُ الله وَأَحَبُّكُمْ إِلَى اَللَّه مَنْ أَحْسن إِلَى عياله» 149، وعند البيهقي في "شعب الإيمان"،(7046)، َعن

147- الدين المعاملة، عبد الرحيم المثيلي، ملتقى الخطباء، اطلع عليه بتاريخ:2021/8/30م

148- قوله:"خير النَّاس أنفعهم للنَّاس": بالاحسان اليهم بِمَالِه وجاهه وَعلمه لَان الْخلق كلهم عِيَال الله وأحبهم إِلَيْهِ أنفعهم لِعِيَالِه. انتهي من:" التيسير بشرح الجامع الصغير "، للمناوي، (528/1)

149- قال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (13707):
"رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عُمَيْرٌ، وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْقُرَشِيُّ، مَتْرُوكٌ".





أَنس بنْ مَالك، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " الخَلْقُ كُلُّهمْ عِيالُ الله، فَأَحبُّ الخَلْقِ إِلَى الله أَنْفَعُهمْ لعياله " 151150

والتربية الإسلامية تقوم على إقامة العدل في المجتمع الإسلامي، ولإقامة العدل جوانب متعددة منها العدل في المعاملة "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به" ومنها العدل في القضاء فالمسلمون سواء أمام الإسلام لا فضل لغني على فقير ولا لقوي على ضعيف ولا لعربي على عجمي، ومنها العدل

150- أخرجه البزار في "مسنده"، (1949)، والحارث بن أبي أسامة في "بغية الباحث"، (911)، والطبراني في "مكارم الأخلاق" (87)، وابن عدي في "الكامل" (153/7-154)، وابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" (24)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (1306)، قال النووي -كما في كشف الخفا (457/1): "هو حديث ضعيف؛ لأن فيه يوسف بن عطية، ضعيف باتفاق الأئمة"، وأورده الحافظ الذهبي في "الميزان" ضمن مناكيره، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (191/8): "رواه أبو يعلى، والبزار، وفيه يوسف بن عطية الصفار، وهو متروك"، و قال ابن حجر فى " المطالب العالية "(1 / 262)، قال أبو يعلى: حدثنا أبو الربيع الزهرانى، وأبو ياسر قالا: حدثنا يوسف به. اه. قلت: يوسف تفرد به، وهو ضعيف جدا.

151-من فوائد (التعاون على البر والتقوى)

(1) إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة الّتي لا يقدر عليها الأفراد.
(2) شعور الفرد بالقوّة ونزع شعور العجز من نفسه.
(3) دليل حبّ الخير للآخرين.
(4) مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممّن حوله من الإنسان والحيوان.
(5) ثمرة من ثمرات الإيمان فضلا عن كونه حاجة ملحّة للإنسان.
(6) أساس التّقدّم والإنتاج والنّجاح والتّفوّق.
(7) من ثمرات الأخوّة الإسلاميّة.
(8) الشّعور بالمساواة في الإنسانيّة يدفع إليه ويحضّ عليه.
(9) ينزع الحقد من القلوب الضّعيفة ويزيل أسباب الحسد.
(10) طريق موصّل إلى محبّة الله ورضاه وجنّته.
(11) سبب من أهمّ أسباب الألفة والمحبّة بين النّاس.
(12) يحقّق سنّة الله في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء

من فوائد (تفريج الكربات)

(1) الفرج الأعظم يأتي من الله- عزّ وجلّ- فهو ينجّي كلّ مكروب يستغيثه في الدّنيا والآخرة.
(2) النّبيّ ﷺ علّم أصحابه أدعية يقولها ذو الكرب فيفرّج عنه.
(3) سبب لتفريج كربات القيامة وأهوالها.
(4) الإيمان والطّاعة وبرّ الوالدين والإحسان والابتعاد عمّا حرّم الله من أعظم أسباب تفريج الكربات واستجابة الدّعوات.
(5) من أعظم أسبابه التزام آدابه من الأذكار والأدعية الثّابتة عن النّبيّ ﷺ.
(6) سبب لنيل القرب من الله والمحبّة من النّاس.
(7) دليل حبّ الخير للآخرين

ينظر:" نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ"، (1027/3)، (4/ 1063)، و" موسوعة الأخلاق الإسلامية"، (135/1)





الاجتماعي، فالقوي يساعد الضعيف، والغني يساعد الفقير، بل وفي أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم، ومن العدل أيضا التساوي بين الناس في الحقوق والواجبات، ومن هذه الحقوق حق العمل وحق التعليم152، صدقًا ما أجمل أن يحب المرء لغيره ما يحبه لنفسه، ولو طبقنا هذه القاعدة لسمونا بأخلاقنا، ولدخلنا إلى قلوب الناس بدون استئذان، كما أن محبة الآخرين هي من علامات الإيمان، فقد أخرج أحمد في "المسند"،(22132)،عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُعَاذٍ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ قَالَ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ». قَالَ: وَمَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ»، وفي "المسند"،(15617)،عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَنَعَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَحَبَّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ تَعَالَى فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»، وَفي "المسند"،(18524)،عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟» قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»

وأخرج البخاري في "صحيحه"،(15)، ومسلم،(44)،عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وحَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "، وكذلك أنه سبب في دخولك الجنَة، فقد أخرج أحمد في "المسند"،(16653)، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِجَدِّهِ يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ"، وأخرج مسلم في "صحيحه"، (1844)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ

152 -ينظر:" التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية"، (ص:73)

آخرها بلاءٌ وأُمورٌ تنكرونَهَا، وتَجيء فتنةٌ فيرقِّق بعضها بعضًا، وتَجيءُ الْفتنةُ فيقُولُ الْمُؤْمنُ: هذه مهلكَتي، ثُمَّ تنْكَشفُ، وتَجيء الْفتنةُ فيقُولُ الْمؤمن: هذه هذه، فمن أَحبَّ أَنْ يزحزح عن النَّار ويدْخل الجَنَّة، فلْتأْته منيَّته وهو يؤمن بالله والْيوم الْآخر، ولْيأْت إلى النَّاس الَّذي يُحبُّ أَنْ يؤتي إلَيه153 ،ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فلْيطعه إن استطاع، فإنْ جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الْآخر فدنوت منه فقلْت له: أنْشدك الله، آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأَهوى إلَى أُذُنيه وقلْبه بيديه وقال: سمعته أُذُناي ووعاه قلْبي، فقلْت له: هذا ابن عمك معاوية، يأْمرنا أَنْ نأْكل أَموالَنَا بيننا بالْباطل ونقتل أَنْفسنا، والله يقول:﴿ يا أَيُّها الَّذين آمنوا لا تأْكلوا أَموالَكُم بينكُم بالْباطل إلا أَنْ تكُون تجارةً عن تراضٍ منكُم ولا تقتلوا أَنْفُسكُم إنَّ الله كان بكُم رحيما ﴾، قال: فسكت ساعةً ثُمَّ قال: أَطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله "، وأخرج مسلم في "صحيحه"،(732)

عن سعيد الْجُريري، عن عبد الله بن شقيق، قال: قلْت لعائشة: هل كان النَّبيُّ ﷺ يصلِّي وهو قاعدٌ؟ قالت: «نعم، بعد ما حطمه النَّاس».

جاء في "حاشية السيوطي علي سنن النسائي"، (223/3):

" (بعدما حطمه النَّاس)، قال في النهاية: يقالُ حطم فلانا أهلُه إذا كبر فيهم، كأنَّهُم بما حمَّلُوه من أثْقالهم صيَّروه شيخا محطُوما ".

ويقول النووي في "شرح صحيح مسلم"،(16/3)،:" قولُها قعد بعد ما حطمه النَّاس قال الرَّاوي في تفْسيره يقالُ حطم فلانا أهلُه إذا كبر فيهم كأنَّه لمَّا حمله من أُمورهم وأثْقالهم والاعتناء بمصالحهم صيَّروه شيخا محطُوما والحطْم الشَّيء الْيابس "، وهكذا كان رسول الله ﷺ وهو القدوة الأوحد، وصاحب الكمال المطلق من الخلق عليه الصلاة والسلام وللجميع فيه أسوة154

153- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (543/12):

قوله ﷺ:(ولْيأْت إلى النَّاس الَّذي يُحبُّ أنْ يؤتى إليه) هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حكمه، وهذه قاعدةٌ مهمَّةٌ فينبغي الاعتناء بها، وأنَّ الْإنسان يلْزم أن لا يفعل مع النَّاس إلا ما يُحبُّ أنْ يفعلُوه معه.

154 -ينظر:" من وسائل الدعوة"، د. محمد بن عبد العزيز الثويني، (ص:32-33)




حتي الأنبياء أسوة لنا في التعاون فها هو سيدنا إبراهيم ﷺ، حينما أمره ربُّه ببناء ربُّك، ففي "صحيح البخاري"، (3364)، عَنْ سعيد بن جبير قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لتعفي أَثَرَهَا عَلَى سارة ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رب إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺفَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺيَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ. وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺفَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ





وهي تُحِبُّ الْإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا معهم حَتَّى إِذَا كَانَ بها أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ منهم وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فجاء إبراهيم بعدما تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نَحْنُ بشر نَحْنُ فِي ضيق وشدَّة فشكت إليه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السَّلام وقولي له يغيِّر عتبة بابه فلمَّا جاء إسماعيل كأنَّه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد قالت: نعم جاءنا شيخ كَذَا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أَنَّا في جهد وشدَّة قال: فهل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أَنْ أقرأ عليك السَّلام ويقول: غيِّر عتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرني أَنْ أفارقك الْحَقِي بأهلك فطلَّقها وتزوَّج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثُمَّ أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نَحْنُ بخير وسعة وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم قالت: اللَّحم. قال فما شرابكم قالت الْماء. قال اللَّهمَّ بارك لَهُم في اللَّحم والْماء. قال النَّبيُّ ﷺ ولم يكن لَهُم يومئذ حبٌّ ولو كان لَهُم دعا لَهُم فيه قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكَّة إلَّا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السَّلام ومريه يثبت عتبة بابه فلمَّا جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد قالت: نعم أتانا شيخ حسن الْهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السَّلام ويأمرك أَنْ تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت الْعتبة أمرني أَنْ أمسكك ثُمَّ لبث عنهم ما شاء الله ثُمَّ جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تَحْتَ دوحة قريبا من زمزم فلمَّا رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الْوالد بالْولد والْولد بالْوالد ثُمَّ قال: يا إسماعيل إنَّ الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربُّك قال: وتعينني قال: وأعينك قال: فإنَّ الله أمرني أَنْ أبني ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولَها قال: فعند ذلك رفعا الْقواعد من الْبيت فجعل إسماعيل يأتي بالْحجارة وإبراهيم يبني حتَّى إذا ارتفع الْبناء جاء بهذا الْحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الْحجارة وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قال فجعلا يبنيان حتَّى يدورا حول الْبيت وهما يقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

ومن الأحاديث الواردة في المواساة155

1- عن عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي لَيْلَى، عن الْمقْدَاد قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهْد، فجعلنا نعرض أنفسنا عَلَى أَصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحدٌ منهم يقبلنا، فأتينا النَّبِيَّ ﷺ فانطلق بنا إِلَى أَهْله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النَّبِيُّ ﷺ: احتلبوا هذا اللَّبن بيننا. قال: فكُنَّا نحتلب، فيشرب كلُّ إنسان منَّا نصيبه، ونرفع للنَّبِيِّ ﷺ نصيبه، قال: فيجيء من اللَّيل فيسلِّم تسليما لَا يوقظ نائما، ويسمع اليقظان، قال: ثُمَّ يأتي المسجد فيصلِّي، ثُمَّ يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشَّيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي، فقال: محمَّد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها، فلمَّا أن وغلت في بطني، وعلمت أنَّه ليس إليها سبيل، قال: ندَّمني الشَّيطان فقال: ويحك، ما صنعت؟ أشربت شراب محمَّد، فيجيء فلا يجده، فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك؟ وعليَّ شملة إذا وضعتها على قدميَّ خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النَّوم، وأمَّا صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النَّبِيُّ ﷺ، فسلَّم كما كان يسلِّم، ثُمَّ أتى المسجد فصلَّى، ثُمَّ أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا، فرفع رأسه إلى السَّماء، فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: اللَّهمَّ أطعم من أطعمني، وأسق من أسقاني. قال: فعمدت إلى الشَّملة فشددتها عليَّ، وأخذت الشَّفرة فانطلقت إلى الأعنز أيُّها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة، وإذا هنَّ حفَّل كلُّهنَّ، فعمدت إلى إناء لآل محمَّد ﷺ، ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتَّى علته رغوة، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال: أشربتم شرابكم اللَّيلة؟ قال: قلت: يا رسول الله، اشرب. فشرب ثُمَّ ناولني، فقلت: يا رسول الله، اشرب. فشرب ثُمَّ ناولني، فلمَّا عرفت أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد روي وأصبت دعوته، ضحكت حتَّى أُلقيت إلى الأرض، قال: فقال النَّبِيُّ ﷺ: إحدى سوآتك يا مقداد. فقلت: يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا، فقال النَّبِيُّ ﷺ: ما هذه إلَّا رحمة من الله، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها؟ قال: فقلت: والَّذي بعثك بالحقِّ ما أُبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من النَّاس 156

155 - ينظر:" نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ"، (3507/8)، " و" موسوعة الأخلاق الإسلامية"، (63/2)

156- أخرجه مسلم في "صحيحه"، (2055)




2- عَنْ سماك بِن حَرْب قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بن زَاهِر أَبا رُوَاعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إنَّا والله قَدْ صحِبْنا رسولَ اللهً - ﷺ - في السَّفَر والْحُضَر، فكَانَ يعود مرضانا، ويتبَعُ جنائزنَا، ويغزو معناَ، ويواسينًا بالْقَليل والْكَثِير وإنَّ نَاسا يعلموني به عسيٍ، أَلَّا يكُونَ أَحدهم رآه قَطُّ 157

3- عنَ أَبِي ذرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَ: اتَّقِ اللَّهَ حيثما كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسنَةَ تَمْحها، وخَالقِ النَّاس بخُلُقٍ حسنٍ158

فهذه الوصية وصيةٌ عظيمةٌ جامعة لحقوق الله وحقوق عباده، فإنَّ حقَّ الله على عباده أنْ يتقوه حقَّ تقاته، والتقوى وصيةَ الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ ﴾،وأصل التقوى: أنْ يعلم العبدَ ما يتَّقى ثم يتقي، قال عونُ بن عبدَ الله: تمام التقوى أنْ تبتغي علم ما لم يعلم منها إلى ما عُلِم منها، وذكر معروفٌ الكرخيَّ، عن بكر بن خنيس، قال: كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتَّقي؟ ثُمَّ قالَ معروفٌ: إذا كنت لا تُحسن تتقي أكلت الربا، وإذا كنت لا تُحسن تتقي لقيتكَ امرأةٌ فلم تَغَضَّ بصرك، وإذا كنت لا تُحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك وفي الجملة، فالتقوى: هي وصيةَ الله لجميع خلقه، ووصيةَ رسول الله - ﷺ - لأمته، وكان - ﷺ - إذا بعث أميرا على سريَّة أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرا، وقال الشافعي: أعزُّ الأشياء ثلاثة: الجودُ من قلَّة، والورعُ في خلوة، وكلمةُ الحقّ عند من يرجى ويخاف، وكتب ابن السَّماك الواعظ إلى أخٍ له: أمَا بعد، أُوصيكَ بتقوى الله الذي هو نَجيُّكَ في سريرتك ورقيبك في علانيتك، فاجعلِ الله من بالك على كُلِ حالك في ليلك ونهارك، وخف اللّه بقدر قُربه منك، وقُدرته عليك، واعلم أنَّك بعينه ليس تَخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا منَ ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذَرك، وليكثر منه وجلُكَ والسلام159 فهذه وصية جامعة لمن عقلها، مع أنّها تفسير للوصية القرآنية، أما بيان جمعها فلأنّ العبد عليه حقّان: حق لله عز وجل، وحق لعباده، ثم الحق الّذي عليه لا بدّ أن يخل ببعضه أحيانا، إما بترك المأمور به أو فعل المنهي عنه، وفي قوله ﷺ: «اتّق الله حيثما كنت» تحقيق لحاجته إلى التّقوى في السر والعلانية (وفي كل زمان ومكان)، ثم قال: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» لأنه لما كان الذّنب للعبد كأنّه أمر حتم كان الكيس هو الّذي لا يزال

157- أخرجه أحمد في "مسنده" (511)، والبزار في "مسنده" (401)

158- أخرجه الحاكم في "مستدركه"، (178) والترمذي في "جامعه"، (1987)

159- ينظر:" جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم"، (448/2-485)

يأتي من الحسنات ما يمحو به السيئات، وفي هذا إرشاد للخاصة والعامة بما يخلّص النّفوس من ورطات الذّنوب وهو إتباع السيئات الحسنات، ولما قضى الرسول ﷺ بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد، قال: «وخالق النّاس بخلق حسن» وهو حق النّاس، وأما بيان أنّ هذا كلّه في وصية الله فهو أنّ اسم «تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر به الله به إيجابا واستحبابا، وما نهى عنه تحريما وتنزيها، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد160

لا خيل عندك تهديها ولا مال... فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ161

ولما كَانَت التربية الإسلامية تقوم على الْإِيمَان باللَّه ومراقبته والخضوع لَهُ وَحده، والْعَمل الصَّالح والتواصي بالْحَقّ، وتحري الْعلم والمعرفة الصَّحيحة ونشرها بين النَّاس والتواصي بالصبر162، أَصبحت التربية الإسلامية فَريضة على جَميع الْآبَاء والأمهات والمربين والمعلمين، وهذه المسؤولية أَمانة دينية يتوارثها الأجيال، جَيل بعد جيلَ ليربوا الناشئة على أُصولها وتَحت ظلالها فَلَا سعادة ولَا راحة ولَا طمأنينة لَهُم إلّا بتربية هَذه النُّفُوس وتَلك الأجيال وفْق مَا شَرعه الله لَهُم163

الإسلام دين ألفة وتآخي وشعور بالآخر؛ لذا يحثنا دوما على الاهتمام بالآخرين والشعور بهم ومد جسور التواصل مع الكافة، ويعد الدعاء بظهر الغيب أحد تلك الجسور للتواصل مع غيرنا ممن يحتاجون للكلمة الطيبة والدعاء الصالح منا

160- "مجموع الفتاوي"، لابن تيميه، (10/654-656)

161 - شرح ديون أبو الطيب المتنبي للعكبري 3 / 276 قصيدة 215.

162- إن الْإِيمَان باللَّه هُوَ الموجه للسلوك والضَّابط لَهُ والمتصل اتّصَالًا وثيقًا بالْأَعْمَال الصادرة من الإنسان فَإن التربية الإسلامية تربط دَائما بين الْعمل والسلوك ثمَّ بين الْعمل الصَّادر من هَذَا الْإِيمَان وبين الْجَزَاء، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحَات كَانَتْ لَهُم جنَّات الْفردوس نزلًا}، وهنَاك آيَات كَثيرَة تقرن الْإِيمَان بالْعَمَل، فالإيمان الْحق هُوَ الْإِيمَان الَّذي يصدر عَنهُ السلوك وينبع مِنْهُ الْعَمَل الصَّالح ويَخرج مِنْهُ الْخلق الْكَرِيم، فَحسن الْخلق والإخاء والمودة واجْتنَاب الْكَبَائِر والتمسك بالفضائل يجب أَن تصدر عَن هَذه العقيدة

ينظر: "حقوق الإنسان في الإسلام"، (ص:33-34)، و"التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص:38)

163- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (413/38)

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدْعو لأَخيه بظَهر الْغيْب، إلاّ قَالَ الْملَكُ: ولَكَ بمثْل"، أخرجه مسلم في "صحيحه"،(2732)[164]، وفي روَاية عند مسلم وعند أبي داود في "سننه"،(1534)، إذَا دعا الرَّجلُ لأخيه بظَهْر الْغيْب قَالَت الْملائكَةُ: آمين، ولَك بمثْل "، وهذا يظهر تميز سلوك المسلم عن غيره بأنه يحب الخير لإخوانه المسلمين كما يحبه لنفسه، مصداقا لقول النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه"، وقد عززت شريعتنا الغراء هذا المسلك بفضيلة: (الدعاء بظهر الغيب)، أي الدعاء للغير وهو غائب غير حاضر، هذه الصورة الرائعة التي يشجعنا بها رسول الله ﷺ على الدعاء للمسلمين، تتضمن وعدا بأن الخير الذي ستدعو به لن يصل إلى المدعو له فقط، وإنما سيناله الداعي كذلك؛ لأن الله الذي أرسل الملَك ليقول: "آمين"، أرسله وهو يريد الإجابة، كما أن الملَك يقول بيقين: "ولَكَ بمثْل"، وهذا أمر لا يمكن أن يقطع به الملَك بمفرده، إنما أخبره الله سبحانه وتعالى بتحقُّق الإجابة، فصار أداء هذه السُّنَّة الجميلة نافعا للطرفين: الداعي والمدعو له. بل أكَّدت الصحابية الجليلة أم الدرداء رضي الله عنها لزوج ابنتها الدرداء -وهو عبد الله بن صفوان- أن هذه الدعوة مستجابة،، ففي "صحيح مسلم"،(2733)، عن أَبي الزُّبير، عن صفْوان وهو ابن عبد الله بن صفْوان وكانت تَحته الدَّرداء قال: قَدمْتُ الشَّام فأَتيْت أَبا الدَّرداء في منزله فلَم أَجدْه، ووجدْتُ أُمَّ الدَّرداء فقالَتْ: أَتريد الْحجَّ الْعام؟ فقُلْتُ: نعم قالَت: فادع الله لَنا بخير فإنَّ النَّبي ﷺ كان يقول: دعْوةُ الْمرء الْمسلم لأَخيه بظَهْر الْغيْب مستجابةٌ، عنْد رأْسه ملَك

164- يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (209/17) قَولُه ﷺ: (بظَهْر الْغَيْب) فَمعنَاه: في غَيْبَة الْمدْعو لَه، وفي سرّه ; لأَنَّهُ أَبلَغ في الْإخْلَاص، قَولُه: (بمثْلٍ) هو بكَسْر الْميم وإسْكَان الثَّاء، هذه الرواية الْمشْهورة، قَالَ الْقَاضي: ورويناه بفَتْحها أَيضًا، يقَالُ: هو مثْلُه ومثيلُه بزيادة الْياء، أَي: هذه الْفَضيلَةُ، ولَو دعا لجمْلَة الْمسْلمين فَالظَّاهر حصولُها أَيضًا، وكَانَ بعض السَّلَف إذَا أَرادَ أَنْ يدْعو لنفْسه يدْعو لأَخيه الْمسْلم بتلْكَ الدَّعْوة ; لأَنَّهَا تُستَجاب، ويَحصل لَه مثْلُها.

ويقول القرطبي في "المفهم"، (62/7): " قوله: " ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل " المسلم هنا: هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه؛ لأنَّ هذا هو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، أي: في حال غيبته عنه، وإنما خص حالة الغيبة بالذكر لبعدها عن الرياء، والأغراض المفسدة أو المنقصة؛ فإنه في حال الغيبة يتمحض الإخلاص، ويصح قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله ﷺ بأن له مثل ما دعا به لأخيه. والأخوة هنا: هي الأخوة الدينية، وقد تكون معها صداقة ومعرفة، وقد لا يكون، وقد يتعين، وقد لا يتعين، فإنَّ الإنسان إذا دعا لإخوانه المسلمين حيث كانوا، وصدق الله في دعائه، وأخلص فيه في حال الغيبة عنهم، أو عن بعضهم، قال الملك له ذلك القول، بل قد يكون ثوابه أعظم؛ لأنَّه دعا بالخير، وقصده للإسلام، ولكل المسلمين، والله تعالى أعلم.

مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ".

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"،(209/17): "وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ يَدْعُو لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ؛ لأَنَّهَا تُسْتَجَابُ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِثْلُهَا"، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟ فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟ فَقَالَ ﷺ: وَاللهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ "165

وفي "صحيح مسلم"،(202)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الْآيَةَ. وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ"، وفي "مصنف ابن أبي شيبة"،(30120)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى حَرَّةِ بَنِي مُعَاوِيَةَ وَاتَّبَعْتُ أَثَرَهُ حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهَا، فَصَلَّى الضُّحَى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ، طَوَّلَ فِيهِنَّ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ طَوَّلْتُ عَلَيْكَ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَى أُمَّتِي غَيْرَهَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِالسِّنِينَ، فَأَعْطَانِي؛ وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهَا بَيْنَهَا، فَمَنَعَنِي، وعن صهيب قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا، وَلَا يُخْبِرُنَا بِهِ، قَالَ: " أَفَطِنْتُمْ لِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ أَمْ يَقُومُ لَهُمْ؟ – قَالَ سُلَيْمَانُ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ – فَقِيلَ لَهُ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ ; بَيْنَ أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ. فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا. فَقَالَ فِي صَلَاتِهِ – وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ – فَقَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتَ! فَسَلَّطَ

165- أخرجه ابن حبان في "صحيحه"، (7111) والحاكم في "مستدركه"، (6805)

عَلَيهِمْ ثَلاثَةَ أَيَّام فَمَات سبعونَ أَلْفًا، فَالَّذي ترونَ أَنِّي أَقُولُ: رَبِّي بكَ أُقَاتِلُ، وبكَ أُصَاوِلُ، ولَا حولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بك[166]

وأخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه"(30130)، عَنْ طُعْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ رجلٍ يقَالُ لَهُ ميكَائيلُ – شَيْخٌ من أَهْلِ خُرَاسَانَ – قَالَ: كَانَ عُمرُ إِذَا قَام مِنَ اللَّيلِ يقُولُ: قَدْ ترى مقَامي وتعلَمُ حَاجتي، فَأَرجعني من عنْدكَ يا الله بحَاجتي مفْلجا، منْجحا، مستجيبا، مستجابا لي، قَدْ غَفرت لي، ورحمْتنِي؛ فإِذَا قَضَى صلَاتَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ لا أَرَى شَيْئًا من الدُّنْيا يدُومُ، ولا أَرَى حَالًا فيها يستَقيم، اللَّهمَّ اجْعلْني أَنْطقُ فيها بعلْمٍ وأَصمتُ بحُكْمٍ، اللَّهُمَّ لا تُكْثِر لي من الدُّنْيا فَأَطْغَى، ولَا تقلَّ لي منْهَا فَأَنْسَى، فإِنَّه ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مِمَّا كثرَ وأَلْهَى.

وفي "مصنف ابن أبي شيبة"،(29769)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دَعْوَةُ غَائب لغَائب"، عن عبد الله بن عمْرو بنِ الْعاصِ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: إِنَّ أَسْرعَ الدُّعاءِ إجابة دعْوةُ غائبٍ لغَائب.

يقول ابن تيمية في "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"،(ص:287):

"ودعاء الغائب للغائب، أعظم إجابة من دعاء الحاضر، لأنه أكمل إخلاصا وأبعد عن الشرك، فكيف يشبه دعاء من يدعو لغيره بلا سؤال منه، إلى دعاء من يدعو الله بسؤاله وهو حاضر؟ وفي الحديث: "أعظم الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب"، ويقول ابن تيمية عن فوائد الدعاء للغير،" فَالدُّعَاءُ لِلْغَيرِ ينتَفعُ به الدَّاعِي والْمدْعُوُّ لَهُ وإِنْ كَانَ الدَّاعي دُونَ الْمدْعُوِّ لَهُ فَدُعَاءُ الْمُؤْمنِ لأَخيه ينْتَفعُ به الدَّاعي والْمدْعُوُّ لَه. فمن قَالَ لغَيرِه ادع لِي وقصد انتفاعهما جميعا بذَلك كَانَ هو وأَخوه متعاونين على الْبر والتَّقْوى فهو نبَّه الْمسئولَ وأَشار عليه بما ينفعهما، والْمسئولُ فعل ما ينفعهما بمنْزلَة من يأْمر غيره ببر وتقْوى؛ فيثاب الْمأْمور على فعله والْآمر أَيضا يثاب مثل ثوابه؛ لكَونه دعا إلَيه لا سيَّما ومن الْأَدعية ما يؤمر بها الْعبْد كما قال تعالَى: ﴿ واستغفر لذَنْبكَ وللْمؤمنينَ والْمؤْمنات ﴾فأَمره بالاستغْفار ثُمَّ قال: ﴿ ولَو أَنَّهم إذْ ظَلَموا أَنفُسهم جاءوك فاستغْفروا اللَّه واستغْفر لهُم الرَّسولُ لوجدوا اللَّه توَّابًا رحيما ﴾،فذَكرسبحانه استغْفارهم واستغْفار الرَّسول لَهُم إذْ ذَاكَ مِمَّا أُمر به الرَّسُولُ حيثُ أَمرهُ أَنْ يستغْفر

166 – أخرجه النسائي في "الكبرى" (10375) وأحمد في "مسنده" (8 / 4336)

لِلْمُؤْمنينَ وَالْمُؤْمنَات وَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ مَخْلُوقًا أَنْ يسأَلَ مَخْلُوقًا شَيْئًا لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ الْمخلُوقَ به بَلْ مَا أَمَرَ اللَّهُ الْعَبْدَ أَمْرَ إيجَاب أَوْ استحْبَاب؛ فَفعْلُهُ هُوَ عبَادَةٌ للَّه وَطَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ إلَى اللَّه وَصَلَاحٌ لفَاعله وَحَسَنَةٌ فيه وَإذَا فَعَلَ ذَلكَ كَانَ أَعْظَمَ لإحْسَانَ اللَّه إلَيْه وَإنْعَامه عَلَيْه" 167

إن جل تعاليم الإسلام إنما جاءت لتربية الفرد والأسرة ومن ثم تربية المجتمع على فضائل الأخلاق، والدعاء بظهر الغيب هو أن تدعو لغيرك دون أن يكون حاضرا أو عالما، مشيرا إلى أنه سمى دعاء بظهر الغيب لأن المدعو له غير حاضر فلا يوجد مجال للسمعة أو الرياء فى هذا الدعاء، فالدعاء للغير إذا كان المدعو له مسلما فإنه ينتفع به بالنص [الكتاب والسنة]، والإجماع؛ فقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة تحثنا على الدعاء والاستغفار لإخواننا المسلمين، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر:10]، وقوله سبحانه: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد:19]، وحكى عن إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبرا هيم: 41]، وحكى عن نوح: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: 38]، وقد مدح الله أنصار نبيه ﷺ، وَرَضِيَ اللهُ عنهم بهذه الصفة: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:9]، فمع أنهم هم الَذين آووا المهاَجرين وواسوهم بل وقاسموهم الأمَوَال وأعَانوهم نصروَا الرسول وبذلوا أموالهم وأرواحهم لنصرة هذا الدين لم يجدوا في صدورهم شيئا حين فضل الله المهاجرين، وفوق ذلك لما أخبرهم النبي ﷺ أن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم، قالوا: هذه أموالنا، اقسمها بيننا وبين إخواننا المهاجرين اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، فرفض النبي عليه والصلاة والسلام إلا بأن يعمل المهاجرون ويشتركوا مع الأنصار في الثمر،كما أنهم لما عرض عليهم الرسول ﷺ أن يخصص لهم أموال البحرين قالوا: لا حتى تشرك إخواننا المهاجرين. فأي نفوس هذه التي جادت وسمت حتى أبت أن تأخذ مما أحل الله لها حتى يشترك بقية المسلمين فيها؟!، وأما السنة، فعن عبد الله بنِ عبَّاس، أَنَّهُ مَاتَ ابنٌ لَهُ بقُدَيد، أَوْ بعُسفَانَ فَقَالَ: يا كُرَيبُ انْظُرْ مَا اجْتَمعَ لَهُ منَ النَّاسِ، قَالَ: فَخرجت فَإذَا نَاسٌ قَد اجتَمعُوا لَهُ، فأَخبرتَه، فقَالَ: تَقولُ هم أَربعونَ، قَالَ: نعم قَالَ: أَخرجوه،

167–ينظر: " مجموع الفتاوى"، (133/1)

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ "168، وعن هانِي مَولى عثمان، قال: سَمِعْتُ عثمانَ بن عفَّانَ، يقولُ: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن، فقالَ رسولُ الله ﷺ: استغفِروا لأخيكُم، وسلُوا الله له التَّثبيت، فإنَّه الْآنَ يسأَلُ "169، وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: إذا صلَّيتم على الْميت فأخلصوا لَهُ الدُّعاءَ"170، وأخرج ابن حبان في "صحيحه"،(3070)،عن أَبي هريرة، أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقُولُ فِي الصَّلَاة عَلى الْجَنائز: اللَّهُمَّ اغْفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأُنْثانا، اللَّهُمَّ من أَحييته منَّا فأَحيه عَلَى الْإِيمَانَ، ومن توفَّيته منَّا فتوفَّه عَلَى الْإِسْلَام"، وعند النسائي في "الكبرى"،(10851)،عن أبي سلَمة بن عبد الرَّحْمن قَالَ: سأَلْتُ عائشةَ: كَيف كَانَ صلَاةُ رسول الله ﷺ على الْميت؟ قالَت: كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفر لحينا وميتنا، ولصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأُنْثانا ولغائبنا وشاهدنا، اللَّهُمَّ من أَحييته منَّا فأَحيه على الْإِسْلَام، ومن توفَّيته منَّا فتوفَّه على الْإِيمَان، وأماَ الإجماع: فإن المسلمين كلهم يصلَون علىَ الأموات، ويقولون في الصلاة:"اللهم اغفر له، وارحمه"، فهم مجمعون على أنه ينتفع بذلك171، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: من يأْخذُ عني هؤُلَاء الْكَلمات، فيعمل بهنَّ أَو يعلِّم من يعمل بهنَّ"، فقالَ أَبو هريرة: فقلْت: أَنا يا رسولَ الله، فأَخذَ بيدي فعدَّ خمسا وقالَ: اتَّقِ الْمحارم تكُن أَعبد النَّاس، وارض بما قسم الله لَكَ تكُن أَغنى النَّاس، وأَحسن إِلَى جارك تكُن مؤمناً، وأَحبَّ للنَّاس ما تُحبُّ لنفسك تكُن مسلما، ولَا تُكْثر الضَّحك فإنَّ

---

168 - أخرجه مسلم في "صحيحه"، (948)

يقول النووي في "شرح صحيح مسلم"، (19/7):"وفي هذَا الْحَديث استحباب توكيد الْكَلَام الْمهتم بتكْراره ليحفظَ، وليكُونَ أَبلَغَ. وأَمَّا معناه ففيه قولَان للْعلَماء: أَحدهما: أَنَّ هذَا الثَّناء بالْخير لمن أَثنى عليه أَهل الْفضْل فكَان ثناؤهم مطَابقًا لأَفْعاله فيكُون من أَهل الْجنَّة، فإِنْ لَم يكُن كَذَلك فلَيس هو مرادا بالْحديث، والثَّاني: وهو الصَّحيح الْمختَار أَنَّه على عمومه وإِطْلَاقه، وأَنَّ كُلَّ مسلم مات فأَلْهم اللَّه تعالَى النَّاس أَو معظَمهم الثَّناء علَيه كَانَ ذَلك دليلًا على أَنَّه من أَهل الْجنَّة، سواء كَانت أَفْعالُه تقتضي ذَلك أَم لَا، وإِنْ لَم تكُن أَفعاله تقتضيه فلَا تُحتَّم علَيه الْعقوبة، بل هو في خطَر الْمشيئة، فإِذَا أَلْهم اللَّه عزَّ وجلَّ النَّاس الثَّناء علَيه استدلَلْنا بذَلك علَى أَنَّه سبحانه وتعالَى قد شاءَ الْمغْفرة له، وبهذَا تظْهر فائدة الثَّناء".

169- أخرجه أبو داود في "سننه"، (3221)

170- أخرجه أبو داود في "سننه"، (3199) وابن ماجه في "سننه"، (1497)

171- ينظر:" تفسير الفاتحة والبقرة"، لابن عثيمين، (400/3)، و" الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية"، (488/5)

كَثْرَةَ الضَّحك تُميتُ الْقَلْبَ 172، فمن علامات الإيمان كما بين النبي ﷺ في هذه الوصية الجامعة المانعة أن يَحبَ المَسلم للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه.

يقول الماوردي في "أدب الدنيا والدين"،(ص:184-201):" المعروف فيشمل نوعين: القول والعمل، فأما القول فهو طيب الكلام، وحسن البشر، والتودد بجميل القول. وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقّة الطبع، وأما العمل فهو بذل الجاه، والمساعدة بالنفس، والمعونة فى النائبة. وهذا يبعث- عليه حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم"، إن مفتاح السعادة أن تحب الخير للغير لأن التفكير الإيجابي تجاه الآخرين سينعكس مباشرة على صاحبه أنسا وسعادة وتوفيقا، بل إن تأثير ذلك سيمتد ليتجاوز المردود الفردي إلى المردود المجتمعي، فتجد المجتمع الذي يحب أفراده الخير لبعضهم بعضا ويتعاونون على ذلك تنتشر فيه الألفة والمحبة، ويكون ذلك مدعاة لترسيخ دعائم الأمن النفسي لأفراده وتتم المحافظة على استقراره المجتمعي، ومن محبتهم الخير للآخرين لم يبخلوا عليهم بنصح، الإسلام ينظر إلى الأخوة الإسلامية على أنّها تشريع رباني، ومبدأ إسلامي، انطلاقاً من دلالة قوله تعالى:﴿ فَأَصبحتم بنعمته إِخْوَانًا ﴾، أي: أصبحتم بسبب نعمة الإسلام إخواناً في الدّين، وفي ضوء هذا الفهم؛ فإنّ

172- أخرجه أحمد (8081)، والترمذي (2305)، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع"، (100)

جاء في "تحفة الأحوذي"، (257/3)، قوله: (من يأْخذُ عَني هؤلَاء الْكَلمَات) أَي الْأَحكَام الْآتيَة للسَّامع الْمصوَّرةَ في ذهْن الْمُتَكَلّم ومن للاسْتفْهَام (فيعمل بهنَّ أَو يُعَلّمُ من يعمل بهنّ) أَو بمَعْنى الْواو كَما في قَوْله تعَالَى: { عذْرا أَو نذْرا } ذَكره الطّيبيُّ رحمَه الله، قَالَ الْقَاري وتَبعه غَيره: والظَّاهر أَنَّ أَو في الْآيَة للتَّنْويع كَما أَشَار إِلَيْه الْبيْضَاويُّ بقَوْله: عذْرا للْمُحَقّقين أَو نذْرا للْمُبطلين، ويمْكن أَنْ تكُونَ أَو في الْحَديث بمَعنى بل إِشَارَةً إِلَى التَّرَقّي من مرتبة الْكَمال إِلَى منصَّة التَّكْميل عَلَى أَنَّ كَونَهَا للتَّنْويع لَه وجه وَجيهٌ، وتَنْبيه نبيهٌ عَلَى أَنَّ الْعَاجز عن فعله قَدْ يكُونُ باعثًا لغَيْره علَى مثْله كَقوله فَربَّ حامل فقْه إِلَى من هو أَفْقَه منْهُ انْتهَى.

(قُلْت أَنَا) أَيَ آخذُ عنْكَ وهَذه مبَايعةٌ خَاصَّةٌ، ونَظيرُه ما عَاهدَ بعْضَ أَصْحَابه بأَنَّهُ لَا يسأَلُ مخْلُوقًا، وكَانَ إذَا وقَع سوطُه منْ يَده وهو رَاكبٌ نزَلَ وأَخذَه منْ غَير أَنْ يَسْتعين بأَحد منْ أَصْحَابه (فَأَخذَ بيَدي) أَي لعَدّ الْكَلمَات الْخَمس أَو لأَنَّهُ ﷺ كَانَ يأْخذُ عنْدَ التَّعْليم بيد من يعَلّمُهُ (فعدَّ خمْسا) أَي من الْخصَائل أَو من الْأَصَابع علَى ما هو الْمتَعارَفُ واحدَةً بعْدَ واحدَة (وقَالَ اتَّق الْمحَارم) أَي احْذَر الْوقُوعَ فيما حرَّم اللَّه علَيكَ (تكُن أَعْبَدَ النَّاس) أَي منْ أَعبَدهم لأَنَّهُ يلزَم منْ تَرْك الْمحارم فعلُ الْفَرائض.

(وارض بمَا قَسم اللَّه لَكَ) أَي أَعطَاكَ (تكُن أَغْنَى النَّاس) فَإِنَّ من قَنع بمَا قُسم لَه وَلَمْ يطْمع فيمَا في أَيْدي النَّاس استغْنَى عنْهم، لَيس الْغنَى بكَثْرة الْعَرض ولَكنَّ الْغنَى غنى النَّفْس، قَالَ الْقَاري في الْمرْقَاة: سأَلَ شَخص السَّيّدَ أَبا الْحسنَ الشَّاذُليَّ رحمَهُ اللَّه عن الْكيمْياء فَقَالَ: هي كَلمتَان، اطْرح الْخلْقَ عن نَظَرك، واقْطَع طَمعكَ عن اللَّه أَنْ يُعطيكَ غَير ما قَسم لَكَ (وَأَحسنْ إِلَى جارك) أَي مجاورك بالْقَول والْفعل (تَكُن مُؤْمنًا) أَي كَامل الْإِيمان (وَأَحبَّ للنَّاس ما تُحبُّ لنفْسكَ) من الْخَيْر (تَكُن مُسْلما) أَي كَامل الْإِسْلَام (ولَا تُكْثر الضَّحكَ فَإِنَّ كَثْرة الضَّحك تُميت الْقَلْب) أَي تُصيره مغْمورا في الظُّلُمَات، بمَنْزلَة الْميت الَّذي لَا ينْفَع نَفْسه بنَافعة ولَا يدْفَع عنْها مكْروهًا، وذَا من جوامع الْكَلم

الأخوة الإسلامية ليست تقليدًا أعمى، ولا عادة موروثة، ولا تكتّلًا مرتبطٌ بوقت أو ظرف طارئ، بل هي عقدٌ لازم، ورباط دائم بين أهل الإيمان، لا ينفسخ ولا يسقطُ بالتّخلّي، يؤكّد هذا قول الله:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، ويرى أهل العلم أنّ رابطة الدّين أقوى من رابطة النَّسب؛ لذا حرص النبي ﷺ عند إقامةَ الدولَة في المدينة المنورة بعد الهجرة على الأخوة الإسلامية كرابط إيماني وثيق، يجتمع المسلمون تحت ظلاله الوارفة من شتى أصولهم واختلاف منابتهم، وقد ظهر ذلك جليًّا بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وظلّت التوجيهات الشرعية ترسخ هذا الفهم في مواقف كثيرة، ومناسبات عديدة؛ ففي حجة الوداع أكّد -عليه الصلاة والسلام- على الأخوة الإسلامية ومقتضياتها، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفَال:63]173، وقد مدحَ اللهَ تعالى في كتابه من لا يريد العلوَّ في الأرض ولا الفسادَ، فقالَ:﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[القصص:83]، والذي لا يحب لإخوانه مَا يحب لنفسَهَ فيه خصلَة ممن يريدون العلو في الأرض، ومن تجليات التسامح الإيجابي حب الخير للناس أجمعين174، والتجاوز عن هفواتهم التي تبين أنهم إنما هم مغرَّر بهم، مع رجاء العودة وفتح الصدر في رضى وسعة. قال ـ تعالى ـ على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 36]، وهو قول لا ترى من خلاله الرغبة في إلحاق الضرر بالآخرين، رغم أن منهم مَن ألحق الأذى بإبراهيم عليه السلام ومنهم من جاوز أذاه كل حد مطاق، فبلغ به الحقد والصلف حد إلقائه في النار175 وفي "صحيح مسلم"،(1679)، عن أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ؛ ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ

173- يراجع:الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية"، إسماعيل علي محمد، (ص:13-23)، و"الأخوة الإسلامية وآثارها"، عبدالله بن جار الله، (ص:16-17)

174- ولقد دعَّم الإسلام هذه المبادئ ببث أفضل المشاعر الإنسانية في النفوس من حب الخير للناس جميعا، والترغيب في الإيثار ولو مع الحاجة.قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ويدعو إلى الإحسان في كل شيء قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وقال: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، وقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}" لمحات في الثقافة الإسلامية"، (ص:273)

175- الثقافة الإنسانية بين رؤيتين، د. عبد السلام رياح، مجلة البيان، (22/221)

حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بلى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: الله ورسوله أعلم، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بلى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: الله ورسوله أعلم، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يوم النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رسول الله، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ) وَأَعْرَاضَكُمْ حرام عليكم، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا (أَوْ ضُلَّالًا) يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ: ابْنُ حَبِيبٍ فِي رِوَايَتِهِ: وَرَجَبُ مُضَرَ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي "، فمن أصول الدين أخوة الإسلام، فأخوة الإسلام رابطةٌ متينة ودرع حصينة ونصرةٌ مبينة، أخوة الإسلام بها يتواصل المسلمون، وبها يتناصرون ويقوون، وبها يتراحمون ويتعاطفون، وبها يتوارثون، وبها يتعاونون، وبها يتناصحون، ذكرها الله تعالى بعد الأمر بتقواه فقال عز وجل: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال:1]، وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) ﴾[التوبة:71]

ولقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة في المواساة والإيثار؛ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ فَمَكَثْنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَهْيَمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: مَا سُقْتَ إِلَيْهَا، قَالَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ؟"176

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ

176 - أخرجه البخاري في "صحيحه" (2049)، ومسلم في "صحيحه" (1427)

الْأَنْصار فقَالَ: أَنَا يا رسولَ الله، فانطَلَق به إلَى رحله فقَالَ لامرأته: هل عنْدك شَيء؟ قَالَت: لا، إلَّا قُوت صبياني، قَالَ: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأَريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلَى السراج حتَّى تطفئيه، قَالَ: فقعدوا وأكل الضَّيف، فلمَّا أصبح غدا على النَّبي ﷺ فقَالَ: قد عجب الله من صنيعكُما بضيفكُما اللَّيلَة.177، وعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: لا تدخلُون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولَا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أولا أدلُّكُم علَى شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكُم178، ولقدَ ضرب النبيَ ﷺ أروع الأمثلة في حب الخير للناس، فها هي قصته مع جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنت مع النَّبي ﷺ في غزاة،

177- أخرجه البخاري في "صحيحه" (3798)، ومسلم في "صحيحه" (2054)

178-أخرجه مسلم في "صحيحه" (54)

يقول النووي في ""، (227/2)، :" وأمَّا معنى الحديث فقوله ﷺ: ولَا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا معناه لَا يكمل إيمانكُم ولَا يصلح حالكُم في الْإيمَان إلَّا بالتَّحاب، وأمَّا قوله ﷺ:لَا تدخلُون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، فهو علَى ظَاهره وإطلَاقه فلَا يدخل الجنَّة إلَّا من مات مؤمنًا وإن لَم يكُن كَامل الْإيمَان، فهذَا هو الظَّاهر من الحديث، وقالَ الشَّيخ أَبو عمرو رحمه اللَّه معنى الحديث لَا يكمل إيمانكُم إلَّا بالتَّحاب، ولَا تدخلُون الجنَّة عنْد دخول أَهلها إذَا لَم تكُونوا كذَلك. وهذَا الَّذي قالَه محتمل. واللَّه أَعلَم، وأمَّا قوله: (أفشوا السَّلَام بينكُم) فهو بقطْع الهمزة الْمفتوحة. وفيه الحثُّ الْعظيم علَى إفشاء السَّلَام وبذْله للْمسلمين كُلّهم من عرفت، ومن لَم تعرف، والسَّلَام أَوَّلُ أَسباب التَّأَلُّف، ومفتاح استجلَاب الْمودَّة. وفي إفشائه تمكّن أُلْفة الْمسلمين بعضهم لبعض، وإظْهار شعارهم الْمميز لَهم من غيرهم من أَهل الْملَل، مع ما فيه من رياضة النَّفس، ولُزوم التَّواضع، وإعظَام حرمات الْمسلمين وقَدْ ذكَر الْبخاريُّ - رحمه اللَّه - في صحيحه عن عمَّار بن ياسر رضي اللَّه عنه أَنَّه قالَ:"ثَلَاث من جمعهنَّ فقد جمع الْإيمَان: الْإنْصاف من نفسك، وبذْلُ السَّلام للْعالَم، والْإنفاق من الافتقار"، وروى غير الْبخاري هذَا الْكَلَام مرفوعا إلَى النَّبي ﷺ وبذْلُ السَّلام للْعالَم، والسَّلَام علَى من عرفت ومن لَم تعرف، وإفشاء السَّلَام كُلُّها بمعنى واحد. وفيها لَطيفَةٌ أُخرى وهي أنَّها تتضمَّن رفْع التَّقاطع والتَّهاجر والشَّحناء وفساد ذَات الْبين الَّتي هي الحالقَة، وأنَّ سلَامه للَّه لَا يتبع فيه هواه، ولَا يخصُّ أصحابه وأحبابه به، واللَّه سبحانَه وتعالَى أَعلَم بالصَّواب".

فَأَبطأَ بِي جَمَلِي وأَعْيا، فأَتى عليَّ النَّبيُّ ﷺ، فقَالَ: جابر، فقلْت: نعم، قالَ: ما شَأْنُك، قُلْت: أَبطَأَ علَيَّ جملي وأَعيا فتخلَّفت، فنزل يحجنه بمحجنه، ثُمَّ قالَ: اركب، فركبت، فلقد رأَيته أكفُّه عن رسول الله ﷺ، قالَ: تزوَّجت، قُلْت: نعم، قالَ: بكْرا أَم ثيِّبا، قُلْت: بل ثيِّبا، قالَ: أَفَلا جارية تلاعبها وتلاعبك، قُلْت: إنَّ لِي أَخوات، فأَحببت أَنْ أَتزوَّج امرأَةً تَجمعهنَّ وتمْشطُهنَّ، وتقوم علَيهنَّ، قالَ: أَما إنَّك قادم، فإذا قدمت فالْكَيْس الْكَيْس، ثُمَّ قالَ: أَتبيع جملك، قُلْت: نعم، فاشْتراه مني بأُوقيَّة، ثُمَّ قدم رسولُ اللَّهِ ﷺ قبْلي، وقدمت بالْغداة، فجئنا إلَى الْمسجد فوجدته علَى باب الْمسجد، قالَ: الآن قدمت، قُلْت: نعم، قالَ: فدع جملك، فادخل، فصل ركعتين، فدخلْت فصلَّيت، فأَمر بلالًا أَنْ يزن له أُوقيَّةً، فوزن لِي بلالٌ فأَرجح في الْميزان، فانطلَقْت حتَّى ولَّيت، فقالَ: ادعُ لي جابرا، قُلْت: الْآن يردُّ علَيَّ الْجمل، ولَمْ يكُن شيء أَبغض إلَيَّ منْه، قالَ: خذْ جملك ولَك ثمنه 179، رأى رسول الله ﷺ في جانب الخيمة شاة فقال: "ما هذه الشاة يا أم معبد؟ " فقالت: "هي شاة خلفها الجهد عن الغنم".

فاستأذن منها، وحلبها فتفاجت فدرت، وملأ الرسول منها إناء يكفي الرهط فسقاها ثم سقى أصحابه ثم شرب أخرهم، ثم حلب في الإناء مرة أخرى حتى ملأه وتركه عندها وغادرها، وهكذا يضرب الرسول المثل في حب الخير للناس لقد كان يستطيع أن يرحل عن أم معبد دون أن يحلب لها، ويكفي أنه سقاها وسقى أصحابه ولكنه ﷺ كان حريصا على أن يصل الخير إلى الناس جميعا، ولعلها لا تجد ما تطعم منه زوجها إذا حضر فترك عندها ما تستعين به على ذلك180

عن حزام بن هشام، عن أَبيه هشام بن حبيش بنِ خويلد صاحب رسول الله ﷺ، أَنَّ رسولَ الله ﷺخرج من مكَّة مهاجرا إلَى الْمدينة، وأَبو بكْر رضي اللَّه عنه، ومولَى أَبي بكْر عامر بن فهيرة، ودليلُهما اللَّيثيُّ عبدُ الله بن أُريقط مرُّوا علَى خيمتي أُم معبد الْخزاعيَّة، وكانت امرأَةً برزة جلْدة تَحتبي بفناء الْخيمة، ثُمَّ تسقي وتطْعم، فسأَلُوها لحما وتمْرا ليشتروا منْها، فلَم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وكَانَ الْقوم مرملين مسنتين، فنظر رسولُ الله ﷺإلَى شاة في كسر الْخيمة، فقالَ: ما هذه الشَّاةُ يا أُمَّ معبد؟ قالت: شاةٌ خلَّفها الْجهد عن الْغنم قالَ: " هل بها من لَبن؟ " قالَت: هي أَجهد من ذلك قالَ: " أَتأْذنين لي أَنْ أَحلُبها؟ " قالَت: بأَبِي أَنت وأُمي، إنْ رأَيت بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسولُ الله

---

179 - أخرجه البخاري (443)، ومسلم في "صحيحه" (715)

180-" الهجرة النبوية - دراسة وتحليل"، (ص:181)

ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجّت عليه ودرّت، فاجترّت فدعا بإناء يربض الرّهط فحلب فيه ثجًّا حتّى علاه البهاء، ثمّ سقاها حتّى رويت وسقى أصحابه حتّى رووا وشرب آخرهم حتّى أراضوا، ثمّ حلب فيه الثّانية على هدّة حتّى ملأ الإناء، ثمّ غادره عندها، ثمّ بايعها وارتحلوا عنها، فقلّ ما لبثت حتّى جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالًا مخّهنّ قليل، فلمّا رأى أبو معبد اللّبن أعجبه قال: من أين لك هذا يا أمّ معبد والشّاء عازب حائل، ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلّا أنّه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: صفيه لي يا أمّ معبد قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزريه صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزجّ أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلّم سماه وعلاه البهاء، أجمل النّاس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأنّ منطقه خرزات نظم، يتحدّرن ربعة لا تشنأه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثّلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفّون به، إن قال: سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفنّد قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الّذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلًا، وأصبح صوت بمكّة عاليا يسمعون الصّوت، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

شعر

جزى الله ربّ النّاس خير جزائه رفيقين حلّا خيمتي أمّ معبد

هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمّد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجازى وسؤدد

ليهن أبا بكر سعادة جدّه بصحبته من يسعد الله يسعد

وليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنّكم إن تسألوا الشّاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلّبت عليه صريحا درّة الشّاة مزبد

فغادره رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر بعد مورد

فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانُ الْهَاتِفَ بِذَلِكَ، شَبَّبَ يُجَاوِبُ الْهَاتِفَ، فَقَالَ:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ

هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ فَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعِ الْحَقَّ يَرْشُدِ

وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وَهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ

وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ

أخرجه الحاكم في "مستدركه"، (4297)، (4299)،وقال:" هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، والطبراني في "الكبير" (3605)

وعن أَبِي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّه يوم لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عبادة ربه، ورجلٌ قلبُه معلّقٌ في الْمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل طلبته امرأةٌ ذات منصب وجمال، فقال إنِّي أَخافُ اللهَ، ورجل تصدَّق، أخفى حتَّى لا تعلم شمالُه ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه 181، وعن أَنس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الْإِيمان: مَن كان الله ورسولُه أَحبَّ إِلَيْه ممَّا سواهُما، وأَنْ يحبَّ الْمرء لَا يُحِبُّه إِلَّا لله، وأَنْ يكْره أَنْ يعود في الْكُفْر بعد أَنْ أَنْقذه الله منْه، كما يكْره أَنْ يقْذف في النَّار "182،وَفِي "صحيح مسلم"،(223)، عَنْ أَبِي مالك الْأَشْعري قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: الطُّهور شَطْر الْإيمان، والْحمد لله تَمْلأُ الْميزان، وسبحان الله والْحمْدُ لله تَمْلآن - أَو تَمْلأُ -

181 - أخرجه البخاري في "صحيحه" (660)، ومسلم في "صحيحه" (1031)

182 - أخرجه البخاري في "صحيحه"، (16)، ومسلم في "صحيحه"، (43)

مَا بيْنَ السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ، والصَّلَاةُ نور، والصَّدَقَةَ برهانٌ، وَالصَّبْرُ ضيَاءٌ، والْقَرآنُ حجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسه فَمعتقُهَا أَوْ موبقُهَا[183]

من صفات الداعية: حب الخير للناس وتبشيرهم به؛ وإدخال السرور عليهم: دل الحديث على أهمية حب المسلم – وخاصة الداعية – الخير للناس وفرحه بذلك؛ لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه فرح فرحا شديدا بقوله ﷺ: «وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» فقال معاذ: " يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ "؛ و في هذا الحديث من الفوائد: استحباب بشارة المسلم بما يسره

" فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري"،(354/1)

وفي "صحيح البخاري"،(2856)، ومسلم،(30)،عَنْ مُعَاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم عَلَى حمَار يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ الله عَلَى عبَاده وَمَا حَقُّ الْعبَاد عَلَى الله، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعبَاد أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا به شَيْئًا وَحَقَّ الْعبَاد عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِه شَيْئًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِّرُ به النَّاسَ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا.

183- شاء الله للإسلام أن يكون دين الطهارة والنظافة، فجعل النظافة من الإيمان، والطهور شطر الإيمان، ومثل الوضوء للصلاة وتنظيف الظاهر والباطن بنهر يجري بباب أحدنا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فلا يبقى من درنه شيئا، شاء الله للإسلام أن يكون دين طهارة الظاهر والباطن بما شرع من شرائع وعبادات، فحمد الله وتسبيحه وذكره والثناء عليه يرطب اللسان، ويجلي صدأ القلوب، كلمات خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، والصلاة تنور البصيرة وتزكي الأعضاء، وتنهي عن الفحشاء والمنكر، وتحيط صاحبها بملائكة الرحمة، وتحوطه بعناية الله تعالى، والصدقة تطهر المال، وتزكي النفس من البخل والشح وتنقيها من الأثرة والأنانية وحب الذات، والصدقة برهان على صدق الإيمان باليوم الآخر، ودليل على حب الخير للناس، وصدق الله العظيم حيث يقول {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} [التوبة: 103] والصبر طهارة للعقيدة من الاعتراض على القضاء، ونور للنفوس في ظلمات نوائب الدهر ونوازل الزمان، وصدق الله العظيم حيث يقول {وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} [البقرة: 155 – 157]، والقرآن الكريم طهارة في ذاته {لا يمسه إلا المطهرون} [الواقعة: 79] طهارة لقارئه وسامعه وللعامل به، وشاهد صدق يرفع صاحبه يوم القيامة، تلك مثل من طهارة الإسلام وشرائعه، وكل الناس يتحرك ويسعى، لكن منهم من يستفيد من سعيه، ويبني آخرته بحركة دنياه، ومنهم من يشقى بسعيه ويهدم آخرته بلذات فانية في دنياه، وصدق الله العظيم حيث يقول {إن سعيكم لشتى* فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى* وما يغني عنه ماله إذا تردى* إن علينا للهدى* وإن لنا للآخرة والأولى} [الليل: 4 – 13]

انتهى من:" فتح المنعم شرح صحيح مسلم"، (89/2)

وفي "صحيح البخاري"،(1496)، وفي "صحيح مسلم"،(19)، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لمعاذ بنِ جبلٍ، حين بعثه إِلَى الْيمنِ: إنَّكَ ستأْتِي قوما أَهل كتَاب، فَإِذَا جئتهم فادعهم إِلَى: أَنْ يشهدُوا أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، فَإِنْ هم أَطَاعوا لَكَ بِذَلك، فَأَخبرهم أَنَّ اللهَ قد فرض عليهم خمس صلوات في كُلِّ يوم وليلَة، فَإِنْ هم أَطَاعوا لَك بذلك، فَأَخبرهم أَنَّ اللهَ قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أَغْنيائهم فتردُّ علَى فُقَرائهم، فَإِنْ هم أَطَاعوا لَكَ بذَلك، فإيَّاكَ وكرائم أَموالهم، واتَّق دعوة الْمظلُوم، فَإِنَّه لَيس بينه وبين اللهِ حجابٌ 184، وفي "صحيح البخاري"،(923)، و"صحيح مسلم"،(2404)، عن سهلِ بنِ سعد رضي اللهُ عنهُ: سمع النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقُولُ يوم خيبر: لَأُعطينَّ الرَّاية رجلا يفتح اللهُ علَى يديه. فقاموا يرجون لذَلك أَيُّهم يعطَى فَغدوا وكُلُّهم يرجو أَنْ يعطَى فَقَالَ: أَين عليٌّ فقيل: يشتكي عينيه فَأَمر فدعي له فَبصق في عينيه فبرأَ مكانه حتَّى كَأَنَّه لَم يكُن به شيء فقَالَ: نقاتلُهم حتَّى يكُونوا مثْلَنا فقَالَ: علَى رسلك حتَّى تنزلَ بساحتهم ثُمَّ ادعهم إِلَى الْإِسلَام وأَخبرهم بما يجب عليهم فوالله لَأَنْ يهدى بك رجل واحد خير لَك من حمرِ النَّعم ".

يرسم الإسلام بالإشادة بفضل السلام، وطبع النفوس بروح التسامح والإحسان، وحسن معاملة المخالفين، المعالم الكبرى للسلام العالمي، ويضع القواعد وأوفى الضمانات لاستقراره، فهو يدعو إلى حسن الخلق ولين الجانب، والرحمة بالضعيف والتسامح مع القريب والبعيد، وعدم التشفي من المغلوبين، وإيثارهم بالصفح والبر وحسن المعاملة، ويعدُّ أن الأصل في العلائق بين البشر هو التعارف والتعاون، والتخلي عن نزعة العدوان والتجافي عن الظلم والطغيان.

فهذه الآيات والأحاديث تدل على أهمية وشرعية الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، سواء كانوا أحياء أو أموات، فالمؤمن يستغفر ويدعو لـ إخوانه ووالديه وأقاربه وجيرانه وأحبابه، ربما صادف دعوة

184- يقول النووي في "شرح مسلم"، (161/1):" وَفِي هَذَا الْحَدِيث قَبُولُ خَبَر الْوَاحِد ووجوب الْعَمَل به، وَفيه أَنَّ الْوِتْر لَيْسَ بِوَاجِبٍ لأَنَّ بَعْث مُعَاذ إِلَى الْيَمن كَانَ قَبْل وفَاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَلِيلٍ بَعْدَ الْأَمْر بِالْوِتْرِ وَالْعَمَل بِهِ، وَفِيهِ أَنَّ السُّنَّة أَنَّ الْكُفَّار يُدْعَوْنَ إِلَى التَّوْحِيد قَبْلَ الْقِتَال، وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يُحْكَم بِإِسْلَامِهِ إِلَّا بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ؛ وَهَذَا مَذْهَب أَهْل السُّنَّة كَمَا قَدَّمْنَا بَيَانه فِي أَوَّل كِتَاب الْإِيمَان. وَفِيهِ أَنَّ الصَّلَوَات الْخَمْس تَجِبُ فِي كُلّ يَوْم وَلَيْلَة، وَفِيهِ بَيَانُ عِظَم تَحْرِيم الظُّلْم وَأَنَّ الْإِمَام يَنْبَغِي أَنْ يَعِظَ وُلَاتَهُ وَيَأْمُرهُمْ بِتَقْوَى اللَّه تَعَالَى وَيُبَالِغ فِي نَهْيِهِمْ عَنْ الظُّلْم وَيُعَرِّفهُمْ قُبْح عَاقِبَته، وَفِيهِ أَنَّهُ يَحْرُم عَلَى السَّاعِي أَخْذ كَرَائِم الْمَال فِي أَدَاء الزَّكَاة بَلْ يَأْخُذُ الْوَسَطَ وَيَحْرُم عَلَى رَبّ الْمَال إِخْرَاج شَرّ الْمَال، وَفِيهِ أَنَّ الزَّكَاة لَا تُدْفَع إِلَى كَافِرٍ وَلَا تُدْفَعُ أَيْضًا إِلَى غَنِيٍّ مِنْ نَصِيب الْفُقَرَاء.......... ".

مستجابة185،أخرج مسلم في "صحيحه"،(975)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يعلّمهم إذَا خرجوا إلَى الْمَقَابِر، فَكَانَ قَائِلهم يقولُ: - في رواية أَبِي بَكْر - السَّلَام علَى أَهْلِ الدّيَار - وفِي رواية زهير - السَّلَام عليكُم أَهْل الدّيَار من الْمؤْمنين، والْمسلمين، وإنَّا إنْ شاء الله لَلَاحقُونَ، أَسْأَلُ الله لَنَا ولَكُم الْعافية"، وأخرج ابن جَرير الطبري فَي " جامع البيان عَن تأويل آي القرآن "،(345/15):عن ابن عبَّاس، عن أُبِي بن كَعب، قَالَ: كَانَ النَّبِي ﷺ إذَا ذكَر أَحدا فدعا لَه بدأَ بنفْسه، فَقَالَ ذَاتَ يوم: " رحْمة اللَّه علَينا وعلَى موسى، لَو لَبث مع صاحبه لَأَبصر الْعجب ولَكنَّه قَالَ: ﴿ إنْ سأَلْتُك عن شَيء بعدها فَلا تُصاحبنِي قَدْ بلَغت من لَدُنِّي عُذْرا ﴾ [الكهف: 76] مثقَّلَة".

جاء في أوّل ديوان حاتِم الطّائي كلمةً جميلةً له، يقولُ فيها: إذا كان تركُ الشّرِ يكفيك، فدَعْه، ومعناه: إذا كان يسَع السُّكوتُ عنِ الشَّر واجتنابه، فحسبه بذلك ﴿ فأَعرِض عنْهم ﴾، ﴿ ودعْ أذَاهم ﴾، محبَّةُ للناسِ موهبةٌ ربَّانيَّةٌ، وعطاء مباركٌ من الفتَّاحِ العليم186، يقولِ ابن عباسٍ متحدّثًا بنعمة الله عزَّ وجلَّ: فيَّ ثلاثُ خصال: ما نزل غيثٌ بأرضٍ، إلاَّ حمدتُ الله وسررتُ بذلك، وليس لي فيها شاةٌ ولا بعير. ولا سمعتُ بقاضٍ عادلٍ، إلاَّ دعوتُ الله له، وليس عنده لي قضيَّةٌ. ولا عرفتُ آيةً من كتاب الله، إلاَّ وددتُ أنَّ الناسِ يعرفونَ منها ما أعرفُ، إنه حبُّ الخيرِ للناسِ، وإشاعة الفضيلة بينهم وسلامة الصَّدرِ لهم، والنَّصحِ كلُّ النصحِ للخليقة187

ومن نواحي تفرد التربية الإسلامية أنها تريد الخير للناس جميعا، فالإسلام يغرس في نفوس المسلمين حب الخير للناس جميعا في جميع مجالات الحياة سواء أكان نفعه دينيا أم دنيويا، والتربية الإسلامية تربي الفرد على السعي في طريق الخير والعمل على تحقيق وقضاء حاجات الناس والتفريج عنهم وستر عيوبهم. وقد أضافت التربية الإسلامية محبة الله إلى محبة الوالدين، وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه في محبة الله وطاعته والعمل وفق منهجه، وتتفرد التربية الإسلامية عما سواها بالحث على التعاون على البر والتقوى وعلى تهيئة البيئة المناسبة والمناخ الملائم لتربية النشء وفق العقيدة الصحيحة. وتدعو التربية الإسلامية الحاكم والمحكوم إلى تنفيذ شريعة الله في تقويم الناس وإسعاد البشرية. ويتعاون

185 -ينظر:" الأساس في التفسير"، (3216/6)

186- ينظر: " لا تحزن"، د. عائض القرني، (ص:293)

187- ينظر: "لا تحزن"، (ص:293)

فيه المسلم مع أخيه المسلم في إرساء قواعد المجتمع الصالح، ويتعاون فيه الرجل مع المرأة في تربية وبناء الأجيال الصالحة، وحتى يستطيع منهج التربية الإسلامية تحقيق أهدافه كاملة لا بد أولا من إقامة المجتمع المسلم، غير أن وجود المجتمع المسلم وحده لا يكفي، إذ لا بد من النصح والتوجيه والإرشاد حتى يصل الفرد إلى مرتبة الكمال التي هيأها الله له188

فلا تبخل في تمني الخير للآخرين، فإن غناهم لن ينقصك من رزقك شيئا، وإن صحتهم وعافيتهم لن تأخذ من صحتك شيئا، وتمني طلب البركة لهم في الأهل والولد والعمل لن يقلل من بركة حياتك شيئا، ولهذا كن على يقين أن طلبك الخير للغير سيزيدك ولن ينقصك، بل ستكون كبيرا وعظيما أمام نفسك وفي عيون الآخرين، كما يكفيك شرفا أنك ستكون عظيما أمام ربك في قناعتك ويقينك به.

الحسد قد يكون ناتجا من قلة حب الخير للناس جميعا، لذلك لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، لقوله ﷺ: "لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه"، أخرجه البخاري في "صحيحه"،(13)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، فإذا فهم المسلم الحكمة الإلهية من ذلك، عاش راضيا هانئا سعيدا بما وهبه اللهَ من نعم سَواء كَثرتَ أو قلت، أما إذا لم يرض بحاله، وتذمر من حياته، وتفكر في نعم الله على غيره، وقلتها أو عدمها لديه، فإن هذا الإحساس سيصيبه بالألم الدفين، والقلق الدائم، والحزن الملازم والضيق والهم والغم، والتفكير العقيم في كيفية زوال نعم المحسود، فلا يهنأ له بال ولا يقر له قرار، ولا يذوق طعم الرضا والاطمئنان، هذه هي الأعراض الملازمة لداء الحسد وقد ذكرها ابن الجوزي بقوله: "الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون، وفساد المزاج، ودوام الكمد189

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ

188-ينظر: " التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص:126)

189-ينظر: " آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»"، (ص:150)

لَكُم، يَا عِبادِي إِنَّكُم لَنْ تَبلُغُوا ضري فتضرُّوني، وَلَنْ تَبلُغُوا نَفْعِي فتنفعُوني، يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركُم وإنسكُم وجنَّكُم كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكُم مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شيئًا، يا عِبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخركم وإنسكم وجنَّكُم كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عبادي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألُوني فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ مسألَته ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقُصُ المخيطُ إذا أُدخِلَ البحرَ، يا عبادي إنَّما هِيَ أعمالُكُم أُحصيها لَكُم ثُمَّ أُوفِّيكُم إيَّاها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومنَّ إلَّا نفسه، قَالَ سعيدٌ: كَانَ أَبو إِدريس الخَوْلَانيُّ إذَا حدَّثَ بهذَا الحَدِيث جثا على رُكبتيه[190]

الحمد لله على الدوام... منزل القرآن بالأحكام

ثم الصلاة والسلام دائما... على نبي قد سما ثم نما

محمد وصحبه والآل... ومقرئ القرآن ثم التالي[191]

الحمدُ لله القويّ الماجد... ذي الطَّوْل والإنعام والمحامد

حمدًا يفوقُ حمدَ كُلِّ الخلْقِ... وما أُطيقُ شُكْرَ بعضِ الحقِّ

ثم الصلاةُ بعدَ والسلام... على نبِيٍّ دينُه الإسلامُ " مجموعة القصائد الزهديات"،(245/1)

واللهُ المحمودُ على ذلك وغيره من نعمه التي لا تُحصى، وله المنةُ أن هداني لذلك، ووفقني لجمعه، ويسرهْ علي، وأعانني عليه، ومنَّ عليَّ بإتمامهِ؛ فله الحمدُ والامتنانُ والفضل والطَّوْلُ والشكرانُ، وأنا راجٍ من فضلِ اللَّه تعالى دعوة أخٍ أنتفع بها تقربني إلى الله الكريم، وانتفاع مسلمٍ راغب في الخير ببعض ما فيه، أكونَ مسَاعدا له على العملِ بمرضاة ربنا، وأستودع الله الكريم اللطيفَ الرحيمَ مني ومن والدي وجميع أحبابنا وإخواننا ومن أحسن إلينا وسائرِ المسلمين أديانَنا وأماناتنا وخواتيم أعمالنا، وجميع ما أنعم الله تعالى به علينا، وأسأله سبحانه لنا أجمعين سلوكَ سبيلِ الرشاد، والعصمةَ من أحوال أهل الزَّيغ والعناد، والدَّوام على ذلك وغيره من الخير في ازدياد، وأتضرع إليه سبحانه أن يرزقنا التوفيقَ في الأقوال والأفعالَ للصواب، والجزي على آثار ذوي البصائر والألباب، إنه الكريم الواسع الوهَّاب، وما توفيقي إلا بالله،

190- أخرجه مسلم في "صحيحه"، (2577)

191 - " متن إغاثة الملهوف فى عدد صفات الحروف"، منشور في "الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم"، (ص:195)




عليه توكلتُ وإليه متاب، حَسْبنا اللَّهُ ونعْمَ الوكيلُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم، والحمدُ لله ربّ العالمين أولًا وآخراً، وظاهرا وباطنا، وصلواتُه وسلامُه الأطيَبان الأتمَّان الأكملان علىَ سيدنا محمدَ خير خلقه، كلما ذكرهُ الذاكرون، وغَفَل عن ذكره الغافلون، وعلى سائرَ النبيّينَ وآلَ كلٍ وسائر الصالحين192

تم الانتهاء من جمعه وإعداده بفضل الله

يوم الثلاثاء:31 من أغسطس 2021م – 23 محرم 1443هـ

192- بهذه النهاية البديعة أنهى الإمام النووي كتابه: " الأذكار"، ط:ابن حزم، (ص:651)